

العقيد النبوي

في

تفسير القرآن

تأليف السيد محمد باقر

آية الله العظمى

العلامة الشيخ محمد طاهر الشيرازي

دام غفر الوارث

Daftar 75/1/83

Princeton University Library



32101 057499293

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

--	--

العقلاء الذين
في

تفسير القرآن

سماعة الأستاذ المحقق المرجع الذي الكبير

آية الله العظمى

الحاج الشيخ محمد طاهر الشيرازي الخافاني
دام ظلّه الوارف

(RECAR)

BP130

.4

.A473

1982

ju2 1



1503

9600049403

P1813995



الحمد لله حمداً يقوم بشأنه ، وبجلال عظيمته احمده حمداً معترف بقصور ذاته عن القيام بحمده واشكره على نعمه وآلائه واستعينه بالصبر على بلائه ، وافضل صلاة وتحية على اشرف الكائنات ومنتهى وجود الممكنات محمد خاتم النبيين وآله الاولياء المعصومين واصحابه المنتجبين .

اما بعد فقد ، كانت تحدثني نفسى ، بان اكتب تفسيراً مفصلاً فى بيان القرآن ، وتدفع هذه الفكرة ، ان القرآن الكريم ، لما كان هو منتهى التشريع ، وغايته هو الكتاب الذى يطابق الكتاب التكويني وهو ذات الرسول الاعظم (ص) ومعرفة مثل هذا الكتاب ، مما يقصر عنه نطاق الانسانية ، والمعارف البشرية .

وان القرآن ، وان لم تحط العقول بمعرفته ، ولا الافهام بتفسيره ، الا انه من باب لا يسقط الميسور بالمعسور وان يفسر بمقدار ادراك العقول والافهام .

ولما كانت النظرة الى القرآن الكريم ، الى اتجاهات ، الاتجاه الاول ، هو الاتجاه الى فهمه ، بحسب بلاغته واعجازه وثانياً ، الاتجاه الى فلسفته وعرفانه واقتصاده ، وثالثاً الاتجاه الى ، تفسيره عن النبي (ص) واهل بيته (ع) واصحابه الاخيار ، ورابعاً ، الاتجاه الى ان القرآن يفسر بعضه بعضاً .

فأخذنا هذه الاتجاهات كلا على حدة ، ليمتثل الباحث ، الى بلاغته واعجازه فى لغة العرب . والى فلسفته وعرفانه واجتماعه ، والى البيان الوارد عن الرسول (ص)

وعن آله المعصومين (ع) واصحابه (رض) في تفسيره من طرق الخاصة والعامه ، والى
تفسير الايات بعضها ببعض .

واما تأويلاته ، فباب اغلق على البشر ، و موكول معرفته الى من انزل
عليه (ص) .

فالقرآن الكريم لاتصله العقول ، وانما تصل اليه بمقدار ماتدركه عقول
البشر ، فالتفسير والتأويل الذي يريده الرسول وآله ، على الوجه الاكمل ، مما
لايسع البشر الوصول اليه ، فنقول وبالله الثقة وعليه نتوكل وبه نستعين ...



اعجاز القرآن عين التشريع

اعلم ايها القارى ، ان البحوث الاتية حول هدف القرآن ، وعن اتجاهاته التى يقصدها ، من حقيقة ماجئت به رسالة السماء .

ان القران هو المعجزة الخالدة ، لهذا الرسول الكريم (ص) وقد بلغ القرآن منتهى الاعجاز ، ولم يسبق باى كتاب سماوى ، فى اهدافه ومقاصده ، وما جاء فى تاريخ الانسانية ، وفى عصور البشرية مثله .

قد جاء القرآن الكريم ، لهدف اصلاح العالم والبشرية ، فى هذه النشأة ، وفى النشأة الاخرة ، ومن خصوصيات هذا الكتاب ، وخصوصيات من جاء به وهو النبى الكريم (ص) بان كان اعجاز القران عين التشريع ، ليبقى معجزة خالدة مادام الدهر على ممر العصور والاجيال.

وحينما جاء موسى او عيسى عليهما السلام ، فكانت دعوة موسى للنبوة على جانب ، والتشريع على جانب آخر ، لاثبات نبوته ، من طريق العصا ، و انفلاق البحر ، واعجاز السحرة ، ونحو ذلك ، وكان تشريعه غير دعواه للنبوة ، فجاء بالالواح التى يعبر عنها بالتورات ، فالتشريع الذى جاء به موسى (ع) معنى واثبات النبوة

معنى آخر ، اثبت نبوته بالعصا وانفلاق البحر ونحو ذلك ، وجاء بالتورات لتبليغ الاحكام الى امة بنى اسرائيل ، فالدعوة الممبته للنبوة غير التشريع .

وهكذا اذا نظرنا الى عيسى ، نجد اثبات النبوة ، لم يأتي من طريق وجهة التشريع ، بل جاءت من طريق آخر ، فدعواه للنبوة باحياء الموتى وبراء الاكمه والابرص .

اما التشريع الذى جاء به ، فهو الانجيل الذى بايدى النصارى ، وقد كتب بعد عروجه الى السماء ، من اشخاص مختلفين ، وربما كان بعضها يناقض بعضاً ، والبعض يصادم البعض الاخر ، ولما جاء هذا النبى الكريم ، فهو و ان جاء ببعض المعاجز ، الا ان المعجزة الخالدة هى عين التشريع ، لتبقى مادام البشر موجوداً على هذا الكوكب .

وبهذا الكتاب الكريم ، تثبت معجزة المعراج ، و انشقاق القمر ، وعلى ما بيناه ، فتكون معاجز الانبياء فى اثبات نبوتهم ، من باب قصص تاريخية ، وامور لا يثبتها الا التاريخ .

اما اعجاز هذا النبى الكريم (ص) حيث كان اعجازه عين تشريعه ، فكل من طلب الهداية ، كان الطريق مفتوحاً له بمصراعيه ، وكفى بالقرآن معجزة وهداية لمن يهتدى .

اعجاز القرآن لا يختص بالبلاغة والفصاحة

ان اعجاز القرآن لم يكن من ناحية البلاغة والفصاحة فقط ، وان كان في منتهى البلاغة والفصاحة ، ولكن ليس الاعجاز منحصرأ في البلاغة والفصاحة . فالقرآن جاء بالاعجاز من نواح متعددة ، من ناحية كشفه للغيب ، ومن ناحية جمعه للاخلاق الفاضلة ، ومن ناحية قواعده ونظامه ، ومن ناحية عبره وامثاله ، و من ناحيه علم الاجتماع ومن ناحية اقتصاده ، ومن ناحية علم الطبيعة ، و من حيث السير والسلوك .

فكل الامم تؤمن به من جميع نواحيه ، الامن ناحية فصاحته وبلاغته ، حيث لا يعرفون اللغة العربية ، وان كانوا اجازمين باعجازه من حيث الفصاحة والبلاغة . فالقرآن تؤمن به الامم الاخرى ، حيث انهم يرون اعجازه في الاجتماع ، وفي علم النفس والطبيعة . وفي الاقتصاد والاخلاق ، فاخرس الامم من هذه النواحي كلها ، فادأ لابدان يكون القرآن معجزة الدهور لامن ناحية واحدة والالقال قائل، من اعجمى او تركى او شرقى او غربى ، ان هذا الكتاب قد جاء بلغة العرب ، وانى

لاافهمها ، وهذا وان كان مردوداً ، حيث ان العرب عجزوا عن مقاومة القرآن،
ولكن الواقع ان القرآن غير مخصص بلغة العرب ، فهو اعجاز عام ، شامل لنطاق
الحياة فى الدنيا والاخرة .

ولذا قد خضعت الامم للقرآن لاعجازه لنواح شتى ، ولعل القرآن الكريم،
قد اشار الى تعدد اعجازه ، وان الهدف منه ان يكون نظاماً عاماً للبشرية ...

* (التشريع والتكوين) *

ان التشريع ورسالة السماء ، من القرآن الكريم ، لا بد ان تطابق نفسية من ارسل اليه ، لان الرسالة لو كانت ابلغ واسمى من نفسية النبي (ص) لكانت رسالة الى شخصية لا تطابقه ، ولما كان القرآن الكريم جامعاً لحياة البشرية ، من نظام و احكام واجتماع واقتصاد وتربية للنفوس وهو فوق كل تشريع سماوى جاء لنفسية هى منتهى الكمال فى وجود الممكنات وان الحكيم سبحانه لا بد ان يطابق كل تشريع لنفسية ذلك النبي ، الذى يوجه اليه التشريع ، ولو كان التشريع اقل من نفسية النبي ، لاصبح الكتاب . يشبه كتابا لشخصية عالمية مهمة ، بعبارات اقل من منزلته و بعبارات اقل من شخصيته ، تناسب الشخصية الضعيفة ، ولا تناسب الشخصية العظيمة كما انه لا بد ان تكون الشخصية مطابقة لتلك الرسالة المهمة .

فاذا لا بد ان يحصل التطابق ، بين شخصية الكتاب ، وشخصية النبي (ص) وعند ما كانت شخصيته فى عالم التكوين والوجود هى اعظم شخصية بشرية وعالمية فى عالم الارض وعالم السماء ، وجب ان يكون الوحي والحاكى من التشريع يطابق شخصية النبي ، تطابق الحاكى مع المحكى والرئى مع المرئى ، و لا تطابق الا اذا كان القرآن مرآة لنفسية ذلك الرسول و حاكياً عن شخصيته فى جميع الكمالات و

المنازل .

فالنبي (ص) اكمل دائرة التكوين والوجود فى عالم الممكنات و الكتاب اكمل وجود فى عالم التشريع والتدوين ، فكما ان وجوده التكويني اعظم وجود فالكتاب التشريعى اعظم تشريع ولا بد ان يكون اتم نظام فى العصور ، ولم يسبقه سابق ، ولا يلحقه لاحق ، ولذا كان القرآن اكبر معجزة لحكاية نفسية النبي (ص) كاملا .

ومن هنا يتضح لك ان هذا الكتاب ليس فى نظام التورات او الانجيل ، او صحف ابراهيم ونوح ، او زبور داود ، حيث ان نفسية الانبياء عليهم السلام ، وان كان بعضهم من ذوى العزم ، وبعضهم من ذوى الشرايع العامة ، و لكن نفسية اولئك الانبياء والرسول اقل من نفسية هذا الرسول العظيم (ص) فى العلم والعمل ، فى الفلسفة النظرية والفلسفة العملية ، وان هذا التشريع السماوى ، ورسالة الانبياء منتهى اوجها ، بعث هذا الرسول العظيم وهذا القرآن الكريم لهداية الامم .

رسالة النبي الكريم هي منتهى الرسالات

رسالة هذا النبي (ص) هي منتهى الرسالات السماوية ، وذلك عند ما تكاملت عقول البشرية ، وانتهت الطبيعة في تكامل الانسان ، وبلغت الغرائز والجبليات منتهى اوج التفكير والتعقل للامور الوجدانية والعقلية جاء هذا النبي الكريم (ص) في هذا الدور ، وحينئذ لا بد ان تقع رسالته في اوج كمال العقل والعلم لتصل البشرية في هدايتها اوج السعادة وتمام الكمال ، فما جاء به الرسول (ص) هو غاية التشريع الذي ليس فوقه تشريع ، ونهاية النهج الالهى الذى ليس فوقه تشريع ، واذا كانت رسالته ليس ورائها رسالة ، ودعوته ليس ورائها دعوة ، كانت امته خير الامم ، وقد جاء هذا الرسول الكريم بمنتهى التشريع ، ليصل البشر الى واقعيات الامور ، واوج الكمال ، ويصل الى اسرار الامور .

ولما كان الهدف من الشارع ، ان لا تقع رسالة بعد هذه الرسالة ، ولا رسولا بعدهذا الرسول ، فلا بد ان يكون كتابه منتهى الكتب ، ووجوده غاية الوجود الامكانى وتشريعه اوج التشريع السماوى ، و امته خير الامم ، اذا نهجوا منهاجه و عملوا بسيرته واخذوا بآثاره وآثار اهل بيته المعصومين (خ) واصحابه المنتجبين .

وقد جاء الغيب ، فى هذا القرآن ، كما انه ورد فى سورة النصر (اذا جاء نصر الله والفتح) بكى العباس عم النبى (ص) فقال له النبى (ص) ما يبكيك يا عم ، فاجاب انه قد نعت اليك نفسك ، قال صدقت ، ولكن كيف فهمت ذلك ، قال لانه اذا تم شىء بدانقصه ، قال صدقت فانه نعت الى نفسى فى هذه السنة .

ولما جاء النبى الى المواقيت كما يشهد القرآن الكريم ، فى تعيين المواقيت وحددها الرسول (ص) ، كمسجد الشجرة والطائف وادى العقيق وجحفة ، قال المنافقون ، متى تمت دعوته فى الحجاز حتى اصبح يقول ، هذاميقات العراق و فارس وهذاميقات الهند وهذا ميقات الحجاز ، وهذاميقات الشام ، ومتى تمت دعوته حتى حكم بهذه الامور ، فاخبر النبى (ص) بذلك ، فقال دعوهم ماتمرا الايام والليالى الايرون صدق ما اقول ، فقال ولم يتخلف قوله وحكمه .

وكل انسان يجوز فى نفسه الخلاف والخطاء ، ولو فى المئة بواحد ، لا يحكم على الشىء بضرر قاطع ، كما هو المشاهد فى الاخبارات المحتملة للواقع وخلاف الواقع .

الأتري ان رجال الاعمال ، لو احتملوا بالمئة واحدة ما تمكن احدهم ان يقول بالجزم بالعمل ، لتجويزه بالخلاف و الخطاء ولم يكن الرسول (ص) عنده اى احتمال بالخلاف . فى تعيين المواقيت انظر الى آية الروم حيث جاءت « الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » وغلبوا كما ذكر ، وجاء الفتح على ايديهم .

فالقرآن الكريم مملو بالقضايا الغيبية واذ انظرت الى ناحية اخرى وجدته قد اسس علم الاخلاق ، فكم من كاتب كتب فى علم الاخلاق فى مجلد او مجلدات ولكن اذا نظرت الى سورة « الحجرات » وسورة « لقمان » تجدان كل ما كتبه الكتاب فى تأسيس علم الاخلاق ، دون سورة الحجرات وسورة لقمان على صغرهما .

انظر الى آداب القرآن مع الانبياء ، حيث يقول وكلم الله موسى تكليما ،
ويقول وقربناه نجيا ، ونعم العبدانه اواب .

فانظر الى عظمة الخالق وشأنه ، كيف لا ييخس حق الانبياء ويخاطبهم بكمال
الاداب ، وهذا ليس الاكتاب تعليمي وتربية للامة الاسلامية وكافه البشر وتمرينهم
على هذه الاداب ، وهو نظام للبشرية عامة ، مخاطبا لهم ان تكون آدابهم بهذه
الاداب وانه لا يخاطب نبيا من الانبياء ، الالتمام الاداب والخلق الكريم ، و هذا
القات للنظر ، بان يكون خطاب الناس بعضهم من بعض بأداب القرآن ...

الاسلام لم يأتى بثقل على عاتق البشريه

ان الدين الاسلامى الحنيف لم يأتى بثقل على كاهل البشرية ، بل تلك الفضائل النفسية ، التى ينطوى الانسان عليها، وتحملها النفس ، من علم و اخلاص ، وتقوى و ايمان وصبر وشكر وصدق و امانة و شجاعة و كرم و عفة و آداب و تواضع و توكل و تفويض و وفاء و تسليم الى الله و محبة اليه ، فقد جعلها الشارع المقدس احكاماً للبشرية ، و ابرزها الاسلام ديناً فماجاء بثقل و اضرار ، على كاهل الانسان لىوجب الثقل و التكليف الشاق .

بل هى فضائل النفس اتى بها تشريعاً و نظاماً ، و كرمها عن الشهوات و الميول و العواطف التى تذهب تلك الفضائل و تغيرها عن استقامتها فان فى النفس فضائل جمّة ، من الصدق و الوفاء و الامانه ، و الخوف و الرجاء و الشكر . و الصبر و الاخلاص و المودة ، و التوكل و التفويض و المحبة و الشوق ، و الرأفة و الاحسان ، كلها من حالات النفس ابرزها الشارع احكاماً و منهاجاً للبشرية ، فما فى نفسك قد ابداه برسوم التكليف و التشريع ، فستنتك ايها الانسان من نفسك ، و نظامك من عقلك . و ان تلك الفضائل و الاثار و الارادات و الخلوص قد ابرزها ديننا للمسلم ، و

جعلها القرآن هي الهدف من الرسالة، وبعثة الانبياء واذا ظهرت تلك الفضائل واستحكمت تلك المناقب ، كان الانسان خليفة الله في ارضه ومثاله في هذا العالم ، وفاق على الموجودات ، حتى على الملائكة ، حيث ان طاعة ابن آدم طاعة اختيار ورغبة . وما كان الله ليجبره على عمله ، ولا يأخذ على يده فهو الصفوة من المخلوقين وهو المتخلق باخلاق الله والدائم بدوامه ، واذا انعكس الفرض ، بان لم تتمثل تلك الفضائل في نفسه ، ولاتلك الملكات منطبعة بضميره ، فيكون اشر الموجودات ، دأبه الكذب والخيانة والتمرد والطغيان .

ولكن الله اراد به خيراً ، وجعل تلك الغرائز نظاماً له ، وحكم فوق غرائزه وبعثة انبيائه ورسله ، العقل السليم ، ليكبت تلك الرذائل النفسية والملكات الرديئة ويهتدى بنور الايمان ، ولطائف القرآن ، ويصل الى مراتب الانبياء والابرار من عباده ، وفقنا الله واياكم لمراضيه ...

التشريع الاسلامى يدعو الى العدل والاحسان

ان القرآن يأتى بعبارة موجزة ، ماقام عدل فى امة ولاكرامة فى قطر ، الافى
اعتناق قاعدتين ، اذا جمع العبد بينهما ، تحقق كل كمال ، واذا قام العدل فيها ،
ولم يقم الاحسان ، كانت حياتهما مضطربة ، تعيش فى صعوبة وعناء وان لم يكن هنا
ظلم ولا جور .

والقرآن الكريم يلفت انظار الامم للقاعدتين وهما ، قاعدة العدل وقاعدة
الاحسان « ان الله يامر بالعدل والاحسان » .

فيأمر القرآن بالقاعدتين مدى الحياة ، فقاعدة العدل ترفع الظلم والجور ،
وقاعدة الاحسان تثبت الشفقة والرحمة ، والعطف بين الامة ، حيث يقول تعالى
«هل جزاء الاحسان الا الاحسان » .

ان الله احسن اليك فى ايجادك ، وجسمك وعقلك وجبلتك ، وبروح تسيرك
على هذا الكواكب فهو احسان ملك قادر عطف ووف رحيم ، فماجزاء احسانه الا
الاحسان ، وهل هناك احسان على الله جل وعلا ، كلا ، بل انما اراد منهم الطاعة ،
ويعود نفعها اليهم ، وعدعود النفع والطاعة احساناً من العبد عليه ، ولم يقل تعالى
انار بكم على رغبم آنا فكم ، ولا انامولاكم بالقهر عليكم ، والارغمتكم ، ولم يخاطب
عباده بهذا الخطاب الجاف الذى يخاطب بعض الناس بعضاً بهذا اللسان ، بل قال

وماجزاء الاحسان الا الاحسان حيث تتقلب النفوس فى نعم الله مدى الحياة بجسم صحيح وعقل مستقيم ونعم وافرة وكرامات قيمة مما شاهدتها الانسان فى بيته و فى اصدقائه واحبائه الى غير ذلك من النعم التى يشاهدها الانسان فى وطنه فما قال انى انعمت عليك بهذه النعم وانت مرغم فى طاعتى وحول الامر الى العبد فى الاختيار بالطاعة والعصيان بل عبر تعالى بكمال الاداب .

فالكتاب دراسة وتعليم واخلاق، وعلى الدوام فالقرآن يؤكدهاتين القاعدتين وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم بقوله افلا يتفكرون افلا يتدبرون ، فتجد على ممر الكتاب ينبه الانسان عن غفلته وسنة النوم فى عقله فيدرك الانسان الشئ على وجه البرهان وتارة يدرکه بحاسة الضمير والوجدان .

وهاتان القاعدتان اعنى برهان العدل والاحسان هما ميزان التوحيد والنبوة هما ميزان العمل الصالح ميزان الصدق والامانه ميزان الدين والتقوى ميزان الاجتماع والاقتصاد ميزان التكامل والاخلاق .

فجاء القرآن يؤكدها هذا المعنى وعبر عن ذلك افلا يتفكرون - افلا يتدبرون فجعل من نفسك لنفسك دليلاً ولو لا العقل والجهاز البشرى للانسان ما عرف الانسان التوحيد وما عرف النبوات والرسالات ولو لا هذا الجهاز العقلى ما عرف الصحيح من السقيم ولا الضار من النافع و لانتشرت دعوة الانبياء .

فاذا قامت على الدعوى جذور العلم او على حكومة الوجدان والضمير كان الامر محكماً والافهوباطل لان المراد ان تقوم جذور الدعوة على العلم والبرهان اذ لولا ذلك لقبيل دعوة كل مدع .

اذاً فالضابط ان يقيم الانسان على مطلوبه البرهان والا كان مناقضاً لدعواه ،

و هل يمكن ان يقول قائل باجتماع الضدين او النقيضين ، كالوجود والعدم ، اوشىء يتدرج فى الوجود ، و ليس له نهاية ، اذلابدان يقف الباحث ، على نقطة فى آخر المخط .

فلو ان خطأ تخيل لك ان لاينتهى الى نقطة ، اكنت تصدق ذلك ، كلا ، بل تقول ، هذاتسلسل ، وهذا امر غير مقبول وباطل .

وحينئذ البرهان العقلى ، دليل يعبر عنه العقل فى موارده باجتماع الضدين او النقيضين او المثلين او الدور او التسلسل ، وهذا مانسميه برهاناً عقلياً ، و آخر ما نسميه بالعقل الوجدانى ، مثلاً اذا وجدت رجلاً احسن الى آخر ، فكان الاخر ، لا يحسن صحبته ، تقول لم يجارى هذا باحسانه ، اما اذا بادركل منهما بالاحسان ، فنقول ، جزاء الاحسان هو الاحسان ، فهذه احكام وجدانية عقلية .

اما اذا اتى شخص قد ضرب من غير سبب ارتكبه فتقول جائه الضرر ، وهو غير مستحق له ، واذا رأيت رجلاً لا يحترم آخر ويهينه فى المحافل ، فتقول هذا ظلم وجور .

فما هذه الاحكام الادراكات العقل السوجدانى وحس الضمير بالاشياء عند التصور .

فالعقل له حكومتان ، حكومة استدلالية برهانية وحكومة وجدانية ، ولذا يقال اذا لم يكن عندك ضمير ، اى ليس عندك ذلك النور الالهى والموهبة الخاصة فليس لك موهبة وجدانية ، ولا ادراك ضمير .

اما اذا قام البرهان والاستدلال ، فيقال هذا الامر استدلالى . وثانياً كل تشريع فى ملة ودين ، ان لم يعضد ببرهان عقلى او حكم وجدانى ، فاقرء لذلك التشريع

ولذا عرفنا الموجد الخالق بالعقل وعرفنا النبوة والمعاد بالعقل .

نعم تخرج عن نطاق العقل ويختلف ما يصطلح عليه الفقهاء بالامور التعبدية فان العقل البشرى لا يدركها فكيف يدرك العقل لصلاة الصبح ركعتين وللظهر اربع والمغرب ثلاث وهكذا وكيف يدرك الهرولة بين الصفا والمروة والطواف حول البيت والاحرام والوقوف في عرفات والمشعر ورمي الجمرات في منى الى غير ذلك فانها تعبدية وليست تحت حكم العقل برهاناً او وجداناً

والعقل يدرك التوحيد والموجد ويدرك الاحتياج الى النبوات والرسول نعم يدرك ان هناك عالم مصالح ومفاسد واذا جزم بالمصلحة والمفسدة اذا خاطبه المولى بالوجوب او الترك جزم بالطاعة والانقياد اذ العالم بالغيوب وهو الله هو المطلع على المفاسد والمصالح وهو الحاكم بالتشريع

الافانظر اذا كنت مريضاً وراجعت الطبيب الحاذق وعين لك الدواء فلا يحسن لك ان تقول كيف تتركب الدواء وكيف يستعمل لهذا المرض فتناقش الطبيب بالمرض او العلاج ولا يسعك ان تقول هذا دوائي دون ذلك ولا يصح ان تقول للطبيب ان علاجي في هذا الدواء الخاص حيث ان المريض لا يعرف المرض ولا يعرف كيفية العلاج ولا يصح لك ان تقول كيف ركبت اجزاء الدواء

نعم يدرك العقل بوجدانه وضميره ان لا يخون الامانة ولا يكذب في القول وان لا يذيع السر فان هذه الامور مما يحكم فيها العقل ويدركها و شرعتها

حيث ان هذه الامور قد جاء التكليف على طبقها وهي على وفق النظام النفسى والاجتماعى ، فى جميع المعاملات قائمة بالوجدان والضمير ، كمعاملات البيع و الشراء والشركات والمضاربة ، والاقاف ، والوصايا .

وكل هذه الامور قائمة بالامانة ، والامانة شىء يحكم العقل بادائها و حفظها فضلا عن الشارع المقدس .

وبكلمة موجزة ، ان الاديان جميعاً ، تؤكد هذا المعنى ...

* (اعجاز القرآن) *

القرآن معجزة الدهور ، واعجازه من نواحي شتى ، اعجازه من ناحية الفصاحة والبلاغة ، واعجازه من حيث الاخلاق ، والاقتصاد ، واعجازه من حيث الغيب و من سيرة الانبياء ، واذ انظرت الى القرآن وجدته معجزة من جميع نواحيه ، من غيبه واحكامه ، من حيث اقتصاد ، واخلاقه ، ومن حيث عبره وامثاله ، ومن حيث اخباره عن عالم الطبيعة ، الى غير ذلك .

فالاعجاز هو حجة الانبياء على الامم ، والبرهان على سائر الناس ، وبالمعجزة يظهر صدق النبوة ، فاذا ادعى النبوة شخص وجاء بالمعجزة صدق ذلك النبي ، والمعجزة هي ايجاد الشيء لامن طريق الطبيعة وتعلم الفنون .

اما الاعجاز ، فضع يدك على كل آية ، تراها في غاية الاعجاز ، و نهاية البلاغة لانه يحكيه خطابة ، ولاشعر بليغ وامان حيث اخباره عن الغيب كآية الروم و آيات المواقيت و اذا جاء نصر الله والفتح وذكر الانبياء والذي لم يذكروا في غير القرآن الكريم فقد تقدم بيانه وقال تعالى (فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين).

وقد جاءت هذه الاية الكريمة في اول دعوته حينما كان المشركون هم المتغلبون عليه ، وحينما يمر النبي (ص) يستهزئون به و بأقواله ، وقال تعالى « وان يعدكم الله

احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

نزلت هذه الاية ، فى واقعه بدر ، حينما كان المسلمون فى قلة عدد وضعف ، والمشركون فى قوة وشوكة ولم يكن للمسلمين فرس ، الا فرس واحد للمقداد ولزبير فرس ايضاً و المشركون فى كثرة من عدد الخيل و الرجال ، ولم يظن احد فى انهزام المشركين وظفر المسلمين .

وفى هذا الحال اوعدت الاية الكريمة ، بنصرهم وظفرهم ، قال تعالى « هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فان الاية الشريفة صرحت بظهور الاسلام على الباطل ، وان الله يظهر دينه ولو كره المشركون.

وان سورة تبت يد ابى لهب ، قد صرحت بانه وزوجته لا يتوقفان الى الاسلام وانهما يموتان على الكفر ويدخلان النار ...

* (العقل البشرى فى تفسير القران) *

اعلم ان للقران فى بعض آياته ظواهر ، وهذا يرجع فيه الى ابناء المحاوره وفهم المراد من المعنى ، وان الاخذ بالظواهر ، خارج عن معنى التفسير ، لان التفسير ، هو كشف الغطاء عن شىء والظواهر اذا تمت شروطها اخذ بها ، ولا تعتبر تفسيراً ، واما التفسير فهو كشف الغطاء والمعنى الخفى .

واما المتشابهات فلا يمكن ان يؤخذ بها ايضاً ، ومعرفتها مو كول السى اهل البيت (ع) والبحث هنا يقع ، ان التفسير للقرآن هل يختص بالاخبار القطعية المتواترة او يشمل الخبر الموثوق به ، وان لم يكن متواتراً او مقطوعاً به ، ويخرج عن عموم اتباع الظن .

وقوله ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، قل الله اذن لكم ام على الله تفترون ، و قوله ان هم الايظنون ، ان هم الايخرسون ، وان الظن لا يغنى عن الحق شيئاً . فلا يقع التفسير الا بالمتواتر والمقطوع به ، او يشمل ما قام الدليل على حججه من الاخبار الموثوق بها ، او أنها منزلة منزلة العلم .

ذهب بعضهم الى اعتبار التواتر ، والمقطوع به وآخرون الى صحة التفسير
بخبير الثقة ، والتحقيق هو التفصيل فى المقام .

وبيانه ان مقتضى حجية خبر الواحد ، والدليل على اعتباره ، هو تخصيص
الكتاب به ، فان كلا من ظهور الكتاب وخبر الواحد من الظن الاطمئنانى ، والعلم
العادى ، الذى قام العرف على الاخذ به ، فاذا جاء الخبر المعتبر ، خصص العموم
اوقيده ، كما هو مقتضى ما عليه التفاهم العرفى .

وكون الكتاب المجيد قطعى الصدور ، فلا ينافى تقديم الخاص على دلالة
الاية ، من عموم او اطلاق ، لان كلا منهما من باب الظن والاطمئنان .

وان كان الكتاب قطعى الصدور ، فان قطعية الصدور لا ترتبط بجهة تقديم
الخبر المخصص والمقيد للعموم والاطلاق ، فلا ارتباط لاحد الباحثين بالآخر ،
اذ تلك من حيث الصدور ، وهذه من حيث الدلالة والظهور ، وقديظهر من بعض
علماء العامة ، عدم جواز ذلك .

ولكن على ما بنت عليه الامامية ، هو ان رسول الله (ص) قد خلف الثقيلين ،
كتاب الله والعترة ، وهو قبول قول العترة ، فى تخصيص الكتاب و تقييده ، و ثانياً
ان فى الاخبار التى هى مقدمة على الاخبار الاخر ، من عرضها على الكتاب دال على
حجية الخبر ، حتى فى صورة المعارضة .

وان كان عند التأمل ان حمل العموم على الخصوص والاطلاق على التقييد
ليس من باب المعارضة ، لما اثبتناه فى علم الاصول ؛ ان مقتضى فهم ابناء المحاوراة
واللغة ، هو حمل العموم على التخصيص والاطلاق على التقييد ، وهذا ليس من
باب التعارض اصلاً كما هو واضح فى فنه .

ولكن يبقى الكلام ، ان الخبر الواحد ، وان قام الدليل على اعتباره تعبداً ،
ومقتضى ذلك تقديمه على ظواهر الكتاب .

ولكن يقع التردد ، فيما عدى الموضوعات الشرعية و الاحكام الشرعية ،
فى شمول التعبد لها ، وهو محل تأمل .

ولاسيما اذا كان من الامور العقائدية ، او ما يتبعها كحالات القيمة و الثواب
والعقاب من الجنة والنار فان ثبوت حجية الخبر الواحد عندنا فى هذه الموارد
محل تأمل .

ويخرج عن عنوان التخصص والتقييد جميع ابواب التوحيد و النبوة و
الامامة والمعاد فانه يتعين فيها الاخذ باليقين وليست هى من باب الظنون و اخبار
الاحاد كما هو واضح .

فالمسئلة تقتضى التفصيل فيعتبر الخبر الواحد فى الاحكام و الموضوعات
الشرعية ويخرج قطعاً من باب العقائد من التوحيد و النبوة و الامامة و المعاد و يبقى
الاخبارات عن الحوادث و قصص الانبياء و اثبات المعاجز و الكرامات و نحوها .

وبناء على ما ذهبنا اليه يشكل اعتبار حجيه خبر الواحد وان كان يظهر من
اعلام المفسرين شمول حجية خبر الواحد لجميع الايات من الاحكام و الموضوعات
والعقائد وان ظهور الادلة فى حجية خبر الواحد الهدف منها اتجاهاها الى الاحكام
والموضوعات الشرعية .

واعلم ان للقرآن اتجاهات ، الاتجاه الى البلاغة و

الاعجاز وبالبلاغة والاعجاز اقر فصحاء العرب وبلغائهم الى انه كتاب من الله منزل ولا يمكن تأليفه من البشر بتاتا وكم اخرس القران من بليغ والجم من فصيح ولو لم يكن اعجازه وبلاغته لصعب على العرب التصديق به والاتجاه الفلسفي وهو ما تتضمنه الايات في علم الفلسفة من توحيد ذاته المقدسة وصفاته وافعاله وعبادته والى اخلاقه والى تربية النفس وعلم النفس والى عالم الوجود والامكان والى التوجه الى سلسلة الكون من عقول ونفوس وماديات واجتماع واقتصاد ومن باب العلل والمعلولات و كيفية العلم وطواره والى بيان الحركة الجوهرية فى عالم الطبيعه مما لا يصل اليه العقل الا بالتعليم .

الاتجاه الى ان القرآن الكريم كثيراً ما يفسر بعضه بعضاً، الاتجاه الى ما ورد عن الرسول الاعظم وآله الكرام واصحابه الصالحين من التفسير للايات الشريفة .

اما الاتجاه من حيث البلاغة ومن الفلسفة والعرفان و من حيث تفسير بعضه لبعض فيمكن للعقل ادراكها والوصول اليها لانها طرق معلومة للبشر وفنون يعرفها العقل على حسب مراتب العقول .

اما التفسير : ويراد به الكشف عن اسرار الايات وعن المعانى الغامضة و الخفية ، فلا يمكن وصول عقول البشر اليها ، ولا بد من اخذ من الرسول واهل بيته ، والا كان تهجماً على الغيب ، او قياساً ظنياً ، او استحساناً فكرياً .

وعند ذلك فتنطبق ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وان هم الا يظنون ، ويخرون .

فالتفسير للايات والتأويل لها ومعرفة اسرارها واهدافها الخفية ، لا يمكن الاطلاع عليه ، الا من طريق الرسول الاعظم (ص) وائمه الهدى (ع) والافهو تخرص على الغيب .

ولذا عبرنا عن كتابنا بالعقل البشري ، لبيان القرآن ، على قدر استعداد العقول
وقابلياتها .

ولا يصح لاحد من المسلمين ، ان يفسر القرآن برأيه ، وان من فسر القرآن
برأيه ، فليتبوء مقعده من النار ، واما اسرار القرآن وتأويلاته ، فهو موكول في معرفتها
الى اهل البيت عليهم السلام ...

* (القرآن باللغة العربية) *

انا انزلناه قرآنا عربياً ، ولم يقل القرآن الكريم ، ان القرآن عربى ، ان المقصود من الاية الكريمة الفات النظر ، بان حقيقة القرآن ، هى تلك الالهامات والوحى الذى تلقاه الرسول (ص) ليلة المعراج ، ونزل به جبرئيل (ع) فى ليلة القدر وغيرها .

وان القرآن الكريم عند ماأتى فى مقام التبليغ والبيان لاتحيط به سائر اللغات وانما تحيط به اللغة العربية لاتساعها واعجازها فى البيان ، وهذا هو المشاهد ، عندمايراجع الانسان اللغة العربية وسائر اللغات ، فان اللغة العربية فى غاية التكامل ، التى لاتحيط بها لغة اخرى ، من الافادة والاستفادة .

ومن هناعبر القرآن الكريم فى الاية ، انا انزلناه قرآناً عربياً ، الفاتاً لنظر القارئین والمستمعين ، ان بيان ذلك الوحى وتلك الالهامات ، لاتكشفها على طريق الاعجاز الالغة العربية .

فالقرآن هو الالهام الذى القى على قلب الرسول ليلة المعراج ، والوحى الذى جاء به جبرئيل ان يتلى بالاعجاز باللغة العربية .

فاذاً القرآن قبل ان يكون بهذه اللغة ، هو قرآن وحى و الهام ، و قبل ان يتكيف بلغة العرب .

وان لقائل يقول ، ما فضل هذه اللغة العربية على سائر اللغات اذ القرآن الحقيقى قبل التعبير عنه ، هو الالهام والوحى لتلك المفاهيم التى تأتى للرسول الاعظم(ص) وليس مجيئه باللغة العربية مزيد فائدة ، ولكن الناظر بعين الحقيقة يرى ان اللغة العربية اوسع دائرة من سائر اللغات ، و اكمل اعجازاً فى البيان ، كما هو المشاهد .

فان كثيراً من اللغات تكون الفاظها اوسع دائرة من المعانى ، او انها اقصر عن اداء المعانى ، الابالفاظ مجازية او كناية .

و اذا نظر الانسان بعين الحقيقة ، يرى ان اللغة العربية ، هى ابلغ اعجازاً فى تأدية المعنى ، و اوضح فصاحة فى ابراز المفاهيم ، على وجه التطابق ، بين الالفاظ والمعانى وعلى اداء المعانى بصورة الاعجاز ، التى لا تتكفلها اى لغة كانت .

و من هذه الناحية ، بعث القرآن باللغة العربية لان اللغة العربية ، هى اوج البيان واعلى مراتب الدلالات والاعجاز .

و كان النبى (ص) عربياً من هذه الناحية اذ النبى (ص) منتهى التكوين فى وجود الممكنات ، و لا بد ان تتكامل فيه الكمالات النفسية ، حتى فى لغته و بيبانه .

و اذا قسنا اللغة العربية ، فى اداء المفاهيم ، و كشف الحقائق ، و استعمال المعجازات والكنايات ، و الاستعارة و الالتفات و اختلاف كيفيات الجمل من المفاعيل و الحال و التمييز و الاستثناء و سائر الاضافات ، هى اوسع بكثير من اى لغة كانت و اوصل الى دقائق المعانى من غيرها .

فلذى نزل القرآن اعنى ذلك الوحى الالهى باللغة العربية لانه لا تنفى به سائر

اللغات ، على تعددها وكثرتها .

فالقرآن حقيقته الوحي الالهي والالهام المعبر عنه بلغة العرب ، ولما كان هذا الكتاب الكريم متكفلا بجميع شئون الحياة ولكل ما تحتاج اليه البشرية من نظام في النشاطين ، في الدنيا والاخرة ، جاء به الرسول الاعظم (ص) لتكامل ذاته مع التشريع ...

* (لا تفسير للقرآن) *

هل القرآن الكريم عندما جاء بجميع اسراره وعقائده واضحة للعالم البشرى ام جاء القرآن ليستخدمه ، على حسب عقول الناس وآرائهم والى ما يصلون اليه من افهامهم ، انا نختار فى هذا الموضوع ، ان لا نفسر هناك حقيقى للقرآن ، وليس للبشر طريقاً كاملاً فى معرفته واسراره ، الا لمن بعث اليه ، وهو الرسول الاعظم (ص) والنقباء من اهل بيته (ع) .

والبشر انما يستفيدون من القرآن ، على حسب ادراك عقولهم ، وتوجهات نفوسهم ، وان كان عامة الناس يفهمون نصوصه وظواهره ، ويستفيدون احكامه و تشريعاته ، ويصلون الى مزايا تلك الظهورات ، ونكات تلك النصوص وانما البحث هنا بما وراء النص والظهور ، اذاً فاسمع توضيح ذلك .

انا اشرنا اليك فى بحثنا السابق ، ان القرآن هو المعجزة ، وفى غاية الاعجاز وان هذا الكتاب الكريم هو الذى يطابق نفسية ذلك الرسول ، ولا يجوز ان يكون اقل تشريعاً من نفسية الرسول ، ولانفسية الرسول (ص) اوسع نطاقاً من هذا التشريع فلا بد من التطابق بين الرسول والرسالة على وجه تطابق المرآت مع المرئى .

ومن هنا يتضح لك ، ان القرآن الكريم لا يمكن تفسيره ولا تأويله على الوجه الاكمل الذى جاء به الوحي من احد من البشر الا من انزل عليه وهو النبي الكريم (ص) واهل بيته (ع) ولا يستفيد الناس من القرآن الكريم الا بمقدار عقولهم نظير الضياء الذى يحمل اشعة الشمس فكل باصرة تستفيد منه بمقدار تلك الباصرة لان الوجود الضعيف لا يسعه ان يحيط بالوجود الاكمل كما لا يحيط النور الضعيف بالنور الاत्म وهذه سنة الله تعالى فى خلقه ان لكل وجود استعداد وكمال لا يمكن ان يتعداه الى حد آخر .

ولما جاء القرآن الكريم ، فلا يمكن للبشر باستطاعتهم ان يفهموه كما انزل على مافيه من اسرار ومزايا ، اذ كل شامة تشم رائحة الطيب على مقدارها لا باكثر من ذلك واذا كانت شامة الانسان ضعيفة فلا يمكن ان يشم الرائحة الجيدة كما هي هكذا فى المحسوسات من الشامة والناظرة والذائقة واللامسة وهكذا العقل بمقدار ما يحيط به .

نعم خلق الانسان وهو يدرك البرهانيات والوجدانيات و يدرك الظواهر و النصوص و يدرك المحكم والعبر والتشريع ولكن هنا معنى ان القرآن باسراؤه وحكمه وما اشتمل عليه من مزايا ونكات هل يمكن الاطلاع عليه من تفسير او تأويل فنقول كلا البشر فى هذه الناحية يعجز عن هذه المعرفة الكاملة المحيطة بالاسرار .

قال الامام الصادق (ع) لا يعرف القرآن الا من خوطب به و من المعلوم ان من خوطب به هو النبي (ص) واهل بيته (ع) اما ساير الناس ، فيقول لا يدركونه بحقيقته ، بل يدركونه بحسب عقولهم وبصائرهم .

واجمال البحث ان القرآن على جزالة الفاظه وغموض اسرار تلك النصوص وله ظواهر يفهم الناس منه ظواهره ونصوصه فى اى باب وقعت تلك النصوص

و ان الظواهر من ابواب الفقه كالمعاملات والمواريث والاحكام وغيره وامثاله و
تربيته و اخلاقه وهذا المعنى يشترك فيه كل عارف فى اللغة العربية و اردأ فى البلاغة
والفصاحة و الالما كان معجزة يعجز عنه البشر اذا كان كله مجملا .

فالبشر انما يعجز حينما يفهم هذا الخطاب باول نظرة وتأمل و لكن اذا امعن
الانسان النظر فى الكتاب المبين و جده مملوء من الاسرار ، مغموراً بامور يعجز
عنها البشر .

فلامنافات بين عدم الوصول الى اسراره و ان ليس هناك للقرآن تفسير و
وبين ان يعرف الناس نصوصه و ظواهره و فصاحته و بلاغته و اخلاقه و غيره و ان عجزوا
عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فاذا قلنا ان لا تفسير للقرآن واقعاً و ان لا يعرفه الامن خو طب به فكلام حق
و اذا قلنا يعرفه العربى فيقصد من ذلك معرفته من حيث الاوضاع العربية و تراكيبه
و معرفة فصاحته و بلاغته و ظهوره و نصوصه فلامنافات بين الامرين بين الاخذ بالظواهر
و النصوص و بين عدم الوصول الى اسراره و مزاياه .

و كلما تأمل الانسان فى آياته و حكمه ازداد غموضاً و تعجباً و عرف انه لا يصل
الى تلك الاسرار و لالى تلك المزايا الغريبة .

و من هنا كان القرآن معجزة الدهور اذ كل جيل و عصر يفهمون منه نكاتاً
غير العصر الاول و على هذا فاذا قلنا هذا تفسير القرآن فنقصد به الى مثل كتابة الشيخ
الطوسى و الى ما كتبه الفيض الكاشانى و الى تفسير الطبرسى و الرازى او نحو ذلك
اى انهم عرفوا القرآن بمقدار ما وصلوا اليه .

و كيف يصل الانسان المسارى الى منتهى الاعجاز من ناحية الله سبحانه
و تعالى .

ونقصد ان تفسيره بمقتضى ادراك ذلك المؤلف من مزاياه و الافلو وصل البشر
الى حقيقته غير الرسول واهل بيته عليهم السلام لما كان فى منتهى الاعجاز .
وغيرنا ليس انكار ظواهر للقرآن الكريم ونصومه ولا انكار تفاسيره ولا
ان الناس لا يعرفون منه الا الاقتصاد والتشريع والاخلاق وعلم النفس وانما نقول ذلك فى
اسراره ونكاته التى لا يصل اليه البشر

* (حدوث القرآن وقدمه) *

ان البحث يستدعى مقدمة وهى ان صفات الواجب على ثلاثة انحاء :

النحو الاول الصفات الايجابية الثبوتية وهى عين ذاته المقدسة من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر .

النحو الثانى - الصفات السلبية وهى التى تفيد التنزيه عن الصفات الامكانية من الامكان والحدوث والتغير .

اما الاشاعرة يقولون ان الصفات الثبوتية غير الذات ولكن تلازمها فى عالم الازل واما ما حرره فلاسفة الامامية كصدر المتألهين والمحقق نصير السدين و الشيخ الرئيس قديماً وحديثاً متحدة مع الذات وسيأتى توضيح ذلك فى محله .

النحو الثالث : الصفات الفعلية من كونه خالقاً ورازقاً ومحي ومميت وملكهم والميزان فى الصفات الايجابية والسلبية والصفات الفعلية .

ان الصفات الثبوتية والسلبية لا يصح سلبها فى حال من الاحوال ، وهى عين الذات ووفور الوجود والنزاهة عن الامكان و الحدوث فلا يصح سلبها فى اى حال و هذه بخلاف الصفات الفعلية فان الصفات الفعلية ما صح اثباتها فى حين دون حين ، وسلبها فى وقت دون آخر، تقول خلق الله البشر والحيوانات واسم يخلق

العنقاء ، ورزق فلاناً ولم يرزق فلاناً وكلم الله موسى تكليماً ولم يكلم غيره من
الانبياء فصحة السلب فى بعض الاحوال تدل على انها ليست من الصفات الذاتية
للحق تعالى .

وان الاشاعرة اثبتوا للحق التكلم ، وان التكلم من الصفات الذاتية ، ووقع
التردد ، فى معنى التكلم عندهم فهل هو نظير الصور الذهنية فى مقام الاخبار و
الحكاية اوانه كالصفات النفسية من التمنى والترجى من المعانى الانشائية او من
قبيل الحديث النفسى ، كما تقول حدثتني نفسى ، اوانه من قبيل النسب والاضافات
كما ذهب اليه المحقق الرشتى فى بدايعه فى فهم كلامهم ، فان رجوع الى الادراك
والصفات النفسية ، او الحديث النفسى كان التكلم نحواً من العلم .

واذا كان نحواً من العلم لا بد وان يكون عين ذاته لاصورة مخلوقة لنفسه نظير
ما تخلقه النفس من الصور فلا يكون التكلم صفة مستقلة ، وانما هو علم ولا بد ان
يكون عين ذاته .

واما ان يكون كما فهمه المحقق الرشتى من انه من النسب والاضافات وان
النسب والاضافات ، معان حرفية ، وتعالى الله ان يكون مقوم ذاته المعانى الحرفية
او تعرض عليه وان التكلم حقيقته فعل من افعاله كالخلق والرزق وهذا الذى ذهبت
اليه الامامية وقام عليه البرهان .

وقد افترط بعض الاشاعرة فذهب ان الكتاب الكريم كلامه وهو عين ذاته وان
جلده قديم ايضاً .

ومن اضواء ذلك يظهر بطلان ما تمسكوا به وان الفاظ العبارات كاشفة عنه ،
كما قال الاخطل .

ان الكلام لى الفواد و انما جعل اللسان على الفواد دليلاً

فان هذا نحو من التصور فيرجع الكلام النفسى الى الصور الذهنية و على

الكيفيات اللفظية قال تعالى (واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور)
فان الآية عبرت عن الصورة الذهنية في القول واما قول الاشاعرة ان هيئة اسم الفاعل
وضعت لافادة قيام المبدأ بالذات قيام الوصف بالموصوف فهو خطأ بين فان الهيئة
انما تفيد قيام المبدأ بالذات نحو من القيام .

اما خصوصيات القيام ، من كونها ايجادية او حلولية ، او غيرهما ، فهي غير
مأخوذة من مفاد الهيئة ، وهي تختلف باختلاف الموارد ، ولا تدخل تحت
ضابط كلي .

وقد اوضحنا البحث ، في مباحثنا الاصولية من المحاكمات (١) على وجه
التفصيل ، في مبحث اتحاد الطلب والارادة ، وعدم الاتحاد .

واجمالا ان التكلم اذا رجع الى صفات الحق الثبوتية فليس هناك دليل يثبت
والدليل على خلافه .

ويرجع في الحقيقة الى الصور العلمية ، في باب الخبر والتصديق ، والى
الصفات النفسية في باب الانشآت ، من التمنى والترجي والاستفهام ونحوها .
وسياتى قريبا انشاء الله تعالى في الايات الدالة على صفات الله مزيد توضيح .

(١) من مؤلفات ولدنا العلامة الشيخ محمد .

* (القرآن ومعاجز الانبياء) *

اذ انظرت الى القرآن الكريم ، وجدته معجزة من جميع نواحيه ، بما لا يمكن للبشر أن يتوا بمثله ، واذا نظرت الى معاجز الانبياء وجدتها موقنة ومحدودة لان نبوتهم ليست على ممر العصور والاجيال .

ولما كانت نبوة هذا النبي الكريم (ص) دائمة باقية فلا بد ان تشهد فى كل عصر ، واذا شاهدها اهل العصور والاجيال وجدوا بلاغة وفصاحة ، بما يعجز عنها البشر ، ووجدوا غيباً قد كشفته الايام ، كجعل المواقيت ، وقصة السروم و الاخبار بانبياء لا يعرفهم الناس واشعار اذا جاء نصر الله والفتح ، بانتهاء مدة الرسول (ص) وشاهدوا احكاماً على ممر الاجيال ، وقانوناً كلياً ، يحفظ العصور ولا يجدوا من هذا شيئاً فى التورات والانجيل .

ولما جاء هذا النبي الكريم (ص) والعرب على بعد من الحق وتباعد عن النبوات اخذ قلوبهم وجمعهم على الهدى بعد ان كان من جبلاتهم عبادة الاصنام والحروب القاسية والتنافر والبغضاء فانقلبوا من الباطل الى الحق يفدون انفسهم و اموالهم و اولادهم ، ازاء اثبات هذا الحق الدائم ورسالة السماء والكتاب المنزل ، وان كلمة المقداد لرسول الله (ص) حين شاور المسلمين فى الخروج الى بدر ، شاهد عدل ،

على ماقلنا ، يا رسول الله امضى لما امرك الله تعالى ، فنحن معك ، والله لانقول لك كماقالت بنو اسرائيل لموسى (ع) اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن نقول لك اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

فوالذى بعثك بالحق ، لوسرت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة الحبشه لجاهدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله (ص) خيراً ودعى له بخير(١) .

واذا لاحظ الانسان ان رجلا امياً فى الظاهر قد نشأ بين اقوام لا يعرفون الا الهمجية والشحناء قد جبلوا على عبادة الاصنام وعلى البغضاء بينهم وتراهم قد ارتكبوا كل جريمة بحيث كان الرجل اذا ولدت له بنت دفنها وهى حية ليس فى بلادهم معارف ولا تعاليم بل لو كانت هناك معارف وتعاليم لما جرى منهم ذلك .

وبينما كان العرب بهذه الحالة من عدم الثقافة والمعارف اذ خرج من بينهم شخص ظاهره الامية قد جاء بكتاب ينبأ عن الجليل ويتحدث عن صفاته وقدرته و افعاله ويتحدث عن كرامة الانبياء بما لا تبلغه العقول .

انظر الى آيات التوحيد ، والى آيات تنزيه الانبياء وكرامتهم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، ونعم العبدانه اواب و قربناه نجياً) وبيان تعدد المخلسوقات و حكمتها (ان فى خلق السموات والارض لايات لقوم يتفكرون ، و ذكر آداب الانبياء و تحملهم من قومهم .

ولما كان القرآن ، لانظير له فى الكتب السماوية وقد قام على التربية والتعليم ، والاخذ بيد الانسان الى اوج الكمال ، من غير اختصاص بعصر من العصور او جيل من الاجيال ، فأخذ النبي (ص) بهذا الكتاب قلوب الناس ، وصاروا بعد البغضاء احباء ، وبعد عبادة الاصنام العبادة لله تعالى على الوجه الاكمل ، وصاروا يتسابقون الى

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٤٠ الطبعة الثانية .

الفناء ، لاقامة الحججة والدين واثبات رسالة السماء على وجه الارض ، واصبحوا
بنعمة الله اخواناً على سرر متقابلين لا يخافون سلطاناً ولا يهابون حاكماً ، وقد
شاهدوا من هذا الكتاب حقائق الامور ، وقاموا يتفانون في حب رسول الله (ص).

وان من اخلص الى الله لم يتغير ولم يتبدل وقامت الدعوة وقد اخذت اقطار
الارض وآفاق السماء في زمن يسير لا يتجاوز الثمانين سنة كل ذلك لصدق الدعوة
وظهورها واقامة الكتاب العزيز في المعاجز واخبار الغيب ونحو ذلك وعندما ترى
سيرة المسلمين وتقدمهم في الاسلام لا ترى لهم نظيراً في امة موسى ولا عيسى ولا نوح
ولا ابراهيم عليهم السلام كل ذلك من لطف النبوة وعظمة التشريع من الكتاب
المجيد ...

* (لا اختلاف فى القرآن) *

ان من تمام اعجاز هذا الكتاب المجيد انه نزل بروجا وفى وقائع وحوادث لا يرتبط بعضها ببعض ومع هذا كله تجده متحد المآل على اختلاف الوقائع و الحوادث.

وترى القضية الواحدة حين يتكرر بيانها فى القرآن تجد فى كل آية خصوصية ومكانة غير الآية الاولى انظر الى قصة موسى وقد تكررت، تجدان الايات المتكررة قد اشتملت على السوعظ او التوبيخ او الرحمة او اللطف بما لا تشمل عليه الآية الاخرى .

الافانظر الى كلمة الوليد ابن المغيرة فى صفة القرآن حيث قال حين سألته ابو جهل ان يقول فى القرآن قولاً غير مناسب قال فما اقول فيه فوالله ما منكم رجل اعلم فى الاشعار منى ولا اعلم بجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ووالله ان لقوله لحلاوه وانه ليحطم ماتحته وانه ليعلو ولا يعلى عليه .

قال ابو جهل والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال الوليد فدعنى حتى افكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر عن غيره وفى بعض الروايات قال الوليد والله لقد

سمعت منه كلاماً ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، و انه ليعلو ولا يعلى عليه ، و
مايقول هذا بشر .

وانك اذا نظرت الى آيات القرآن الكريم ، وامعنت النظر بدقة فى آياته و
صوره لاتجد اختلافاً فى المؤدى ولاتجوزاً فى غير محله بل ترى الايات نوراً على
نور ترمى الى اهداف عالية واتجاهات الى منتهى الكمال ودروس تعليمية للبشرية
من نظام اجتماعى وخلقى واقتصادى و سياسياً وكلما فكر البشر فى الوصول الى
غايتهم رأيتهم لم يقطعوا نصف الطريق ولم يبلغوا سراره و كل يعرف القرآن بمقدار
معرفته ومرتبة كمال وجوده واذا قست اليه اى خطابة او شعر وجدتها لاتصلح ان تكون
من مبادئه فضلاً عن ان تكون فى مرتبته واتجاهاته .

كيف وقد قلنا سابقاً وبيننا ان منتهى التشريع لابدوان يأتى الى منتهى التكوين
وان يطابق التشريع التكويني فسيبحان من اعطى كل شىء على مقدار استعداده
وقابليته ...

* (الفلسفة القرآنية) *

ان الفلسفة فى القرآن ، لىس هى الفلسفة اليونانية الاغريقية وقد تشكلت
الفلسفة اليونانية ، واخذت اوجها من زمان افلاطون وارسطو ، من الحكماء
الاشراقيين والمشائين والرواقيين .

وقد بنيت فلسفة افلاطون على رهبانية الهند ومصر ، فهى فى مبدئها يونانية
وفى ختامها هندية ومصرية ، وقد التزموا بالعقول والنفوس الكلية ، والمثل
الافلاطونية .

وقد بينا فى « المثل الاعلى » انها خيالات واوهام وتحديد لقدرة الله وارادته
وعلمه ، وكل ذلك يتنافى وجود الحق الذى لاحد له ولا ماهية له .

وقد اخذ المسلمون فى زمان العباسيين ، بالفلسفة اليونانية ، فكفر بعضهم
بعضاً ، حتى ان المسلم اذا عرف شيئاً من فلسفتهم اخذه العجب بنفسه ورأى نفسه
مثالاً فى الارض ومجرداً فى عالم المادة ، واصبح من تعاطى الفلسفة يرى من لافلسفة
له لاقيمة له .

وعظم علماء الاسلام علماء اليونان بما لا يستحقونه فى التعظيم حيث دخل فى

اذهانهم عظمت فلاسفة اليونان ، كافلاطون وارسطو وجالينوس وغيرهم ، ونزهوهم عن الخطاء والاشتباه ، حتى ان فلاسفة اليونان قد فاجئت الاسلام ، قبل تنظيم علومه ومعارفه من القرآن الكريم .

ولكن التأمل والفحص السديق يرى ان الفلسفة الحققة ، هى ماجاء بها القرآن الكريم (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً).

وان الحكمة والفلسفة الحقيقية هى ما قامت على القضايا الاولية من معرفة الوجود وآثاره وخواصه ومن معرفة الماهية والسبق واللاحق والعللة والمعلول و الجوهر والعرض الى غير ذلك مما هو من البديهيات الاولية و البراهين القاطعة لاختيالات التفكير من العقول العشرة وترتيبها والمثل ونحوها فانها بعيدة عن الواقع والبراهين .

فنحن نعتبر من الفلسفة ما كان برهانياً واولياً كمعرفة الجواهر والاعراض و العلل والمعلولات والتقابل والوحدة والكثرة والوجود والعدم .

واذا خرجت الفلسفة عن حدود ذلك كانت اوهاماً وخيالات ولو كانت حقائماً لاكدها الانبياء والاولياء ، فالفلسفة التى بين ايدينا ، بين واقع واضح وحق مستقيم وهى التى جاء بها القرآن والانبياء والرسول ، واكدها الاولياء وبين خيالات يونانية ، لاتغنى عن الحق شيئاً فالفلسفة المقصودة لنا فى القرآن ما قامت على القضايا الاولية والبراهين الثابته ، وما جاءت به الرسول .

وسياتى لك ان شاء الله على المباحث الاتيه ان القرآن الكريم ، قد اقام الفلسفة القويمة واثبت الحكمة التى لانزول على ممر الاجيال والعصور .

وان الايات تشير الى الفلسفة الحققة وتؤكددها بالبرهان ، وان القرآن الكريم

يتعرض لما هو عليه قوام الانسان من الفلسفة الحقة ، وان الايات تدل على حقيقة الوجود الذى لانهاية له واعلى مراتب الوجود ، وانها مجرد ربط بوجود الحق تعالى وانها تصرح باسمائه وصفاته دون الفلسفة المستخرجة من قوانين الهند و اليونان .

وسياتى منا على ممر الايات اشتباه كثير من فلاسفة اليونان ، مما كشفت العصور عنها ، من كلمات ارسطو وافلاطون وغيرهما وان الحكمة اليونانية قبل افلاطون كانت حكمة اخلاقية ، كما عليه سقراط ، وطبيعية كما عليه غيره ثم تشكلت بعد مجيء افلاطون ، وتوجه الى الفلسفة ونظرياته المأخوذة من الهند ومصر بقوانين مبشرة ومطالب لا يرتبط بعضها ببعض .

الافانظر الى ما اسسه ارسطو فى علم المنطق فانك لاتجد الامسائل جزئية مبشرة لا يرتبط بعضها ببعض .

ولما جاء الاسلام رتبوا تلك المعلومات المبشرة بقوانين وفنون ووجوهها الى فن محكم من زمان الفارابى والشيخ الرئيس ونصير الدين الطوسى وابن رشد، ومع ذلك كله لم تكن قوانينها محكمة على وجه التأكيد حتى ظهر نابغة عصره صدر المتألهين فجعل الفلسفة فناً وقوانين على قواعد واسس قويمه ومع ذلك كله فقد اخذت الفلسفة اليونانية بعض عواطفه .

فالفلسفة بنظرنا بعد اتقانها وترتيب قوانينها بينما قد قام البرهان عليه والوجدان وبين مجرد خيالات لا ينبغى الاصغاء اليها خصوصاً بعدما قام البرهان فى هذه العصور على خلاف كثير منها .

و من الغريب ان الفلسفة اليونانية اثرت على بعض علماء العامة و الخاصة

حتى في تفاسيرهم للقرآن الكريم .

ولكن ينبغي ان يقف الانسان على حدود البرهان و ما قام عليه الوجدان

ويعتنى بالواقع لا بمن قال فالانسان ابن الدليل والله ولي التوفيق ...

* (المفسرون و التفسير) *

التفسير و ان اطلق العلماء التفسير على الظواهر و حجيتها ، الا ان دلالة الظواهر ، وفهم المعنى من الالفاظ الموضوعه لها و المتعارفة بين ابناء العرف ، ليس من التفسير فى شىء ، وانما التفسير هو اظهار المعنى الخفى و لسذا منع ائمة الهدى عن تفسير القرآن ، الا ان يؤخذ من الكتاب الكريم نفسه ، او من سنة الرسول (ص) وآله المعصومين (ع) و الافلايصح من طريق آخر و يكون من التفسير بالرأى و الاخذ بالظن و ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً .

و عند معرفة ما ذكرنا يقع البحث ، بان التفسير لا يصح الا بالاحاديث المتواترة و لا يقع بالاخبار الضعاف باتفاق المسلمين و انما البحث فى الاحاد ، فهل يقع بها التفسير ام لا .

ذهب الاكثرون الى صحة ذلك ، لان خبر الواحد الثقة او العادل ، اما علم عادى و قد امضاه الشارع او علم بنظر الشارع و اعتباره ، فهو علم فى عالم التشريع ، كما اختاره الاستاذ النائينى .

و اما ان يكون علماً تنزلياً تعبدياً ، كما هو المعروف بين علماء الاصول و اخترناه فى محله .

وعلى هذه المسالك الثلاثة من كونه علماً عادياً او علماً فى عالم التشريع و
اعتباره له ، او علماً تعبدياً وتنزيلاً على العلم الواقعى فعليها يقع التفسير بخبر الاحاد
الموثوق بها ولا يلتفت الى القول الاخر ، من اعتبار التواتر ، او الاحاديث المحفوظة
بالقرائن حيث ان المراد من العلم الواقعى او التعبدى وليس لازم ذلك الامتناع حيث
ان الايات قطعية والتفسير ظنى فانه بعد اعتباره علماً امضاء او تشريعاً او تنزيلاً منزلة
العلم فترتب عليه جميع آثار العلم و ان كان خبر الواحد ظناً بالحمل الشايع
الصناعى .

ولكن التحقيق ان اعتبار خبر الواحد انما هو فى الاحكام الشرعية دون ما
كان مفاده اثبات التوحيد و خصوصياته و رسالة الانبياء وما كان اخباراً عن جهة
تكوينية فان كل ذلك لا يرتبط بحجية اخبار الاحاد وليس ذلك ايضاً بالنظر الى
تفسير القرآن الكريم فان الادلة متوجهة الى احكام الواردة من السنة لبيان تفسير
القرآن و اسراره لا للتوحيد وصفاته التى غير ذلك مما يرتبط بالاحكام الشرعية
فيتعين انما ورد عن اهل البيت (ع) فى تفسير القرآن اما متواتراً و اما حديثاً محفوظاً
بالقرينة دون اخبار الاحاد ...

(ظواهر الكتاب)

ان الكتاب الكريم حيث كان معجزة الدهور والثقل الاعظم و النظام الذى لا تبديل فيه ولا تغيير وهو فى غاية الاعجاز من جميع نواحيه تعين ان يكون له ظهور حتى يفهمه الناس ويعجزوا عن مقاومته .

والا فلو كان القرآن كله كتاب لا يعرف منه شىء وانه الغاز ومجملات سقط عن كونه رسالة السماء الذى يريد الله ابلاغها للبشر وتوجيههم اليها ولا بد ايضاً ان يكون القرآن الكريم بعض آياته لا يعرفها الامن خو طب به وهذا مما يقتضيه الاعجاز فللقرآن نواح ، ناحية ظهوره فى اغلب آياته والناحية الاخرى تفسيره والثالثة تأويله .

اما ناحية التفسير ، فهى خاصة بمن خو طب به كالرسول الاعظم (ص) وآله الكرام (ع) فما ورد ان القرآن لا يعرفه الامن خو طب به ، هو المعرفة الكاملة من تفسيره وتأويله وما وقع فيه مجملاً وما وقع فيه بياناً لذلك الاجمال ولذا ورد عن الصادق (ع) فى رد قتادة والاشارة منه (ع) ان القرآن مختص باهل البيت ، فى معرفته التامة ، فان تأويله وتفسيره لا يعرفه الا الله والراسخون فى العلم واما فى غالب آياته الدالة على الظهور اللغوى ، فلا ينبغى لذى مسكة ، ان ينكر ظهوره وحجيته وقد ورد ان مثل هذا ونحوه يعرف من كتاب الله تعالى .

وقوله لزراره ، لمأسأله ، من اين جئتم بالدليل ان المسح ببعض الرأس فقال
الامام الصادق (ع) لمكان الباء يازرارة .

وقد تواترت الاخبار على عرض الاحاديث المتخالفة على ظواهر الكتاب
ولولم يفهم منه شيء لما صح عرض الخبرين المتعارضين على الكتاب ولا نريد
الاطالة فى هذا الموضوع فانه بمكان من الوضوح ، من ان الكتاب المنزل ، لا بد
ان يكون حجة قائمة على البشر وهذا المعنى يستدعى ان يكون اغلبه ظاهراً قال الله
تعالى فاتوا بسورة من مثله وقال تعالى (لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

فالقران لا بد ان يبهت الخصم ويقيم عليه الحجة ويكون معجزة من نواح
شتى ، من حيث غيبه واخلاقه وبلاغته وفصاحته وحكمه ومن حيث اقتصاده وسياسته
واحكامه ومواعظه .

وهذا المعنى مما لا ينبغى الاكثار عنه ، لانه من الواضحات لظهور الايات
فى ذلك وانه مورد العرض على الاخبار المتخالفة .

واما المعرفة الكاملة ، او معرفة غيبه وتفسيره او تأويله فذلك مختص بمن
انزل اليهم ، على ان بعض مراتب التفسير ، قد يعرف من الايات من بعضها البعض
لقوله (ع) ان القرآن يفسر بعضه بعضاً فناحية مختصة باهل البيت (ع) وناحية اخرى
عامة مشتركة بينهم وبين سائر الناس ، فالمشتركة هى الظهورات القرآنية ، التى تتم
بها الحجة من الله على عباده ولولا الظهور لماتت الحجة .

واما معرفت معانيه من السبعة والسبعين معنى او التفسير الذى لا تقوم به الايات
بعضها من بعض او التأويل ، فذلك مخصوص بمن خوطب به وهم الرسول الاعظم (ص)
والائمة من اهل البيت (ع) فلا تنافى بين الامرين من الاخذ بالظهور وما عدى
الظهورات فهو مختص باهل البيت من الرسول وآله الطاهرين .

وقد نهى الأئمة قتادة و اباحنيفة من القضاء لانهم يدعون معرفة الكتاب على
الوجه الاكمل التام ولو كانوا مقتصرين على الاخذ بالظهورات التى يفهمها غالب
ابناء المحاوره مانهوهم عن ذلك ولا اكتبوهم فى البحث والكلام ، فان هذا القرآن
بيان للناس لقوله (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقوله تعالى (فانما يسرناه
بلسانك لعلمهم يتذكرون) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ...

* (لا تحريف في القرآن) *

اعلم انه قد يطلق التحريف الى توجيه الالفاظ فى الدلالة على المعنى بحسب قصد الشخص نفسه وهذا فى الحقيقة ليس تحريفا فى الالفاظ وانما هو تبديل المعانى بمعان اخرى كما قال تعالى (يحر فون الكلم عن مواضعه) وهذا ليس فى الواقع تغييراً لما بين الدفتين ، بل ما كان بين الدفتين هو كتاب الله المنزل وان حملة الناس على مقاصدهم واغراضهم ، فالواقع لا يتغير ولا يتبدل وانما ذلك تطبيقا لاغراضهم وتحريفا برأيهم .

واما التحريف الذى فى اذهان العرف وابتناء المحاوره ، بمعنى تبديل الكلمات فقد اوضحنا ان كل كتاب اذا كان بمستوى عال ، لا يتطابق مع التحريف فى الكلمات .

فانك اذا رأيت رسالة مكتوبة من شخص عظيم الى شخص آخر وكانت له شخصيته العظمى ايضا فانك ترى ان الرسالة ، تبلغ اوجها فى البيان واعجازها فى بيان الغرض المقصود منها فلو وقعت هذه الرسالة فى يد شخص واراد تغيير بعض كلماتها اوسطورها فانك تجد الفرق الواسع بين الكلمات التى هى فى اوج الكمال وبين الكلمات المنحطة التى حرفت الرسالة نظير ما لو حرف شعرا مرء القيس ونظائره بالشعر المنحط .

فالقرآن لو حرف لفهمه الناس والبلغاء لانحطاط الكلمات التي اضيفت اليه وهكذا لو نقص القرآن عن مضامينه فدعوى التحريف والنقصان مما لا تناسب مع اعجاز القرآن الكريم لكل من عنده ذوق سليم وعارف بمواقع الاعجاز وغيرها .
واما تعدد القراءات ، ان اطلق عليه التحريف فليس من التحريف في شيء وسيأتى منا ان شاء الله تعالى ان القراءة اذا غيرت المعنى واعجازه فلانسلم صحتها وجوازها في القرآن ولاسيما اذا اوجبت تنزلاً في معانيه ونقصاً في اعجازه .

واما التحريف فقد ثبت في التاريخ ان القرآن الذي بين ايدينا هو ماجاء به الرسول (ص) وليس لعثمان فيه تصرف اصلاً كما يصرح به التاريخ من الخاصة والعامة وانه ليس الامحافظاً على ما في ايدي المسلمين مما تواتر نقله وحفظه المسلمون من غير تبديل ولا تغيير .

وقد ورد عن اهل البيت (ع) ذم التحريف وهو تغيير المعنى حسب المقاصد .
وتوضيح البحث هنا ان التحريف بمعنى تغيير الكتاب وتبديل كلماته او سوره او نقصانه فهو خلاف ضرورة المسلمين قديماً وحديثاً وما من فقيه او اصولي من زمان صدوق الامة وعلم الهدى وشيخ الطائفة الطوسي والعلامة الحلي والشيخ الطبرسي الى عصورنا هذه من يقول بالتحريف الاشاذاً لا يعتنى بقوله .

فالقرآن بين الدفتين هو ماجاء به الرسول (ص) وليس لابي بكر ولا لعمر ولا لعثمان او غيرهم تغييراً في عباراته او حذفاً من مجموعته .

وان الله سبحانه وتعالى قد اخبر عن كتابه الكريم بقوله انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون ولا تبديل ولا تغيير فيه .

وقد اشرنا ان التبديل والتغيير مما يوجب كون الكلام على غير مستوى واحد وهذا يعرفه سواد الناس فضلاً عن العلماء ومع ذلك ان الملل كاليهودية والنصرانية

مما تعترف باعجاز القرآن .

ولذا اصبح في زماننا هذا ان بعض الدول النصرانية تذيع في اذاعاتها القرآن الكريم لبلاغته واعجازه ولو كان فيه تحريف لفهمه عامة الناس وانه لا يطابق المستوى العالى مع المنخفض فإى تناسب بين كلمات الله واعجازه وبين كلمات البشر التى مهما بلغت لاتبلغ بيان الانبياء والرسل عليهم السلام فضلا عن بيان الله تعالى .

ومن اخطاء ما بيناه تعرف ان مادعاه عمر بن الخطاب وغيره من بعض الايات التى نسخت فى التلاوة كقوله اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ، البته بما قضيا من اللذة ومنها ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البته .

وانت اذا راجعت مذهب العامة وجدت الكثير منهم من يقول بتحريف القرآن وكيف لا يكون تحريفا عندهم وقد صرح عمر بن الخطاب بان القرآن الف الف وسبعة وعشرون الف حرف بينما ان القرآن الذى بين ايدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار وعليه فقد اسقط من القرآن اكثر من ثلثيه .

وروى نافع ان ابن عمر قال ليقولن احدكم قد اخذت القرآن كله وما يدريه ما كله فقد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد اخذت منه ما ظهر .

وروى عروة ابن الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ فى زمن النبى (ص) (٢٠٠) مأتى آية فلما كتب عثمان المصحف لم نرى منها الا ما هو الان .

وروت حميدة بنت ابى يونس قالت قرء على ابى وهو ابن ثمانين سنة فى مصحف عائشة ، ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الاول قالت قبل ان يغير عثمان المصحف (١) .

وروى زر ، قال قال ابى ابن كعب يازر كأيّن تقرأ سورة الاحزاب قلت ثلاث

(١) الاتقان ج ٢ ص ٤٠ / ٤١ .

وسبعين آية ، قال ان كانت لتضاهى سورة البقرة اوهى اطول من سورة البقرة .
وروى ابن ابي داود وابن الانبأى عن ابن شهاب قال بلغنا انه كان انزل
قرآن كثير فقتل علمائه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه ولم يعلم بعدهم ولم يكتب.
وروى عروة عن عائشة انها قالت كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات
معلومات يحرم من ، ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرء
من القرآن .

وقد نقل بطرق عديدة عن ثبوت الخلع والحفد فى مصحف ابن عباس عن
ابى ابن كعب اللهم انسا نستعينك ونثنى عليك ولانكفرك ونخلع ونترك من يعجزك
اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد برحمتك ونخشى عذابك
ان عذابك بالكافرين ملحق .

وانت اذا راجعت عنوان التغيير وتبديل الكلمات ونقصان السور مما ذكره
علماء العامة فى كتبهم وجدتها كثيرة وان ذلك قد تواتر عنهم وصار شعاعاً فى مذهبهم
الا ان ما ذكره مما لا يمكن تقبله .

اما اولاً ، فلانك اذا راجعت ما ذكره من تبديل الايات وازافة بعض الكلمات
الى الايات تجد الفرق الواضح فى بعض كلمات الايات من الاعجاز والحاق ما هو
منحفظ عن مفادها بما الحقوا به الاية .

لانك عرفت منالو كان تحريف فى القرآن لوجد كل ملتفت عارف بالبلاغة
ان مستوى الايات مختلفة وانما الحق بالاية بعيد عن اعجاز القرآن .

ولذا ان القول بتحريف القرآن مما يكذب نفسه لعدم تطابق مستوى الايات
فى الاعجاز ، بينما اورده الله تعالى وبينما اورده الناس الذى لا يتطابق فى الاعجاز
ومنحط عن مرتبة الفصاحة والبلاغة .

وثانياً ، ان القرآن الكريم هو الرسالة الخالدة على ممر العصور والاجيال فلا بد ان تكون محفوظة تلك الرسالة وباقية في جميع العصور كما قال تعالى «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وثالثاً لو تم ما ذكره هولاء من العامة لكان لازم ذلك عدم حجية الكتاب ، لوقوع التحريف فيه وكيف يؤخذ بآيات الكتاب وهي محرقة .

فينحصر اخذ الاحكام بالسنة النبوية التي تكون رواها صحاحاً وثقاتاً لامطلق النقل عن رسول الله (ص) فان ذلك ليس بحجة ، الا ان يكون الخبر صحيحاً او موثقاً به .

ورابعاً انه اذا سقطت حجية الكتاب فما معنى قوله (ص) اني مخلف فيكم كتاب الله وسنتي ، كما رواه العامة وان كنا نروى اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي .

واجمالاً ان الكتاب لم يتغير ، ولم تحرف كلماته ولم يزد عليها ولم تنقص سورة وذلك بتواتر الاخبار عن رسول الله (ص) ومن بعده والا لاصبح الكتاب الكريم نظير التوراة والانجيل ، في التحريف والتغيير وان نسخ التلاوة التي جوزها الكثير من علماء العامة موجب الى التحريف .

وهذا التحريف ، ان تم على مسلكهم فثبت باخبار الاحاد من عبد الله ابن عمر وغيره ، مع ان بعضهم لم يجوز النسخ حتى بالخبر المتواتر .

وتحقيق البحث ان التحريف غير محقق ولا موضوع له لان القرآن في منتهى اوج الاعجاز والبلاغة فاذا ضم اليه شيء من التبديل بالكلمات او اجزاء من السور ظهر الفرق بين بلاغته واعجازه وبين ما اضيف اليه .

ومن هذه الجهة ، لا تمس يد التحريف القرآن لظهور التحريف وعدم مناسبته

للقرآن الكريم ، باوضح ما يكون

ومن الواضح ، ان المراد من الذكر هو القرآن لا غيره من ذات الرسول الاعظم وانا له لحافظون عن التحريف والنقصان ، ومس يد المحرفين والا لم تكن حجة بالغة على خلقه .

وحيث ان الاية ، ليست محرفة ، ونطقت بها ائمة الهدى (ع) فهي دالة على المطلوب ، الامن اتباع غير الائمة (ع) وجوز تحريفها ، فلا تقع استدلالا على المطلوب ولكن الاية بظهورها واعجازها دليل على عدم تحريفها
الاية الثانية :

قوله (وانه لكتاب عزيز ، لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) والاية الشريفة في منتهى الوضوح ، في عموم السلب وانه لا يدخله الباطل على وجه السلب ، لكل ما يحتمل الباطل من تحريف الايات وتبديل السور او تغيير الاحكام ، او نقصان القرآن ، فان كل ذلك مما تنطبق عليه الاية وتنفيه .

وان التعبير بانه الكتاب العزيز ، ان العزة وعظم القرآن ، مما يتنافى مع التحريف ، بجميع انواعه من تغيير المعنى او اختلاف القرائة ، تبديل او الكلمات ، او النقيصة فيه او الزيادة .

واما السنة فالرواية الاولى ، رواية انى مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى اهل بيتى لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما حتى يراد على الحوض والرواية متواترة ، من طريق العامة والخاصة .

وكيف يكون القرآن حجة دائمة وهو محرف وكيف يقع التلازم بينه وبين العترة وهو كتاب الله الواقعى وظاهر الرواية الملازمة ، بين الكتاب وبين العترة الى يوم القيمة ، ولو حصل فيه التبديل والتحريف ولم يكن فيه الظهور لما كان وجهافى

الرجوع اليه الى يوم القيمة ، وقدورد من طرق السنة ، انى مخلف فيكم كتاب الله وسنتى وهذه لرواية اذا استند اليها العامة ، فهى دالة على حجية الكتاب و اعتبار ظهوره .

وما ورد عن اهل البيت (ع) من عرض الروايات المتعارضة على الكتاب وانما وافق الكتاب هو الحجة والمعتبر ولو كان الكتاب محرراً اولاً ظهور فيه ماصح للمعصوم ان يرجع اليه فى الاخبار المتعارضة.

واجمالاً ان شبهة التحريف كما اشرنا اليها لاموضوع لها لعدم المجانسة و السنخية بين اعجاز الكتاب والتحريف .

واما ماورد من ان هذه الامة يقع فيها ما وقع فى الامم السابقة ، حسد والنعل بالنعل فروايات آحاد وليست متواترة ولو كانت متواترة فليس فيها دلالة على عنوان التحريف بل انهم يجرون على سيرة تلك الامم من الطلب من رسول الله (ص) بما لا يعينه وارتكابهم للمنكرات وتبدل حالتهم فى المنكرات .

واما ماورد ان لامير المؤمنين (ع) قرآن خاص فليس المراد ان هناك قرآن ينافى هذا القرآن بل لما كان على (ع) هو الامام من بعد رسول الله (ص) لا بد ان يتلقى القرآن وتفاسيره وبيان ما نطق به جبرئيل (ع) وان لم يكن جزء من القرآن وابداء على (ع) للامة من باب القاء الحجة عليهم وانه هو الامام المقترض الطاعة الذى كتب القرآن كما هو وانه مخبر عن اشياء مماهى فى بيان تأويل القرآن وتفسيره فان معرفة تأويله مخصوصة بالرسول واهل بيته عليهم السلام فلا يعرف تأويله الا الله والراسخون فى العلم .

واما ماورد من طرق الامامية من التحريف فيراد به ان المسلمين غيروا القرآن فى مدلوله وتوجيه ظواهره .

وان هذه الروايات الواردة فى التحريف من اهل البيت (ع) لا اعتبار بها
لضعف الكثير من اسانيدھا وليست متواترة وماورد منها من الاحاد فليس صريحاً
فى تغيير الكلمات اوزيادتها ونقصان بعض السور فيراد بالتحريف من حيث القرآنة
او تغيير المداليل والمفاهيم على حسب اغراض من حرف فوجه ظهور الايات
الى مايريد .

واما ما ورد فى بعض الروايات انه مذكورة اسمائهم فى القرآن فاما ان يراد
ان اسمائهم مقصودة وان لم تكن بتعبير من القرآن واما ان اسمائهم مذكورة فى
تفسير القرآن والالهامات التى جاء بها جبرئيل (ع) واوحى بها الى النبى (ص) فذاك
ليس من القرآن المنزل .

واما ماورد فى بعض الكلمات من الزيادة فضعيفه جدا اولا و تنافى الاعجاز
ثانيا وما تعرضنا لذكرها لانها فى غاية السقوط وعدم الاعتبار بها .

وبكلمة موجزة ان من زمان ثقة الاسلام الكلينى (ره) وصدوق الامة القمى (ره)
وشيخ الطائفة الطوسى (ره) والطبقة الوسطى والمتأخرة كلهم اتفقوا على ما ذكرناه
من عدم التحريف بالزيادة والنقيصة وتبديل الكلمات .

وان التحريف الوارد فهو تحريف المعنى لا تبديل الالفاظ وتغييرها اوزيادة
القرآن ونقيصته .

و ما تعرضنا له انما هو لدفع هذه الشبهة وان كانت فى نظرنا لا تستحق
الذكر فضلا عن الجواب عنها .

* (دفع شبهة) *

ان الشبهة فى المقام ان القرآن قد جمع من قراطيس و جلود ومن صدور بعض المسلمين وان كثيراً من القراء ، قد قتلوا فى وقائع الحروب ومقتضى قتل بعض القراء والجمع من صدور بعض المسلمين يقتضى ان يقع النقص فيه .

وقد ورد فى روايات الاحاد من طرق العامة فراجع موارد ها فان فى بعضها ان جمع القرآن الكريم ، كان فى زمان ابي بكر بالزام من عمر ، وفى بعض الروايات ان الجامع له عمر ، وبقي القرآن عند حفصة ، وبعضها ان الجامع له هو عثمان ابن عفان ، وان الحامل للاية ، ان يشهد له شاهدان ، والافلا ترسم فى المصاحف ولذا لم ترسم آية الرجم ، التى رواها عمر وحده ، وان زيد ابن ثابت ، هو الذى جمع القرآن ، بأمر ابي بكر وعمر .

وروى ان الكاتب احد الاشخاص ، والراوى شخص آخر من الصحابة ، الى آخر ذلك ، مما يستغر به الانسان فى اول التفكير .

وهذه الروايات ، روايات آحاد لا تثبت آيات الكتاب الكريم ، الذى لا بد ان يكون متواتراً فى النقل ، ولا تثبت الاية بنقل الاحاد .

وثانياً انك اذا رجعت ما اشرنا اليه ، فى كتب العامة ، تجد التناقض الصريح

بين جمع القرآن في زمان ابي بكر ، وجمعه في زمان عمر ، وجمعه في زمان عثمان
وفى ان الجامع زيد ابن ثابت ، اوان الناقل شخص والكاتب شخص آخر او
الناقل هذيل ، والكاتب من قبيلة ثقيف ، والانسان بادنى نظرة لا يمكنه الاعتماد على
اخبار الاحاد والكتاب الكريم لابديه من التواتر .

وثالثا انها متناقضة فهل جمع في زمان ابي بكر ، او عمر ، او عثمان ، او كان
مجموعا في زمان رسول الله (ص) .

ورابعا قد بينا ان القرآن لو كان في جمعه تحريف او اختلاف على وجه
يختلف المعنى في القراءة او في النقيصة والزيادة لكان الكتاب الكريم بين افق
عال ومستوى رفيع ، وهو كلام الله تعالى وبين مستوى منخفض منحط الى آخر
الانحطاط اذا كان بزيادة من الناس او نقيصة او تحريف في الكلمات ، او السور .

فهذه الشبهة لاموقع لها لكل ذى عقل سليم (١) .

وقد اعرضنا عن نقل الروايات في الباب لانها شبهة لاتستحق الذكر بعدما
عرفت من بياننا السابق .

وينبغي لمن له ادنى معرفة باعجاز القرآن يرى ان مثل هذه الروايات ،
خيالات صدرت عن قصور النفوس وعجزها وحب الاثرة وانهم هم الذين جمعوا
القرآن افتخارا .

وانها لو تمت اسانيدها وكانت حجة فهي متناقضة في غاية التناقض فلانظيل
البحث في مثل هذه الاوهام وان وقت الطالب والباحث اهم من تضييع الوقت بهذه
الخيالات .

(١) وراجع تفسير القرطبي وكتاب الاتقان ج ١ ص ١٠١ و في صحيح النجاشي
في باب من جمع القرآن ج ٦ ص ٩٨ وغيرها من كتب التفسير .

وقد ورد التواتر وفوق التواتر ان القرآن الكريم انه كان مجموعاً فى زمان رسول الله (ص) وكانت الناس تقرأه فى المساجد باصوات عالية والعرب من عاداتها تحفظ الشعر الكثير باسرع الاوقات فكيف برسالة السماء التى نزلت على نبيهم (ص) وكيف يتركونها من الحفظ والجمع او يتركونها من الجمع وكيف نرفع ايدينا عما تواتر نقله من جمع القرآن فى عهد رسول الله (ص) ونأخذ باخبار ضعيفة السند متناقضة ومتباينة

وليس فى عهد رسول الله (ص) شىء يهتمون به وراء الجهاد او قبل الجهاد الا هذا الكتاب الكريم ويرى الشخص اذا حفظ الكتاب كان له الميزة و الرفعة بين المسلمين فلذا يتهافتون على حفظه وكان العرب فى حفظ الشعر والمقالات والخطابات هى المهمة لديهم فى عصورهم فكيف يتركون حفظه

ولذا ان قتل بعض الجامعين للقرآن لا يضر لحفظ الكثير من الناس للقرآن حتى كانت الناس من زمان الرسول (ص) وما بعده يتصدون الى حفظ القرآن

انظر الى الطبرانى يقول ان القرآن كان مجموعاً فى عهد رسول الله (ص)

وقال ابن عساكر جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة نفر من الانصار ابى ابن كعب وزيد ابن ثابت ومعاد ابن جبل وابو الدرداء وسعيد ابن عبيد و ابو زيد فقد روى جماعة منهم ابن ابى شيبه واحمد ابن حنبل والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم والبيهقى والضياء المقدس عن ابن عباس قال قلت لعثمان ابن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهى من المثنى والى براءة وهى من المثنى فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك فقال عثمان ان رسول الله (ص) كان تنزل عليه السورة ذات العدد وكان اذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ضعوا هذا

فى السورة التى يذكرها فيها كذا وكذا .

و كانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة و كانت براءة من آخر القرآن نزولا
و كانت قصتها شبيهة بقصتها فظنت انها منها .

وقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا انها منها فمن ذلك قرنت بينهما و لم
اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما فى السبع الطوال (١) .

وروى قتادة قال سألت انس ابن مالك من جمع القرآن على عهد النبى (ص)
قال اربعة كلهم من الانصار ابى ابن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت و ابو زيد .

وروى مسروق ان من جملتهم عبد الله ابن عمر و عبد الله ابن مسعود فقال لا زال
احبه سمعت النبى (ص) يقول خذوا القرآن عن اربعة من عبد الله ابن مسعود وسالم
ومعاذ و ابى ابن كعب .

واخرج النسائى صحيح عن عبد الله ابن عمر قال جمعت القرآن فقرات به كل
ليلة فبلغ النبى (ص) فقال اقرأه فى شهر .

ولعل قائل يقول ان المراد من الجمع فى هذه الروايات هو الجمع فى
الصدور لا التدوين .

وهذا القول دعوى لاشاهد عليها اضع الى ذلك انك ستعرف ان حفاظ
القرآن على عهد رسول الله (ص) كانوا اكثر من ان تحصى اسمائهم فكيف يمكن
حصرهم فى اربعة اوستة .

ومن اضواء هذا البيان المتقدم تعرف ان القرآن لا بد ان يكون متواتراً وكيف
لرسول الله (ص) ان يبقى القرآن وهو مختلف فى النقل ولا بد ان يحكم تواتره بين
الناس بالكتابة والحفظ فى صدور المسلمين وان اثبات القرآن شاهدين او شاهد

(١) منتخب كنز العمال ج ٢ ص ٥٢ .

مما يتنافى مع اعجازه وانه معجزة الدهور اذ يكون صدوره ظنياً لا قطعياً فان الشاهدين وان كانا عادلين فيجوز الخطاء فيهما .

واغرب من هذا ان ابن حجر فسر الشاهدين بالحفظ والكتابة برجل من اصحاب الرسول (ص) .

وقال الحارث المحاسبى المشهور عند الناس ان جامع القرآن عثمان ابن عفان ، وليس كذلك انما حمل الناس عثمان ابن عفان على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار لما خشى الفتنة عند اختلاف اهل العراق والشام في حروف القراءة .

فما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى انزل بها القرآن (١) .

وبكلمة موجزة ان التحريف فى القرآن الكريم من تغيير كلماته وزيادته ونقصانه، من القضايا الخيالية التى لا تجتمع مع بلاغة القرآن واعجازه ولا تجتمع مع الايات النافية للتحريف ولا تجتمع من كون هذا الكتاب كتاب للامم كلها على اختلاف اجيالها .

ومثل هذا يجب على الله ان يحفظه بين الناس لتتم الحجة على العباد ولا تكون للناس على الله تعالى حجة .

وقد عرفت منا ان التغيير لا يتناسب مع اعجازه حتى فى صورة النقصان ولم يكن عثمان قد جمعه بل هو مجموع فى كتابات وفى صدور المسلمين .

وقد اشار الى ذلك الكتاب الكريم (افلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

(١) الاتقان ١٨ ج ص ١٠٣

وليس القرآن الكريم ممن جمعه آحاد من المسلمين ممن تقدم ذكرهم فان الله تعالى ، لا يجعل كتابه الا متواتراً في النقل والقراءة و ليس تحت ايدى المؤلفين والجامعين من الاحاد ولا ان عثم ان ابن عفان بدل او غير او الحق سورة بسورة او حذف بسملة من سورة فان كل ذلك مما يتنافى مع اعجاز القرآن وتواتره وانه الاية الباقية على ممر العصور ولا تبديل لكلمات الله .

وان هذا البحث في النظر لا يستحق هذا التطويل ولكن كتبنا ذلك مما شاء لبعض من كتب في تفسير القرآن، واطهاراً ان هذه الشبهة لاموضوعية لها اصلا واسأله ان يجعل المسلمين على طريق الحق والصراط المستقيم ...

* (البداء عند الامامية) *

ذهب الامامية ، الى جواز البداء ، وطقن عليهم بعض علماء العامة كالفخر الرازى وغيره ، بان ذلك مستلزم الجهل على الله تعالى .

ونحن نبين ما اراده الامامية ليتضح خطأ الرازى وغيره وانه لا يصح لاحد ان يطعن فى مذهب من المذاهب حتى يعرف مقصوده ومراده والا كان شتما مجرداً وغرضاً شخصياً .

اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو العالم بالاشياء وعلمه كما بيناه (فى المثل الاعلى) حضور الاشياء عنده ، على وجه لا يمكن للعقل ، ادراك الحضور و تلك الاشياء .

وحيث ان العقل لا يدرك الواجب ولا صفاته ادراكاً تاماً ، لان ما كان من شأنه التعلق بالغير وانه عين الربط فى الواجب كوجود الممكنات كيف لها العلم والاحاطة ، بمن كانت ذاته صرف الوجود وهو القائم على كل موجود وهو المعنى الاستقلالى بكل معنى الكلمة وان كل ماعداه من وجود الممكنات صرف التعلق بذاته المقدسة وصرف الربط ، لانها اشياء لها الربط ، نظير الموجودات العرضية بالقياس الى الجواهر .

ومن هنا كان وجودها فقرياً ووجوده تعالى بمنتهى الغناء والاستقلال ومن كان علمه بهذا النحو سبحانه وتعالى كيف يغيب عنه شيء أو انه لا تنكشف حقائق الاشياء عنده حتى يبدو له ما خفى (عليه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وما قدر والله حق قدره).

وهذه كتب علماء الامامية ، كصدر المتألهين في اسفاره والخواجه نصير الدين الطوسي في كتبه والشيخ الرئيس ، فيما حرره السيد الداماد وغيرهم ممن اذارجع الانسان كتبهم وجدها صريحة فيما بيناه وان جميع الموجودات صرف التعلق بالذات المقدسة وان علمه لا يغيب عنه شيء .

فكيف يبدو له ما خفى عليه هذا علمه الحقيقي وقضائه الواقعي وليس فيه بقاء متغير .

واما البقاء الذي تقول به الامامية ، فهو ما صرحت به ائمة الهدى من ان الله علم بينه للانبياء والملائكة وهذا على قسمين ، فتارة يأتي الالهام والوحي من الله تعالى على وجه لا يتبدل فيه ولا تغيير وهذا لا يجري فيه البقاء ايضاً واخرى ان يعلمهم بعلم ولكن لا يصرح لهم بذلك لوجود مصالح خفية وهو اولى بها من خلقه تعالى وتكون المصلحة في اخفائها عنهم ، حتى لا يغالى الناس فيهم ولا يجعلوا الملائكة والانبياء والاولياء ارباباً من دون الله ، كما قال امير المؤمنين (ع) في ليلة ضربته هي الليلة ولكن يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .

وقد وردت الاحاديث المتواترة في ذلك انظر الى ماورد في الروايات روى الصدوق في اكمال الدين باسناده عن ابي بصير وسماعة ، عن ابي عبد الله (ع) قال من زعم ، ان الله عزوجل يبدو له في شيء لم يعلمه امس فابروا منه (١) .

(١) نقلاً عن البحار باب البقاء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ ط كمياني .

وروى العياشى عن ابن سنان عن ابي عبدالله (ع) يقول ان الله يقدم مايشاء و يؤخر مايشاء ويمحوا مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب .

وقال كل شىء يريد الله فهو فى علمه قبل ان يصنعه ، ليس شىء يبدواله الا وقد كان فى علمه ان الله تعالى لا يبدواله من جهل (١) الى غير ذلك ، من رواية عمارة ابن موسى ، من طريق العياشى وروى شيخ الطائفة فى كتاب الغيبة ان جميع هذه الاخبار المتواترة قد صرحت ، بان هناك علم لا تبديل فيه وهو العلم الازلى المعبر عنه فى الكتاب العزيز بقوله تعالى (وعنده ام الكتاب) وعلم قابل للمحو و الاثبات وقد اشار بقوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) .

وهذا العلم هو الذى يصل اليه الانبياء والرسل والاولياء والملائكة وهولوح المحو و الاثبات .

فالبداة بمعنى ان الله يبدى للملائكة والانبياء (ع) ماخفى عليهم من العلم الازلى وقد عرفوه فى لوح المحو و الاثبات .

وان الانسان اذا عرف ان هناك علم وراء ماتعرفه الانبياء والاولياء ، ينقطع الى الله تعالى انقطاعاً حقيقياً ويرجو من الله ان لايجرى عليه لوح المحو و الاثبات . ولذا ورد ان الصدقه تطيل العمر و كذلك صلة الارحام و الاحسان مع المخلوقين .

ومن هنا فقد روى الصدوق فى التوحيد باسناده عن زرارة عن احد الائمة (ع) قال ما عبد الله عزوجل بشىء مثل البداء .

(١) نقلا عن نفس المصدر ص ١٣٩ .

وروى باسناده عن هشام ابن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال ما عظم الله عز وجل
بمثل البداء الى غير ذلك من الروايات مما يدل على حقيقة البداء بمعنى الابداء
عند الامامية ، بل ويدل على ذلك ما رواه العامة .
روى البخارى باسناده عن ابي عمرة ان ابا هريرة حدثه انه سمع رسول الله (ص)
يقول ان ثلاثة فى بنى اسرائيل ، ابرص ، واعمى ، واقرع ، بسى لله عز وجل ان
يبتليهم (١) .

وقد ورد عن العامة ايضاً ، ان الصدقة والدعاء يغيران القضاء وكيف
يصح فى علمه الازلى وما هو الا الابداء واطلاق البداء على الابداء تنزيلاً لحصول
المشكلة بينهما ، فى رواياتنا وروايات بعض العامة ...

(١) صحيح البخارى ج ٤ باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ص ١٤٦ .

النسخ

ان من الواضح معقولة النسخ وجوازه ووقوعه فى الشرائع وان ذهب اليهود والنصارى ، بامتناع النسخ .ظنا منهم انه يستلزم الجهل والعياذبالله .

وما علموا ان حقيقة النسخ التى تقول بها الشرائع و الاديان ، هو انتهاء زمان الحكم ، لخصوصية تقتضى عدم استمرار الحكم فى كل زمان بل ان ابناء الزمان السابق ، حيث لم تتكامل البشرية ولم تبلغ مقام اوجها لاسبء و ان تكون الاحكام بالشرائع السابقة مؤجلة بزمان خاص ومقيدة بعصر مخصوص .

ومحل الكلام فى النسخ هو فى الاوامر والنواهى الواقعية ، من الاحكام التكليفية والوضعية ، دون الاوامر الامتحانية ، فان نسخها بمعنى انتهاء زمانها من اوضح الواضحات .

فالنسخ لا يستلزم عدم علمه تعالى ، حتى يكون قد بدى له ، بخلاف ما حكم به .

ومحالية النسخ ، او جوازه مبنى على مذهب العدلية من المصالح والمفاسد .
واما ثبوت النسخ ، على مبنى الاشاعرة فواضح اذ المصلحة قائمة بالامر فقد يذهب امر ويأتى امر آخر وهكذا فى النواهى والاحكام الوضعية .

وقد ذهبت اليهود والنصارى الى عدم جواز النسخ وما تظنوا ، ان توراتهم قد تعرض للنسخ فى احكام كثيرة ، منها الجندية التى كانت من الثلاثين الى الخمسين ثم صارت من الخمسة والعشرين فما فوق ثم صارت من العشرين فما فوق ومن تغيير احكام السبت والنذر والقسم .

وقد ورد نسخ القصاص فى الجوارح من العين بالعين واليد باليد والرجل بالرجل بماورد فى الاصحاح الخامس من انجيل متى عدد ٣٨ سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم لاتقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ايضاً .

وقد اجاد فى هذا الموضوع من ثبوت النسخ فى عدة موارد ، و فى ان التورات والانجيل ، لا يصلحان ان يكونا كتابين منزليين من الله ، على ما هو المعروف مما فى ايدى اليهود والنصارى وان الانجيل قد كتب بعد ارتفاع عيسى (ع) من عدة اشخاص ومن ثبوت اشياء فى التورات لاتناسب مع الله تعالى ، من نسبة الجهل والضعف الى الله وان الله لا يدري ، بأكل آدم من الشجرة وان يعقوب قهر الله ، بان جعل النبوة فى احد اولاده ، الى غير ذلك مما كتب فى التوراة و الانجيل (١) .

ولذا طويانا البحث هنا فى التفصيل عن ذلك و احببنا الرجوع الى كتب البلاغى قدس سره و كتاب الشيخ رحمة الله ابن خليل الرحمن الهندى ولو امتنع

(١) المقدس البلاغى فى الرحلة المدرسية والهدى الى دين المصطفى فقد اجاد وافاد بما هو واضح ، واقام الادلة والنقل فى كتبه ؛ فاعلى الله درجته وطيب الله مرقدته وحشره فى اوج الانبياء (ع) والابرار من عباده ؛ فراجع ما كتبه فقد تكفلت كتبه هذه المواضيع ؛ بما لا مزيد عليه ...

النسخ ان دين النصرانية تابع لشريعة موسى (ع) و ليس لعيسى ابن مريم (ع)
شريعة مستقلة وهو، كأرميا ويوشع وداود (ع) في تبليغ شريعة موسى (ع) .

واعلم ان النسخ لايمكن ثبوته بروايات الاحاد ، فان الكتاب قطعى متواتر
في جميع آياته فلا تدل عليه رواية الاحاد في النسخ.

ومن اضواء ذلك تعرف توهم ، ان آية الرجم نسخت تلاوتها وبقي حكمها
وليس الا ان عمر اتى بآية الرجم وادعى انها من القرآن فلم يقبل منه قوله المسلمون
وهي لا تتناسب مع اعجاز القرآن وبلاغته .

واما النسخ للحكم ، فغير ممتنع عقلا سواء كان بآية او من السنة ، لكن على
وجه ان يكون ذلك متواتراً ومقطوعاً به وبكلمة موجزه ان حقيقة النسخ هو انتهاء
الحكم في عصر من العصور لارفع الحكم الشرعى الثابت على ممر العصور .

و سيأتى منا التعرض ، عند تفصيل الايات السى ذلك ، ولا حاجة هنا الى
الاطالة .

موقف القرآن من التوراة والانجيل

انك اذا راجعت الكتاب الكريم ، وجدته على اكمل وجه من جميع جهاته
كما مر بيانه .

واذا راجعت التوراة او الانجيل تجد الاختلاف الكثير بينهما وعدم مطابقتها
للعقل السليم وترى القصص التى فيها خالية عن البلاغة وموجبة للشك و التردد
فى نسبتها الى الله تعالى .

وتجد الاختلاف بين الاناجيل الاربعة والتوراة وترى كثير مما هو فى التوراة
والانجيل ، مما لا يتقبله البرهان وفطرة العقل وسيأتى توضيح ذلك فى تفسير الايات
القرآنية المتعرضة لبنى اسرائيل .

واعرضنا عن التفصيل هنا وتركنا التعرض للتناقض فى التوراة والانجيل وانهما لا يصح
ان ينسبا الى الله تعالى والالزم المحذورات الكثيرة التى هو اعز واجل شأنها مما هو
مذكور فى العهدين من التوراة والانجيل ...

* (القرآآت فى القرآن) *

نتعرض الى القرآآت هنا جملالا وتفصيلها فى الايات الانية فى الكتاب المجيد ان القرآآت لم تثبت عن اهلها الا باخبار الاحاد و بعض اسانيد تلك الاخبار غير موثوق بها وعلى فرض ان القرآآت ثابتة ، فلا بد من ثبوتها على وجه التواتر من صاحب الشريعة (ص) لانك عرفت منا ان اخبار الاحاد فى غير الاحكام الشرعية محتاج الى دليل الاعتبار والافالقاعدة تقتضى ان لا تقبل الروايات الامتواترة ، او ان الخبر محفوف بالقرآئن القطعية للعلم .

و كل من التواتر والخبر المحفوف بالقرينة القطعية مفقود فى اثبات القرآآت .
وثانيا وقوع الكثير من العلماء المتأخرين فى الطعن على بعض القراء كأبن جرير الطبرى ، اذ أنكر قرآنة ابن عامر وطعن بعضهم على قرآنة حمزة وبعضهم على قرآنة ابن كثير .

وثالثاً لو كانت القرآآت متواترة عن الرسول الاعظم (ص) كيف جاز ان تختلف و كيف جاز للرسول (ص) ان يقر القرآنة الضعيفة فى البلاغة مع القرآنة البليغة الدالة على اكمل الوجوه من البيان .

ورابعاً انه لو تم ما ذهبوا اليه لوجب تحقق التواتر الى ان يصل الى القراء

السبعة او العشرة وان تثبت القراءة عن الرسول الاعظم (ص) على وجه التواتر من غير تناقض بينها ودلالة كل واحدة منها على اوج البلاغة والفصاحة والمفروض عدم تحقق ذلك وان المراجع ليرى هنا عدم التواتر في الطرفين .

وذهب اكثر علماء العامة الى عدم صحة القراءات الاقراآت عاصم ونافع .
و خامساً انه لو تمت القراءات وكانت احد القراءات في غاية البلاغة دون القراءات الاخر ، فكيف يؤخذ بغير البليغ وينسب الى رسول الله (ص) اولصحابته مع ترك تلك القراءة البليغة التي هي منتهى الاعجاز .

وسياتى انشاء الله منافي التعرض للآيات الكريمة ان لا تواتر في القراءات وعلى هذا ذهب الاكثر من علماء العامة الى عدم التواتر وان اعتبار التواتر ليس الاقضية خيالية ، فالمتبع القراءة المعروفة ، من عاصم ونافع لانها ابلغ واحسن القراءات توجهاً في افادة المعنى . . .

المواضيع الكلية التي تعرض لها القرآن على وجه الاجمال

نتعرض هنا الى المواضيع الكلية على وجه الاجمال و الا فالمواضيع التي تعرض لها القرآن الكريم كثيرة جداً ولا يمكن بيانها الا عند التعرض لكل آية آية «التوحيد وصفاته وحبه واوامره» يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير (١) يسبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى الى آخرها (٢) والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم (٣) الله لا اله الا هو الحى القيم (٤) شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم (٥) ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه و هو على كل شىء وكيل (٦) لو كان فيهما الهة الا الله لفسد تافسبحان الله رب العرش عما يصفون (٧) هو الله الخالق البارى المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٨) هو الله

(١) التغابن آية ١ (٢) الاعلى آية ١ (٣) البقرة آية ١٦٣ (٤) البقرة آية ٢٥٥
(٥) آل عمران آية ١٨ (٦) الانعام ١٠٢ (٧) الانبياء آية ٢٢ (٨) الحشر آية ٢٤

الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون (١) وقد تكثرت الايات فى ذاته
وصفاته الثبوتية والسلبية والصفات الفعلية وان لا معبود سواه

«النبى (ص) ورسالته» وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٢) وانك لعلى
خلق عظيم (٣) انا انزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما
اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما (٤) قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والارض لا اله الا الله هو يحيى و
يميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله و كلماته و
اتبعوه لعلكم تهتدون (٥) وقال فى سورة هود مخاطبا لنبىه فاستقم كما امرت
الى غير ذلك من الايات فى القرآن الكريم .

« الانبياء ورسالة السماء » ان الله قد تعرض لانبيائه من انى جاعل فى الارض
خليفة وحالات ادريس (ع) ونبوته ونوح (ع) وما لاقى من قومه و ابراهيم (ع) و
تأسيسه للكعبة ، وموسى (ع) فى رسالته الى فرعون و عيسى (ع) الى قومه و
حالات عيسى .

وقد تعرض القرآن الكريم ايضا للانبياء فى ارسالهم الى الامم وان بعضهم
مشرعين للاحكام ، كابراهيم وموسى ومحمد (ص) وغيرهم ، وقد مدح الانبياء على
تلك الصعوبات التى لاقوها من قومهم ، من قوله وقربناه نجيا ، ونعم العبدانه اواب
و قوله و اذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا (٦) الى غير ذلك من الايات الدالة على تعظيمهم والتعبير بالاداب
معهم ، «القضاء والقدر والجبر والتفويض» يأتى مفصلا على ممر الايات .

(١) الحشر آية ٢٣ (٢) الانبياء آية ١٠٧

(٣) ن آية ٤ (٤) النساء ١٠٥ - (٥) الاعراف آية ١٥٨ (٦) مريم آية ٥٤ .

« القرآن وعبره » وسيأتى بيانها على ممر الآيات وهى كثيرة ، « الاسلام و شؤنه ان الذين عند الله الاسلام (١) » (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (٢)) (ومن يبتغى غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (٣)) ان الاسلام دين البشرية كافة منذ جاء آدم الى ان بعث الله الرسول الاعظم (ص) فقد جاء متمماً للاخلاق والدين وانما تختلف الشرائع بحسب العصور والاجيال والافالدين الذى لا تغيير فيه ولا تبديل ولا نسخ على ممر العصور والاجيال هو رسالة هذا النبى الكريم (ص) « العقائد » وقد جاءت اصول الاديان بالتوحيد و رسالة الانبياء والاعتراف بيوم الدين والجزاء بالثواب والعقاب وبيان الجنة والنار ويوم الحساب والآيات كثيرة فى هذا الموضوع .

« الاحكام فى شريعة الاسلام » العبادات والمعاملات والنكاح والقصاص و الديات والمواريث وغيرها قال تعالى (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (٤)) (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (٥)) (و اذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٦)) ، وسيأتى الكثير من احكام هذه الشريعة من العبادات و المواريث و القصاص ، فى سورة البقرة و غيرها « الايمان و الكفر والنفاق » قد تعرض القرآن الكريم فى اوائل سورة البقرة والمنافقين وقد تكرر ايضاً فى كثير من السور ، « الاخلاق » اوضحت الآيات الكريمة فى القرآن الكريم بياناً للاخلاق الفاضلة النفسية فى سورة الحجرات ولقمان وغيرها « تهذيب الاخلاق » قد تعرض القرآن الكريم فى تهذيب الاخلاق و آداب البشرية ، من الامانة والصدق والورع والزهد والاحسان و آداب

(١) آل عمران آية ١٩ (٢) سورة البينة آية ٥ (٣) آل عمران آية ٨٥

(٤) البقرة آية ٤٣ (٥) البقرة آية ١٨٣ (٦) الحج آية ٢٦

الولد مع والديه ، والوالدين مع اولادهما والجار مع جاره والتعاون والمودة و حسن السلوك و عفاف النفس عن المحرمات والاعراض والاصلاح بين الناس حتى مع الكفار من اهل الذمة والرحمة بين البشر والاستقامة فى الخلق الكريم وسلامة الضمير والعفو عند القدرة والتضرع والخشوع والحكم بالقسط والعدالة والتواضع والصبر والتوبة ، وبيان التوجه الى الفضائل النفسية والتباعد عن الرذائل ، وسيأتى تفصيلها على ممر الايات .

«الاقتصاد والنظام الاجتماعى» فى الاقتصاد اشار القرآن الكريم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين (١) ولا تمس فى الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً (٢) فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (٣) (وفى الموآمرات الباطلة) الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لمانهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جائوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٤) انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥) يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون (٦) وفى القضاء «يا داود انا جعلناك فى الارض خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى (٧)» وفى النظام الاجتماعى «الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب

(١) الاعراف آية ١٣١ (٢) الاسراء آية ٣٧ (٣) الملك آية ١٥ (٤) المجادلة آية ٨ (٥) المجادلة آية ١٠ (٦) المجادلة آية ٩ (٧) سورة ص آية ٢٦

المحسنين (١) ان الله يأمر بالعدل والاحسان (٢) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٣) وفي الاصلاح بين الناس) وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيىء الى امر الله فان فئت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين (٤) انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (٥) « وفي اداء الامانة » ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمما يعضكم به ان الله كان سميعا بصيرا (٦) « وفي الاخاء » واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (٧) وقدوردت الايات الكثيرة في اداء الحقوق حقوق الابناء على الاباء وحقوق الاباء على الابناء وحقوق الزوجة على الزوج و حقوق الزوج على الزوجة والاقارب بعضهم بعضاً وميزان التوارث والمعاشرة ، وقدحت القرآن على طلب العلم والفضيله والتقوى وهى التى توجب كمال الانسان الى اوج الترقى الى غير ذلك مما سيأتى بيانه انشاء الله تعالى ...

(١) آل عمران ١٣٤ (٢) النحل (٩٠) (٣) المائدة ٢

(٤) الحجرات آية ٩٥ (٥) الحجرات آية ١٠ (٦) النساء ٥٨ (٧) آل عمران ١٠٣ ...

* (التوحيد) *

ان معرفة الله تعالى عز شأنه فطرية في اذهان البشر وجبلة في نفوسهم ، لما اودع الله في نفوس البشر ، من الانتقال من المعلوم الى العلة و من الاثر الى المؤثر ، ولذا ان ادراك الانسان للموجد والخالق والمدبر امر فطرى في النفوس وارتكازى في العقل ومشاهد لكل نفس مدركة .

ولذا ان ائمة الهدى (ع) قد ورد عنهم كثيراً فيمن يخاطبهم من الملحدين لله تعالى والجاحدين لوجوده ، ببيان ماهو فطرة العقل ، فيسأل الامام الصادق (ع) ذلك الملحد بأنك اذا ركبت البحر وجائتك الاهوال والاحطار ، هل تفزع نفسك الى شىء فقال بلى ، قال فمن تفزع نفسك اليه ليس الا الله وعندها يرجع الملحد الى التوحيد فهو اظهر الموجودات وانورها .

ولما كانت فطرة العقل والادراك على وجوده ، وانه اوضح الموجودات و انه ارتكازى فطرى لكل شاعر مدرك .

وعند ذلك فنقف على ما يفيد المقام بالوجدان مرة وبالبرهان اخرى . اما البرهان فتوضيحه انا اذا لاحظنا عنوان طردالعدم وليس ذلك الاثبوت والوجود وعندما يلحظ الوجود بدقة وتأمل نرى ما نشاهده في حواسنا و عقولنا

من وجود انفسنا والموجودات من الحيوانات والكرات والكواكب والافلاك لانرى انها موجودة بنفسها وقائمة بذاتها بل نراها بالفطرة والعقل ان وجودها قائم بغيرها . وعند ذلك يلتفت الذهن ، الى ان الموجود لم يكتسب الوجود من نفسه وليس قيامه بنفسه وانما اكتسب الوجود من غيره وان غيره قائم عليه وهو الذى اخرجته من ظلمة العدم الى هياكل الوجود على اختلاف مراتب الوجود فى القوة والضعف .

ويرى العقل بفطرته ان هذه الموجودات قائمة بوجود ما اكتسب الوجود من غيره ولا قائم بغيره بل نفسه حقيقة الوجود وحقيقته طرد العدم لا يعتريه حد ، ولا يشوبه ضعف ولا يعتريه النقصان فهو الغنى بكل معنى الكلمة و غيره الفقر بكل معنى الكلمة .

فالموجودات طرأ عين الفناء والفقر لتلك الذات المقدسة الزهية عن النقصان وهى فى منتهى الكمال ومنتهى الوجود .

واجمالا انا اذا لاحظنا فى عقولنا رأينا ان الموجودات التى نشاهدها عين الفقر والاحتياج و ماهياتها عين اللا اقتضاء فلا بد وان ترجع هذه الموجودات المفتقرة فى وجودها و ماهياتها الى من يبرزها من العدم و يلبسها ثوب النور و الثبوت والاستقرار والحياة . . .

* (بيان و تحقيق) *

اعلم ان المراد بالوجود فى اصطلاح الفيلسفيين هو المتقرر والثابت والاعيان الخارجية فاذا نظرت الى حقيقته وجدتها صرف طردالعدم ونفس العينية والخارج . وبهذا المعنى لانكرر فى الوجود ولا تثنى حيث ان الشىء بذاته لا يتكرر ولا يتثنى وليس محكوماً بحكم من الاحكام فالوجود فى هذه المرحلة هو عين طردالعدم وعين ذاته وحقيقته من غير ان يتقيد بقيد او بجهة من الجهات .

وحقيقته عين طردالعدم وهو الثابت ولا برهان عليه ، لا برهاناً لئلا ينتقل من العلة الى المعلول ولا برهاناً انيا لئلا ينتقل الذهن من المعلول الى العلة ، اذ الشىء بما هو ذاته وعين حقيقته لاعلية فيه ولا معلولية اذ عليه شىء لشىء ومعلولية شىء عن شىء لابد فيها من التعدد وذات الشىء بما هى لا تعدد فيها اذ لا يعقل عليه الشىء لنفسه او معلوليته لذاته ، هذا اذا نظرنا الى حقيقة الوجود وقصرنا الفكرة عليه .

اما اذا نظرنا الى الوجود بنظرة ثانية وهو ان للوجود مراتب وتعدد وان المرتبة التى هى صرف الوجود والعينية من غيراى حيثية كانت لاجبئية تقييدية ولا حيثية تعليلية فهو فوق كل مرتبة وليس له حدوداً ماهية واذا نظرنا الى غير ذاته

تعالى ، رأينا الوجود ذا مراتب متعددة فى القوة والضعف وكلما قرب الوجود فى مراتبه وحدوده الى الحق تعالى كان اقوى واشد و كلما بعد عن الحق تعالى كان اضعف .

فالوجودات الامكانية مما تتعلق بها الماهيات والحدود و اما وجود الحق تعالى فممنزه عن ذلك وهو فوق الكمال والتمام .

ويعبرالفلاسفة عن مفهوم الوجود الشامل لوجود الحق و وجود الممكنات ان وجود الحق هو بشرط لا اى يمتنع فى حقه كل حد او ماهية اضعف ونقصان ويعبرون عن الوجودات الامكانية بالوجودات المقيدة بشرط شىء كالانسان المقيد بالناطقية او بشرط لا كالانسان المقيد ان لا يكون حيوانا صاهلا او نحوه ويطلقون على الكل عنوان الوجود اللابشرط الشامل ، الوجود الحق ووجود الممكنات .

وليتوجه نظر القارى ان التشكيك فى الوجود من الواجب والممكن تشكيك بين وجود الواجب ووجود الممكنات على نحو خاص من التشكيك فان وجود الواجب صرف التمام والفنا ووجود الممكنات صرف النقص والفقر وان وجود الواجب هو المعنى الاسمى بماله من المعنى الاسمى وبما تحيط به هذه الكلمة من جميع الجهات وهو سبحانه فوق التمام وفوق الكمال وان كل عبارة يؤديها المخلوق هى دون مقام ذاته .

واما وجود الممكنات فهو وجود المعنى الحرفى المنك فى المعنى الاسمى وهو النقصان الذاتى بالقياس الى منتهى الكمال الذاتى ووجود الممكن هو صرف التعلق والربط بمقام الواجب، فالممكنات طرأ بالقياس الى واجب الوجود عزاسمه هى تعلقات نفس ذواتها و وجودها بذاته المقدسة و هى محتاجة بالذات اليه و

ولا استقلال لكل موجود عنه فالكل قدمديد السوآل والاستعطاء .

وان الممكنات كلها عين الفقر الذاتى والفناء الحقيقى وصرف الالية لذات الحق، فالاضافة اليه تعالى اضافة المعلول الى العلة التامة والمقهورية الى القاهرية على وجه ما بيناه من تعلق ذواتها بالواجب وفناء وجودها بالحق وليست الاضافة اضافة الموجودات اليه كسائر الاضافات وانحائها ولذا يعبر الفلاسفة عن هذه الاضافة بالاضافة الاشرافية .

فأحد الوجودين منتهى الظهور وفوق الاستقلال والاخر منتهى الفناء والفقر وعين الربط والانتساب .

وليس وجود الممكنات من قبيل الشىء الذى له الارتباط بالآخر بل عين الارتباط والاضافة بالقياس الى الحق وليس الوجود فى الممكن من سنخ ما يضاف الى شىء آخر ، بل حقيقته حقيقة الوجود الرباط دون الوجود الرباطى فهو عين الانتساب والاضافة لان له الانتساب والاضافة .

والتشكيك هنا على مذهب صدر المتألهين وكثير من المحققين هو التشكيك بالمعنى الاخص وان الوجود عندهم واحد ولكن بعين الوحدة كثرة .

والتعبير منهم بان الوجودات الامكانية ، كمعان حرفية ووجوده تعالى كالمعنى الاسمى فيراد به التقريب والاليس كمثله شىء .

وقد بينا فى «المثل الاعلى» هذ الوجه وانه لا يستلزم التشبيه للحق تعالى وانا للظل فى الشبه من صاحب ذى الظل وقد قررنا هناك ما اختاره كثير من المحققين القدماء والمتأخرين من عدم المشاركة بين الواجب والممكنات فى الوجود وان من تمام العلة وكمالها ان تؤثر فى الموجودات على اختلافها وان السنخية بين

المعلول وعلته انما هي فى عالم الطبيعة وان عدم السنخية والتأثير فى ظرف عدم السنخية هو من كمال مراتب العلة وان مفهوم الوجود مفهوماً انتزاعياً عرضياً كمفهوم الشئ المنتزع من حقائق متباينة .

وسياتى قريباً ، ان الاستدلال من ذاته على المعلولات هو الاستدلال اللسمى والبرهان ، من العلة الى المعلول ، وهذه المعرفة للصدقيين والابرار ، وان الانتقال من المعلول الى العلة ، هو معرفة عموم العبادله تعالى .

وسواء انتقل العارف والموحد من ذاته الى مخلوقاته او من مخلوقاته الى ذاته المقدسة ، فلا يراد به المعرفة لذاته تعالى والوصول الى حقيقته .

قال امام الموحدين امير المؤمنين (ع) كلما صورتموه باذهانكم بادق معانيه فهو مخلوق لكم مردود عليكم ، وقال امير المؤمنين (ع) فى بعض خطبه القيمه ، و هو الذى لاتدر كه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن .

وان التأثير فى حال عدم السنخية ، ليس نقصاً فى العلية ، ولا ضعفاً فيها بل هو من غاية كما لها ، والسنخية لم تتحقق الا فى العلل الامكانية الناقصة والطبيعية .

وعلى هذا البيان لاسنخية بين العلة الحقيقية والمعلول ، لانهم انما قاسوا المقام بالعلل الامكانية الطبيعية ، واذا ثبت وتقرر ان ليس فى العلل الممكنة علة حقيقية ، هى مصدر الفيض حقيقة ، بطل القياس من جعل العلة الحقيقية ، كالعلل الممكنة ، واصبح القياس هنا ، تحويلاً على امر مجهول .

وعليه فلا سنخية بين الواجب والممكن ، ولان حقيقة واحدة فى الوجود ، اذ ليس فى دائرة الامكان ، الامعدات وليست عللاً واقعية ، والسنخية تحتاج الى

الاحاطة بالجانبين ، من العلة والمعلول ، على وجه الحقيقة ، وهو امر لا يسعنا الاطلاع عليه ، ولان تعرف على جهة منه .

وان هذا الوجه اقرب الوجوه الى كلمات الانبياء والاولياء وان الادعية و الاذكار والايات القرآنية ، واقوال الرسول (ص) وآله المعصومين (ع) مما يظهر منها اقربية هذا الوجه ، دون سائر الوجوه .

وان الاراء الفلسفية التي يمكن الركون اليها ، اما على ما قربناه ، كما عليه قدماء الفلاسفة ، من جميع الاديان ، من اليونانيين والمسلمين وجميع الالهيين ، واما ان يختار ما ذهب اليه صدر المتألهين والمتأخرين ،

وان من اختار ذلك ، فلا يوجب تكفيرا ، ولا فساداً في العقيدة ، بل هي مباحث نظرية ، يمكن ان يرى الفيلسوف ما اخترناه او ما اختاره صدر المتألهين ، وان الواجب هو الحق الذي لا يشوبه البطلان ، والعلم الذي لا يشوبه الجهل ، والقدرة التي لا يعثر بها العجز ، والارادة التي لا يطرر عليها التردد ، والنور الذي لا يشوبه ظلمة وجود كله ، وعلم كله ، وقدرة كله ، و ارادة كله ، كما صرح بذلك المعلم الثاني الفارابي ، فقال الواجب كله علم وكله قدره وكله ارادة ، وهكذا سائر صفاته .

فهو عين الوجود ، بلاى جهة وتحديد ، ولاى تعليل ، وهو الواجب الذي لا يخالطه البطلان ، وبه يجب كل وجود وهو القائم على كل موجود .

فظهر ان ذاته سبحانه عين الحق والثبوت المحض وانه الواقع الذي لا مانع فوقه ، وقوله الحق والصدق ، واليه ينتهى كل واجب بالغير ، وهو الحق فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله ، قال الشاعر ليبيد بحضور الرسول (ص)

الاكل شيء ما خلا الله باطل
واكل نعيم لا محاله زائل
ولما سمع الرسول (ص) هذا البيت من لبيد ، وان لم يصل لبيد الى اعماق
المعنى الذي نطق به روح القدس على لسانه ، اهتز النبي (ص) لهذا البيت
اهتزازاً عرشياً .

* (الدليل على التوحيد) *

ان الدليل على التوحيد والصانع الخالق ، بعدد انفاس الخلائق ، وذرات
الرمول وقطرات البحار والانهار والامطار ، و بقدر التفكير لكل مدرك شاعر ، و
بكل لمعة من نور ، او نفس من النفوس والعقول ، الى غير ذلك .

والطرق الى الله تعالى ، وان كانت متعددة ، الا انه تارة يقع الاستدلال من
معرفة الى معرفة المخلوقات ويعبر عن هذا ، بدليل الصديقين والابرار ، والانتقال
من العلة وهو الله الى المعلول وهي المخلوقات .

وبيانه انه بعد ما ثبت ان وجود الحق تعالى هو الوجود الذي لا يعتره حيد
ولاماهية ، ولا معلولا لغيره ولا مسبوقاً بغيره . كان صرف النور ، ومحض الوجود .

والشيء الموجود اذا كان صرف طرد العدم ولم يكتسب الوجود من غيره ،
لان حقيقته عين وجوده وذاته عين النور الذي لا يشوبه ظلمة ، ولا يعتره ضعف ،
صار وجوداً لم يعلل من غيره ، ولم يكتسب حقيقة طرد العدم الا من ذاته و
قدسه تعالى .

انظر الى المثال المعروف ، انك اذا قلت الجسم ابيض ، فان هناك امرين ،
احدهما اتصاف الجسم بالبياض وهذا من قبيل اتصاف الشيء بغيره ، فالجسم من

حيث هو لا يوصف بالبياض ، الا اذا عرض عليه البياض .

الثانى اتصاف البياض بالبياض ، فانه من باب اتصاف نفسه ، وهذا الاتصاف ليس من باب الصفة و الموصوف بل من باب ان الشيء عين ذاته فالوجود ذاته ، لا تحتاج الى اتصاف بالوجود ، فذاته تعالى عين الوجود ، قال (ع) يا من دل على ذاته بذاته ، ان ذات الوجود لا تكتسب الوجود من غيرها وان كل وجود ماعدى ذات الحق ، قائم بوجوده ، وكل ما بالغير ينتهى الى ما بالذات .

فبياض الجسم ينتهى الى ذات البياض ، وكل وجود امكانى من وجود الملائكة والانسان والافلاك والحيوانات والجمادات ، قد اكتسب الوجود واتصف به من قبل الحق ، لانه هو الموجد لها ، فوجودها جميعاً هو بتبع وجوده تعالى ، وعلم الانسان والملائكة بالاشياء تبع العلم ، وقدرة المخلوقات تبعاً لقدرته ، فهو دال بذاته على ذاته ، لان الوجود الحقيقى لا يكون معلولاً لغيره ، ولا مخلوقاً لوجود آخر ، ولا علة لنفسه ، لانه منتهى الوجود ، وعين الثبوت والحقيقة ، التى لا يعترىها حد ولا نقصان وهو تعالى كما قال (ع) وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وجل عن ملائمة كيفياته ، يامن قرب من خواطر الظنون وبعدهن ملاحظة العيون وعلم بما كان قبل ان يكون وكما قال سيد الشهداء فى دعاء عرفه متى غبت حتى كان غيرك مظهرراً لك فهو تعالى فى غاية الظهور ونهاية التجلى وكل متجمل وظاهر قائم به فهذا الدليل على التوحيد هو ان ينتقل العبد من ذاته الى مخلوقاته .

قال تعالى (افى الله شك فاطر السموات والارض) (ولا تجعل

مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) (١)

(ان الهكـم لو احد) (١) ولا تدع مع الله انها آخر لاله الا هو ، كل شىء هالك الا وجه له الحكم واليه ترجعون) (٢) الى غير ذلك مما تقدم ذكره فى آيات التوحيد .

الدليل الثانى وهو الذى يفهمه عامة الناس و يرتكزون اليه بحسب فطرتهم ووجدانهم وهوان ينتقل العبد من المخلوقات الى الخالق ومن الموجودات التى يشاهدها ويدركها من وجود الافلاك والملائكة والانسان والعناصر فينتقل منها الى الخالق المدبر والى التوحيد الحقيقى الذى لا يشوبه شك وعندها فكل موجود صغر او كبر حتى الرمل وقطرات المطر وانفاس المخلائق وسير الطبايع وحركات الافلاك لحظة بعد لحظة وحرارة بعد حرارة كل هادلائل الى معرفة الخالق .

وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون (٣) و لا تجعلوا مع الله الهاً آخر انى لكم منه نذير مبين (٤) لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين (٥) الى غير ذلك مما تقدم ذكره و تشاهده فى الكتاب الكريم من دلالة الخلق على الخالق ...

(١) الصافات آية ٤ (٢) القصص آية ٨٨ (٣) القصص آية ٧٠
(٤) الداريات آية ٥١ (٥) الدخان آية ٨ ...

* (صفاتة تعالى) *

ان الله تعالى هو العالم القادر الحى المرید السميع البصير ، وهذه الصفات هى عين ذاته وحقيقة وجوده وليس هو تعالى من قبيل الموصوف والصفة كقولك زيد عالم او كاتب .

ولو تعدد الصفات والعياذ بالله وكانت غير الذات لزم تعدد الواجب ان كانت الصفات قديمة وعروض الحوادث على الواجب ان كانت غير قديمة .

قال امام الموحدين امير المؤمنين (ع) فى تنزيهه تعالى عن الصفات ، اذ كل موصوف غير الصفة وكلما وصفتموه بأدق معانيه ، فهو مخلوق لكم مردود عليكم وهذا هو اختيار الفلاسفة المحققين وعليه مذهب الامامية قديماً وحديثاً وان خالف بعض المسلمين فى ان صفاته متعددة وقديمة وانها من شئون ذاته ولسنا بصدد الرد لان تعدد الصفات موجب لتعدد وعدم وحدة وجوده وانه محتاج اليها وانه باعتبار صفاته يكون متعدداً ومركباً ومن اراد التفصيل لذلك فاليراجع ما كتبناه ، فى (المثل الاعلى) ...

* (صفات افعاله) *

ان الله تعالى هو الفاعل الموجد و الخالق الرازق وهذه الصفات يعبر عنها بصفات الافعال ، فصفات الذات لا يمكن سلبها في حال من الاحوال ولا في زمان من الازمنة ولا في عالم من العوالم .

فلا يصح لك ان تقول علم الله بالشىء الفلانى ولم يعلم بالشىء الاخر ، او قادر على شىء وليس بقادر على آخر ولكن يصح لك ان تثبت الصفات الفعلية في حال دون حال تقول اعطى الله الرزق لزيد ولم يعطه لعمر وخلق الله ولدأ لبكر ولم يخلق لخالد .

لان هذه الصفات ، يتصف بها الله باعتبار تعلق ارادته بشىء دون شىء ، و بوجود دون آخر وهى كلها راجعة الى الفاعلية والايجاد منه تعالى ، فالخالق و الرازق والمعطى والمحيبى والمميت كلها راجعة الى فاعليته .

وانت اذا نظرت الى جميع الموجودات والكائنات وجدت انها لو لم تتعلق بها ارادته و فاعليته لم تكن شيئاً موجوداً وان جميع العلل التى تشاهدها فى عالم الكون ، لانجدها الامعدات وقابليات وان ليس الفاعل والموجد و المبدع الا الله

تعالى فكل حركة وكل وجود وكل ملك وانسان وجامد ومتحرك كلها قائمة بفاعليته
وايجاده والالم تكن شيئاً موجوداً ، فتبارك الله احسن الخالقين ، خلق كل الاشياء
على قدر قابلياتها واستعدادها ، وجعل بعض الشعاعين ، كالانسان مختاراً فسى فعله
كل ذلك على طبق علمه تعالى ، الذى لا يتخلف عن الواقع ، فهو غاية الغايات ،
ونهاية النهايات . . .

* (الوهيته وعبادته) *

ان الله تعالى هو المعبود الحقيقى ولا معبود سواه ، فهو الواحد ذاتاً وصفة
وفعلا وعبادة ، قال تعالى (لا اله الا انا فاعبدون) وقد تكثرت الايات الشريفة فى عبادته
والتوجه اليه وان لا معبود سواه .

وان الانبياء وان عظم مقامهم و جل شأنهم ، فعلى العباد ان يعظموهم ، و
يعترفون لهم بالنبوة والولاية ولكن لا يصح الخضوع لهم والعبادة ، بل هم عباد الله
المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بامرهم يعملون .

وكل نبي اوولى ، اذا قربت منزلته من الله تعالى و درجته فى مقام الحق
والبقيين ، اشتد خلوصه لله وتفانته ذاته فى ذات الله ، فلا يسمع ولا يتحرك ولا يتنفس
الامتوجه الى الله ومتعلقاً بذاته بذاته .

واعظم الانبياء توجهها والاولياء هو الرسول الاعظم (ص) وآله الذين اذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

فان جميع عبادتهم وجهادهم وحرركات قلوبهم وانفاسهم كلها عين التوجه

الى الله تعالى والفناء في ذات الحق .

فالمسلم الحقيقي ، ما كان موحد الذاته تعالى وموحداً في صفاته و موحداً
في فعله وارادته وموحداً في عبادته والانقياد اليه ، جعلنا الله ممن عباده المخلصين
انه ولي التوفيق . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين
والمسلمين الحقيقيين ، ما كان موحد الذاته
تعالى وموحداً في صفاته و موحداً في فعله
وارادته وموحداً في عبادته والانقياد اليه ،
جعلنا الله ممن عباده المخلصين انه ولي
التوفيق . . .

* (اضواء وتوضيح) *

على ضوء البحوث السابقة ، يتضح لك جلياً ، عدم جواز تركيب الواجب وانه بسيط الحقيقة وهو صرف الوجود .

و يتضح لك ان تركيب الواجب ، من وجودين اصليين بحيث يكون كل منهما له مادة وصورة ، او وجود واحد له مادة وصورة ، او وجود ينحل الى ماهية و وجود بتحليل عقلي ، كتحليل الشيء الى جنس و فصل ، فجميع الصور ، مما لا تقاس على الواجب .

فان صرف الوجود ، بما هو صرف الوجود ، لا تعدد فيه خارجي ولا تعدد فيه على وجه التحليل العقلي ، لتنافيه مع الواجبية و صرف الوجود ، كما هو واضح .

وان الذات المقدسة ، ذات نعوت وصفات ثبوتية وسلبية و اضافية .

اما الثبوتية المتحدة مع الذات ، فهي علمه وقدرته واختياره و ارادته وحياته و سماعه و بصره و ليس بين هذه الصفات و الذات المقدسة اثنية خارجية او تحليلية عقلية بل حياته وذاته عين علمه وقدرته و ارادته و عين سماعه و بصره .

والا فلو فرضنا وجود العلم والقدرة والارادة ، انها غير الذات ، فاما ان تكون ازلية او حادثة ، اما اذا كانت هذه الصفات ازلية استلزم تعدد الواجب ، بتعدد

الصفات والذات ، واصبح الواجب سبع اشياء ، لاواجباً واحداً .
و اما اذا كانت حادثة وقامت بذات الواجب الزم تقوم الواجب بالامور
الحادثة وهذاخلاف كونه واجبا ، ويلزم افتقار الواجب الازلى الى الممكن الحادث
وتقومه به وهو باطل ومحال وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذه الصفات يعبر عنها باصطلاح الفلاسفة ، بصفات الجمال .
الثانية الصفات السلبية وهى انه تعالى ليس له مادة وصورة ولاجنس ولافصل
ولا امكان ولاحدوث ويعبر عن مجموع الصفات الجمالية والجلالية بصفات الكمال
الذى ليس فوفه كمال .

وعند التأمل والنظرالى واقع الامر ، لاتجدالصفات السلبية ، صفاتاً ترجع
الى الذات ، بل هى فى الحقيقة تنزيه الواجب عن حضيض الامكان وتعظيمه تعالى
عن صفات الممكن من الماهية والمادة ومن الحدوث والتغيير ولعل التعبير بانها من
الصفات تعبيربالعناية والتجوز .

والافى الحقيقة ، كما لوحنالك انها لاترجع الى الصفة والموصوف ، بل
حتى مانتصوره من صفاته الذاتية التى هى عين ذاته من باب الحكاية عن الواقع .
والا فلايسعنا الا ان نلتزم بمانتصوره من الصفات على تلك الذات المقدسة .
واعلم ، ان الصفات الذاتية ، كلها ترجع الى واجبية وجوده وحقيقة ذاته ،
من غير تعليل ولا توصيف لانه حسب الفرض ان ذاته عين العلم والقدرة و الارادة
وغيرها من الصفات فهى ليست الا مطابق تلك الصفات ، من غير تقييد ولاتعليل لان
الشيء بنفسه ، لا يكون علة لنفسه ولا معلول لها ولا تكون ذاته مقيدة بذاته ، بحيث
يكون التقييد جهة تقييدية فيه .

فالجها تقييدية والتعليلية ، لاتتصور فى ذاته و لافى صفاته الذاتية ، من
العلم والقدرة والارادة والاختيار والسمع والبصر والا لخرج الواجب عن كونه
واجباً .

واما الصفات السلبية فكلها ترجع الى معنى واحد وهو سلب الامكان .
وبالسلب الامكانى ، يتحقق السلب عن كل ما يتصور فيه من الاستعداد و
الحدوث وسلب المادة والصورة والجنس والفصل حيث انه اذا صار الشىء الواحد
مسلوباً عنه الامكان فقد سلبت عنه جميع جهات الامكان ، من المادة والصورة و
الاستعداد والتغير والجنس والفصل لان الكل ينطبق عليه انه سلب الامكان .
واما الصفات الاضافية ، فكل ترجع الى معنى واحد وهو القيمة على
الموجودات .

فانه القائم على كل وجود الفاعل لكل موجود . وتكون نسبة الاشياء اليه
تعالى نسبة الاضافة الاشراقية لان الكل لمعات ذلك النور وامواج ذلك الظهور و
ليس هناك مضاف و مضاف اليه بل اضافة اشراقية وهى قيام الموجودات بذاته و
فنائها فى حقيقته فلا وجود لها الا عين الربط به تعالى الا انه لو كانت الاشياء مضافة
اليه ، باضافة مقولية يلزم من ذلك تحقق الاشياء وثبوتها فى قبال الواجب تعالى ،
وليس للموجودات بالقياس اليه تعالى استقلال ، بل هى الفناء والوجود المنذك
بالقياس اليه تعالى وانه المعبود الحقيقى وان لامعبود سواه وان المسلم المؤمن
من وحد الله فى ذاته وصفاته وافعاله، ووحدته فى عبادته والتوجه اليه ...

* (حكيمته وتدييره) *

انك اذا نظرت الى الموجودات ممن يحس ويشعر من الماديات ومما هو فوق المادة كالعقول والملائكة ونظرت الى الكرات التي تراها وما يشاهده الانسان فى نفسه وحر كات ضميره يرى ان الكون مملوء بالاسرار والعجائب والنظام الذى لا يحيط به العقل ولا اتصل اليه الافهام .

وتنظرتارة الى القوى بين الكرات وان كل كرة وكوكب لا تصطدم مع الاخرى ولا تأخذ بالهبوط او العلو بل واقفة بحدها ومركزها لا تجذب كرة اخرى ولا يصطدم كوكب بكوكب وكل محاط بقوى خاصة من غير تعد على الاخر .

ثم اذا نظرت الى الارض وما فيها من غرائب وعجائب فى جوفها و ظاهرها ونظرت الى نفسك وعقلك وعلمت ان هذه الكرات كلها وسيلة لحياة البشر الذى اراد الله به البقاء لا الفناء ورأيت ان الله تعالى ملاء هذه الكرة بالاكسيجين لاجل حفظ النفوس عن الهلكة والاستعداد للبقاء واداء الوظائف الشرعية من العبادات والمعاملات ومن الاجتماع والاقتصاد .

كل هذا مما يدل على ان هناك خالقاً حكيماً و مدبراً و حافظاً لنظام المخلوقات
كلها والعوالم باجمعها فهو العزيز الحكيم المدبر .

وقد ورد فى الايات الكريمة من القرآن ما يدل على تدبيره وحكمته فى عالم
التكوين من نظام الكواكب والكرات وفى عالم التشريع من توجيه الخلق الشاعر
الى الوصول الى اعلى مراتب الحياة الابدية .

ومن اضواء ما تقدم كله تعرف قدرته وعلمه وحياته و ارادته و تدبيره ،
فسبحان الذى اعطى كل شىء ثم هدى ...

* (الجبر والتفويض والامر بين الامرين) *

ان حديث الجبر قد التزم به الاشاعرة وان الارادة الازلية هى القاضية على العبد ، بان يعمل على طبق تلك الارادة منه تعالى وفى قبال هذا القول رأى المفوضة . وقد ذهبوا الى ان العبد بعد ايجاده وتحقق ارادته ، فهو العامل فى كل الاشياء من غير توجه ارادة الله فى ايجاد اعماله وتكوينها وهذا ان الرأيان من الاشاعرة و المفوضة خلاف مذهب الامامية .

و ان مذهب الامامية ، لا جبر ولا تفويض ولكنه امر بين الامرين ، و منزلة بين المنزلتين .

وانت اذا تأملت كلمات الاشاعرة بدقة ، رأيت اكابر علمائهم يذهبون الى اكثر من الجبر وهو ان فعل العبد هو فعل الله تعالى .

غايته ان محل الفعل من الله هو العبد ، لان الله جبر ارادة العبد على العمل فالعمل منه تعالى ، الا ان محل ايجاده هو العبد .

فانه قدورد عن ائمة الهدى (ع) انه لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين وهذا مذهب الامامية ، فى قبال مذهب الاشاعرة والمفوضة و هو جبر من ناحية وجود الانسان فان وجوده من الحق تعالى ، ليس تحت اختياره ولا تحت جعله و

ايجاده وكان وجوده لتعلق القضاء والقدر به وهو تفويض ايضاً من ناحية اختياره و
انه تعالى او كل افعاله اليه ، قال تعالى انا هديناه النجدين - انا هديناه السبيل اما شاكراً
واما كفوراً وما كان ربك بظلام للعبيد .

والتحقيق في البحث على الوجه الاكمل وهوان وجود كل فعل من المكلفين
فله حيثيتان ، حيثية انه وجود وطارد للعدم ، و افاضة كل وجود من الحق تعالى
لان الوجود لا يمكن تحققه في الخارج ، الامن قبله تعالى لانه العلة الحقيقية والفاعل
الذي لا شرط في فاعليته ولا تقييد في ارادته وان كل شرط او تقييد ، فيرجع الى
ذلك الوجود الصادر منه تعالى واذ اطبق الفلاسفة ، ان لا شرطية لفاعليته لتمام فاعليته
وعليته وانما الشروط ترجع الى القابل والموجود ، فليس لفاعليته شرط وانما الشرط
لمتمم قابلية القابل .

واما الحيثية الثانية ، فمن ناحية ان الفعل تحت اختياره و ارادته كان تفويضاً
الى العبد .

وعلى هذا البيان ، يكون الفعل من العبد ذا وجهتين ، الوجهة الاولى من الله
تعالى والاخرى من العبد فمن ناحية هو فيض الله تعالى ومن ناحية اخرى هو فعل العبد
وان هذا المذهب الذي عليه الامامية ، هو الذي يتناسب ويتجاوب مع التشريع الاسلامي
وما جاء به النبي الكريم من رسالة السماء .

وعلى هذا المسلك ، يتضح لك ان الجبر ظلم في حق المكلفين والتفويض
شرك ...

* (نظرة حول رأى الاشاعرة) *

انك اذا لاحظت ما حرره الاشاعرة وجدت كلماتهم واقعة على اتجاهين .
الاتجاه الاول ، ان العبد فى ارادته مجبور للارادة الازلية من الحق تعالى ،
وان ارادة العبد فانية فى ارادة المولى وان بعض كلماتهم ان علمه تعالى موجب
لجبر العباد وانه العلة التامة لقاهرة ارادته تعالى لارادة العبد .

وقد اوضحنا فى محله فى الفلسفة والاصول بطلان هذ الوجه و انه
مستلزم للظلم وعدم صحة التكاليف وعدم الثواب والجزاء على وفق الاعمال .

الاتجاه الثانى وهو الذى يظهر من اكابر علمائهم ما هو وراء الجبر واشد محذوراً
منه وهو ان الفعل الصادر من عباده تعالى ، ليس فعلهم وانما هو فعله .

غايتة ان العبد محلاً لذلك الفعل من الله تعالى وانه ليس هناك ارادة للعبد
حتى يقع الجبر من الله تعالى لارادته ولننقل اليك رأى صاحب شرح المواقف .

ان افعال العباد واقعة بقدرته الله تعالى وحدها وليس لقدرتهم تأثير فيها ، بل
الله سبحانه اجرى عادته بان يوجد فى العبد قدرة واختياراً فاذا لم يكن مانع او وجد
فيه فعله المقدر مقارناً لها ، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله ابداعاً واحداثاً ومكسوباً
للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته من غير ان يكون هناك منه تأثيراً فى وجوده

سوى كون العبد محلاله و هذا مذهب الشيخ ابي الحسن البصرى .

وهذا الوجه يتناسب مع مذهب الصوفية القائلين بوحدة الوجود والوجود وان لا وجود الا وجود الحق سبحانه وتعالى وان الموجودات هياكل وتشكلات لتلك الحقيقة .

وقد بينا فى الفلسفة من (المثل الاعلى) و علم الاصول ان هذه الاقوال لا تستحق الذكر لوضوح بطلانها والاخبار عن ائمة الهدى متواترة ان لا جبر ولا تفويض بل امر بين الامرين .

فمنها رواية المفضل عن ابي عبد الله (ع) قال لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين الامرين .

ومنها صحيحة هشام وغيره قالوا قال ابو عبد الله (ع) انا لا نقول جبراً ولا تفويضاً .

ومنها رواية صالح عن بعض اصحابه عن الصادق (ع) قال يسئل عن الجبر والقدر، فقال لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق الذى لا يعلمه الا العالم او من علمه العالم .

و منها مرسله يحيى عن الصادق (ع) قال لا جبر ولا تفويض ، بل امر بين امرين .

ومنها صحيحة يونس عن الصادق (ع) قال قال له رجل جعلت فداك أجب الله العباد على المعاصى قال (ع) الله اعلم من ان يجبرهم على المعاصى ثم يعذبهم عليها فقال له جعلت فداك فوض الله الى العباد قال (ع) لو فوض اليهم لم يحصرهم بالامر والنهى فقال له جعلت فداك فبينهما منزله فقال (ع) نعم اوسع مما بين السماء

والارض .

وماروى عن ابى بصير قال قال ابو الحسن الرضا (ع) قال الله تعالى يا بن آدم
بمشيتى كنت انت الذى تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتى اديت فرائضى وبنعمتى قويت
على معصيتى جعلتك سميعاً بصيراً قوياً .

وعن الكافى -- قال قال رسول الله (ص) من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء
فقد كذب على الله ، ومن زعم ان الخير والشرب غير مشيئة الله ، فقد اخرج الله عن
سلطانه ومن زعم ان المعاصى بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله ادخله
النار .

وامام اورد فى البحار عن المحاسن باسناده عن ابى جعفر (ع) قال لا يكون
شىء فى الارض ولا فى السماء الا بهذه الخصال السبع - بمشيئة - واردة - وقدر -
وقضاء - واذن - وكتاب - واجل - فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة منهن
فقد كفر .

ويعرف من هذه الاحاديث الشريفة امور ، اولاً ان الجبر مستلزم للظلم و
الجور على العباد وانه تعالى خلق الخلق تكريماً والظلم ليس شأن الغنى المطلق
وخلاف حكمته وتدبيره وليس جبره تعظيماً لقدرته ، لمنافاته لحكمته تعالى واي
عقل يخطر فى باله ، ان ذلك الحكيم يجور على العباد ويظلمهم .

والاخبار الشريفة كما صرحت بكبت المجبرة ، صرحت ببطلان مذهب المفوضة
حيث زعموا ، ان غناء الواجب تعالى يستدعى ان يستقل العبد فى افعاله وهذا
تحديد لقدرته وابطالاً لمشيئته و سلطانه ، فما ذهب اليه المجبرة خلاف الاوليات

الضرورية وما ذهب اليه المفوضة ، خلاف البراهين العقلية .

وثانياً - ان الروايات الشريفة صريحة في رد المذهبيين من الاشاعرة والمفوضة .

وثالثاً - ان بعض روايات الباب من كتب الحديث قد صرحت بان الله اولى

بحسنات العبد والعبد اولى بسيئاته ، فما الطف هذا البيان وما اعلى هذا الهدف

الذى اتجهت اليه هذه الروايات ، فهي من حيث انوارها والطاقها اولى ان تنسب

الى الله تعالى واذا نسبت السيئات ، فيمتعين نسبتها للعبد .

واجمالاً ، ان التفويض شرك ، والجبر ظلم وكل منهما خلاف الادلة والبراهين

لتمام فاعليته تعالى واختيار العبد في افعاله وان الله تعالى ، في غاية العدالة والرحمة

بعباده ، وقدورد ان التفويض شرك ، في الروايات المتواترة في كتب الحديث وان

مذهب المفوضة ينافي الفاعلية التامة للحق تعالى .

وقد تقدم منا ان مذهب الامامية هم الموحدون في المراحل الاربعة ، موحدون

في مرحلة الذات ، اذ لا تعدد في ذاته تعالى وموحدون في مرحلة الصفات ، لان

علمه عين قدرته وعلمه وقدرته ، عين ارادته وهذه الامور عين حياته وسمعته وبصره

والالتعدد الواجب او كان محلاً للحوادث والحدود الامكانية وتعالى الله عن ذلك

علواً كبيراً .

والامامية هم الموحدون في صفات الفعل وانه تعالى هو الفاعل المطلق والمخالق

والرازق والمحيي والمميت والفاعل حقيقي الاذاته .

وقد نسب بعض علماء العامة الى الامامية التفويض في الرسول و آله

المعصومين ولكن ذلك من جهة عدم ملاحظة كتب علماء الشيعة والافلو راجعوا

كتب علماء الامامية لوجودهم مصرحين بان لارادة للرسول الاعظم و اهل بيته ،
الارادة الله ولامحبة لاحد ولا بغض الا في الله ، فلانفويض لاهل البيت (ع) لاتكوينا
ولاتشريعاً عند الامامية ...

* (الجواب عن الفلاسفة عن الجبر والتفويض) *

رأى الفلاسفة ان وجود الممكن ظل الوجود الحق تعالى واذا كان ظل الوجود فكيف تصدر منه السيئات ويتصف بقمح الافعال والاعمال واستناد افعال العبد الى الله، استناد المعلول الى العلة التامة واجابوا ان السيئات والشقاوة، كلها تابعة للملكات النفسية للشخص التابعة لحدوده وماهيته وكلمما يجرى من العبد تابع لماهيته .

وحيث ان الماهية ذاتية والذاتى لا يعقل ، فان لوازم الماهية كالماهية ، لانقبل التعليل واستشهد لذلك فلاسفة المسلمين ، بماورد ، ان السعيد سعيد فى بطن امه والشقى شقى فى بطن امه والناس كمعادن الذهب والفضة .

والدفع عن هذا الوجه ان الجبر وان لم يكن من الله تعالى فى الشقاوة وافعال السيئات .

و على هذا المبنى ، فالجبر وان لم ينسب اليه تعالى ولكن الجبر من نتائج الماهية وشؤونها .

ومن البيانات السابقة ، ان ما جاثوا به لا يطابق موازين الشرع وقوانينه ، و الايات والروايات دالة ، على ان المعاقب والمثيب هو الله ، لا الماهيات وان دخول الجنة والنار ، بسبب الاعمال ، لامن لوازم الماهيات والحدود وكيف يتناسب مع

رحمة الله ولطفه تعالى ان يوجد مخلوقاً يتعذب بماهيته ، الى غير النهاية وما ذاك
الانظير من اعطى سيفاً لشخص آخر يريد قتل احد الناس فانه قبيح ذلك بضرورة العقل .

و ثانياً - ان هذا المسلك انما يتم على رأى الاشراقيين الداهيين الى اصالة
الماهية واما على رأى المشائين الداهيين الى اصالة الوجود واذ كانت الماهيات
تابعة للوجود ومتحدة معه ، فليس لها الانحوا استعداد و قابلية ، لا من باب التأثير
والتأثر وقد انطبع فى اذهان علماء الاسلام ، من الفارابى و الشيخ الرئيس و من
المحقق نصير الدين الطوسى و صدر المتألهين وغيرهم ، تعظيم فلاسفة اليونان ،
لحسن ظنهم بهم .

والافمن راجع التاريخ وما كتبه اليونانيون فى كتبهم ، انه لم تكن حكمة
سقراط ، الاخلاقية و ان حكمة افلاطون قد مزجت برهبانية الهند و مصر و هكذا
من تأخر عنه ، من ارسطو وغيره و ما كبرهم الاحسن الظن من علماء الاسلام و الا
فلسفتهم على حسب ماضبطه التاريخ فلسفة مبعثرة و قواعد لا يرتبط بعضها ببعض
و الكثير منها اوهام و خيالات ، كما ظهر الخطأ فى كثير فى العصور الحادثة .

و ثالثاً - ان الذهاب الى الجبر لا يتمشى حتى على مذهب الطبيعيين ، فان
الطبيعة و ان اقتضت التأثير فى حد ذاتها للشئ و لكن عند تكامل البيطة يحصل
الاختيار ، فالطبيعى اولى بالجبر من الموحد و اقرب الى سلب الاختيار ، ممن يعتقد
بالتوحيد ، و رسالة السماء .

وسياتى منا فى تفسير الايات المناسبة لهذه المباحث ، توضيحاً لهذه
الاهداف ...

* (القضاء والقدر) *

ان بحث القضاء والقدر لما اشتبه على اذهان كثير من علماء ابناء السنة و الجماعة و خلطوا بين البابين ، فتحكمت في اذهانهم شبهة الجبر ، لان القضاء من الله تعالى ، لا يتخلف عما قضاه ولا تبديل ولا تغيير لقضاء الله تعالى .

ولما جعل المجبرة مسألة الجبر من صغريات كبرى القضاء لم يتمكنوا من الجواب عن شبهة الجبر واذت اذا راجعت باب القضاء والجبر ، رأيت ان احد البابين لا يرتبط بالآخر ، لان الجبر انما يتعلق بفعل المكلفين والقضاء والقدر يتعلق في ايجاد الله للكائنات والمخلوقات وفعل المكلف لما كان تحت الاختيار فلا يقع في باب الجبر ولا تحت القضاء والقدر و كل من البابين اجنبى موضوعاً ومحمولاً عن الاخر .

فالجبر من حيث افعال العبد واختياره والقضاء والقدر ، من حيث فعل الله و ايجاده للكائنات .

فالقضاء والقدر مما لا يمكن ان يدركه العقل او يحيط به ولذا ان امام الموحدين (ع) عند ما يستل عن باب القضاء والقدر ، يقول سر الله فلا تكشفوه واذا سئل عن الجبر يقول افهل ان الذى دهاك رماك .

وان الانسان بطبيعته و ضرورة عقله ينكر الجبر .

* (النبوة ورسالة السماء) *

ان الانسان بفطرته عندما يشعر بوجود الكائنات وبهذا النظام الغريب العجيب ويعرف انه قد خلق على احسن تقويم ، بعقل وشعور وان له الاختيار، في افعاله من خير او شر وانه لم يجئ الى هذا العالم صدفة واتفاقاً وانما جاء على نظام محكم وان الله تعالى اراد به خيراً وما اراد به شراً وانه يوصله الى غاية الكمال ، يعرف بوجوده وضميره ، ان الله لا بد ان يرسل اليه من يرشده ويهديه الى الصراط المستقيم ويبعده عن الجحيم .

قال الله تعالى ، (انا هديناه النجدين اما شاكرآ واما كفورا) و عند ذلك يقطع ، بان الله لا بد ان يبعث اليهم مبشرين ومنذرين وان يشرع لهم قانون العدل ، في الدنيا والوصول الى اعلى درجات الاخرة وهذا الحكم من البشر حكم فطري وادراك عقلي ، لا يتخلف ولا يختلف ...

الرسول الاعظم (ص)

قال الله تعالى ، فى كتابه الكريم (و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين)
(وانك لعلى خلق عظيم) (فاستقم كما امرت) ان من كلف من الله باحكامه
لابد ان يرسل اليه ، من هواكمل مراتب الوجود وله جنبه الهية ونور قدسى و
جنبه مادية ، يتوجه بها الى البشر ويتعين ان تتم فيه الحكمة والفلسفة ، بمعرفة الخالق
على وجه لا يحيط به البشر ، وان تتم فيه الحكمة العملية ، من الاخلاق الفاضلة و كتم
الرزائل والصفات الذميمة من الحرص والحسد وخبث الضمير ، لبيعه الله الى الهداية
و الرشاد والى حقائق الامور وان يكون فوق عقول البشر ، بحيث يصله الوحى ،
او الالهام ، لصفاء نفسه وعلو ذاته .

وان الله لا يرسل ملكاً ، لعدم التطابق بين الرسول والمرسل اليه ولو بعث الله
ملكاً ، لكان بصورة البشرية ، لان النفوس تهتدى من طريق المشاكلة والمناسبة .

وان النبى او الولى ، لابد وان يكون معصوماً عن الذنوب من الصغائر و
الكبائر ويراد بالعصمة ، هو ترقى نفوسهم وعلوها عن ارتكاب الرذائل ، لان النبى ،
او الولى قد سلبت قدرته عن المعصية ، لان من سلبت قدرته ، كان مجبوراً وكيف
يثاب النبى على ما اجبر عليه .

وانما المراد بالعصمة ، تنزه نفسه عن ارتكاب الجرائم والموبقات وعلو شأنه عن ارتكاب القبائح والسيئات وان قدر على المعصية وان الله يوحى اليه او يلهمه بقانون يحفظ اجتماع البشرية ونظام اقتصادهم واخلاقهم والهداية الى الحق والطريق المستقيم وان افضل مراتب رجال النبوة والرسالة ، هو النبي الاعظم محمد ابن عبدالله (ص) سيد الانبياء والرسل والشفيع يوم القيمة .

وانا لانريد ان نطيل فى هذاالمقام ، لما سيأتى فى الايات المتعرضة لذلك وانما نريد توجه القارى ، الى نبوة هذا النبي الكريم وانه جاء بأفضل المعاجز و هو القرآن المجيد والعروج الى الملاء الاعلى وانشقاق القمر ولم يأتى احد من الانبياء ، بمثل ذلك ، حيث انه سيد الانبياء ورسالته منتهى الرسالات وتشريعه فى غاية التشريع والهداية .

وما جاء به الانبياء لم يكن بدرجة هذه الامور الثلاثة ، من اعجاز القرآن و المعراج وانشقاق القمر .

وقد اشارت الاية الكريمة ، بقوله (و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين) . ان رسالته ونور وجوده غاية التشريع ونهاية اللطف من الله على عباده ، ببعثة هذا الرسول الكريم وانه اشرف الموجودات واعظم الكائنات .

وقد ذهب الفلاسفة ، الى ان الرسول وآله المعصومين عليهم السلام هم وسائط التكوين والتشريع وان كل نبي ورسول هو دون مرتبة هذا النبي الكريم (ص) .

فهو نور كل وجود فى دائرة الامكان وهو الرحمة التشريعية ، بابلاغه الناس الحججة البالغة و هو الرحمة التكوينية فى شفاعته ، حتى ورد ان الانبياء والرسل ، تلو ادرجاتهم ، بشفاعة هذا النبي العظيم (ص) وقد وصفه الله بقوله وانك لعلى خلق عظيم وما جاءت آية فى كتاب الله فى حق نبي اورسول بمضمون (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ونحوها مما تدل على افضليته وان سنته هى الشريعة الدائمة ،

على ممر العصور وان شرائع الانبياء السابقين ، قد حددت بزمان معين لا تتجاوزه .
واجمالا ، ان وجود النبي وآله المعصومين (ع) اكمل مراتب الوجود في
دائرة الممكنات وانه لا بد ان يكون الوسيط في تشريع الاحكام والرحمة للبشرية .
وما جاء نبي من الانبياء كما بينا من القرآن والمعراج وانشقاق القمر ، بما
سيأتى بيانه ، من ان نفوس الانبياء ، اقل من نفسية الرسول العظيم و ان لا
وجوده الا الحق سبحانه وتعالى ...

* (الامامة) *

ان البحث حول الامامة ، يستدعى قبل تحرير مباحثها ، تمهيداً وعرضاً .
اننا نقدم قبل بحث الامامة ، ليشاهد القارى ، ان الغرض المقصود ، ليس
الايوادة الكلمة واتباع كلمة التوحيد بين صفوف المسلمين وان كل مسلم مع آخر
من اى مذهب كان من المذاهب الاربعة ، او المذهب الجعفرى الامامى ، متوجهون
الى حقيقة التوحيد واتباع الرسالة والاعتراف بيوم المعاد وهى جوامع لهم فى
العقائد .

ولهم جوامع اخرى ، فى التفريعات الفقهية و المذهبية من اقامة الصلاة ،
وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر والمساواة بين المسلمين فى الحقوق واقامة العدل .

وهذه الجوامع العقائدية والمذهبية ، توجب على كل مسلم ، حفظ حقوقه
وحقوق الاخرين .

وان الاسلام بقوانينه ، يوجب الاتحاد ، بين صفوف المسلمين وان يكونوا
كانسان واحديتألم بعضه اذا تألم البعض الاخر وان التفرقة بين صفوف المسلمين
هدم لدعائم الدين .

وماذاك الامن الاجانب واعداء المسلمين ، لاجل ان لاتتم الوحدة بين المسلمن
وئثلا يظهر معالم الاخوة فى ناديتهم ، فويل لمن شق عصا المسلمين ، وبذر العدا
بينهم وويل للانسان الذى يخون وجدانه ، اتجاه غرض زائل ، يغريه به العدو ، و
الامم الباطلة ، لنشر جرثومة التفرقه ويشعل نار الفتنة والعداء ، بين المذاهب الاسلامية .
ان الغاية المنشودة لهوء لاء معروفة و واضحة لكل ذى عقل ، لانهم احسوا
من الشعوب الاسلامية ، تقارباً ولمسوا منهم اتحاداً و ذلك مالا ترضاه سياستهم ،
ولا يقبله قانونهم ، لماركزوا عليه فكرتهم للسيادة على الشعوب وسلب اقتصادهم ، و
صيرورت الشعوب الاسلامية ، ارقاء لهم ، حتى استأجروا كتاباً ، يلقون الخلاف ،
بين المسلمين والتباعد بين آرائهم وان لا يتجهوا الى الحقائق ، ففرقوا مافرقوا ،
حتى جاء دور اليقظة وعمت الشعوب الاسلامية واستنارت عقولهم بالعلم و اصبح
الوعى فى نفوسهم ، ففطنوا ان الاجنى يريد اختلافهم وينبغى لكل مسلم ان يرجع
الى العلم .

و انى اجل المذاهب الاسلامية عن التفرقة و الجهل للمصالح الشخصية
واذهاب المصالح النوعية بين عامة المسلمين .

وانى لا ارضى لكل مسلم النقص وعدم التوجه الى المعارف الدينية ، لان
الوحدة الاسلامية وهى التوحيد والعقائد والفروع الاسلامية ، كلها جوامع لهم ،
وانه لا ينبغى لكل مسلم عالم او عارف ، ان يقدم المصالح الشخصية ، من المادة
والرياسة ، على توحيد الكلمة ، بين الصفوف الاسلامية ، ولا بد لكل مسلم ، ان
يظهر امام المجتمع الانسانى بمظهر الشرف والنزاهة ، والعلم والمعارف ، الذى
حث عليها الاسلام وان يكون كل مسلم ، يستضيئ بنور العلم وان المسلمين ابناء
العلم والدليل والمعارف الحققة .

فالمعرفة فى صف كل مسلم ، يسير معها المسلم حيث ماسارت .

ولا ينبغي للمسلم ، ان يخضع لافكار اكل الدهر عليها وشرب ، ولا ينبغي التجري لمذهب على مذهب ، ولا مسلم على آخر ، بل الكل يتوجه الى البرهان والدليل .
وان تعرضنا لبيان الامامة ، ليس المقصود منه هو التجاسر على مذاهب اخواننا من العامة ، بل كل مسألة ، بين المذاهب ينبغي ان تلقى على بساط البحث ، وينظر اليها بنظرة علمية وبرهانية : من غير تعصب لرأى من الاراء ، فان الكل يجمعهم التوحيد ، والعقائد الحقه والفروع المذهبية .

فالبحث عن الامامة ، ينبغي ان يكون على بساط العلم والبرهان ، من غير تعصب لعنوان التشيع او التسنن ، وان الناس بعد الرسول الاعظم (ص) محتاجة الى مقام الامامة وهو الشخصية التي يراها الامامية ، قائمة مقام الرسالة ، بعد موت الرسول (ص) والتممه لتشريع في الفروع وتنفيذ رسالة الرسول (ص) و تطبيقها تطبيقاً واقعياً ، و ان كلما يشرعه الامام ، فهو مأخوذ عن الرسول (ص) ، أو أن بعد الرسول لا يحتاج الى هذه الشخصية ، بل الناس ينتخبون شخصاً ، يقوم في نظام الامة ، ويوجههم الى الاسلام ، من غير ان يكون اماماً معصوماً نائباً عن الرسول (ص) ومتمماً للفروع وتشريع الرساله فان كانت الامة لا تحتاج بعد النبي (ص) الا الى حاكم ، يدير شئونها ، ولا حاجة الى الفروع ، وتتميم التشريع وان كانت مدة الرسالة من النبي (ص) في هجرته الى المدينة ، مما لا تنفيء الا بقسم من الاحكام ، كما يقوله المذهب الحنبلي ، او يحتاج الى من يتمم تلك الفروع ، بما تحتاج اليه الامة ، بأراء الصحابة او بالاقيسة الظنية ، كما صرح به ابو حنيفة والشافعي ، بان الامة الاسلامية تحتاج الى فروع كثيرة ، لم تثبت في السنة النبوية ، ولا في الكتاب .

وعند ذلك ، فلا بد من تتميم الاحكام والقواعد الشرعية ، الى اقيسة ظنية ،

والى الاستحسان ، واستنباط العلل بتقريب الفكر والعقل ونحن نورد البحث على اصوله ، من غير انضمام الى جهة ، فنذكر الدليل الذى اعتمد عليه علماء الشيعة ، وما اعتمد عليه علماء السنة ، وتكون فكرة والقارى وعقلة هى المحكمة فى اختيار احد المسلكين .

وليس ما ذكرناه تبعيداً لمذهب عن الاخر ولا تجاسراً على رأى دون رأى بل هذه مسألة محررة من قديم الزمان والحكم موكول الى فكرة الباحث و لكن لا بد ان يعرى نفسه عن تقليد آبائه .

وعند ذلك تتوجه نفسه الى احد ما تقدم من المذاهب، قال تعالى (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا) .

فالكل ينبغي له ان يتوجه الى الواقع وهذا ليس معناه التجاسر على مذهب او التصدى الى هتك امة من الامم الاسلامية او توهينها .

فان كثيراً من المسائل ، مما يقع فيها الخلاف بين المذاهب الاربعة ، من الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى ، فاذا فحص عالم ، من احد هذه المذاهب ، نظير ما اذا كان العالم حنفياً او حنبلياً ، فى مسألة ورأى ، يختلف فيه ، عن مذهب المالكى و الشافعى .

وبعد الفحص والاستدلال الكامل عرف ان واقع المسألة هو على رأى الشافعى او المالكى . فعدل من الحنفية الى مذهب الشافعى او المالكى فان ذلك لا يعد خروجاً ، عن حقيقة الاسلام بل هو مسلم ، عدل من رأى الى رأى و من دليل آخر .

وليعلم كافة اخواننا من ابناء السنة والشيعة ان الدور المستقبل والعصور الاتية مما يكثر فيها الوعى وتعرف فيها الحقائق وتتجلى فيها المعارف الاسلامية .

فليكن نحن فى هذا العصر ممن يضع اول قدم لرفع الخلاف فى بعض المسائل

الاسلامية ، ونتعرض للمسائل الخلافية و نعرضها على افكارنا فى البرهان والدليل
والتأمل فى تلك المباحث و نرفع سوء التفاهم والخلاف ليقبل الخلاف و تتوجه
النفوس الى الاصول الاسلاميه من غير نعرة الى مذهب او تقليد من غير برهان او
التعصب للاباء والله الهادى للصواب انه ولى التوفيق

* (الامام وصفاته) *

الامامة لطف من الله تعالى على عباده وهي ضرورة من ضروريات الحياة فان الامة من كل ملة ودين تحتاج بعد نبيها الى تميم التشريع وتنفيذ ذلك القانون الالهى والا كانت النبوة بترأ ولا امد لها فى الحياة ولا رسوخ لها فى العصور. ولذا ترى الانبياء يعقب بعضهم بعضاً ويتلو بعضهم بعضاً .

* ولا بد فى الامامة من امور * .

الاول - الافضية على ابناء عصره لانه الراعى على الامة وليس من الجائز عقلا ان يقود المفضل الفاضل ، قال تعالى « افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون » و قال تعالى « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

وهل يصح عقلا من كان على خلق عظيم ان يكون مرئوساً لمن لم يكن له ذلك الخلق وان الخلق العظيم بعد انبياء الشرائع لا وصيائهم الكرام فيتعين ان يكون الامام هو الافضل من جميع الجهات فى الفلسفة العلمية من الاعتقاد الراسخ بالتوحيد والرسالة ومعرفة الاحكام واليقين بيوم البعث والنشور والصفات النفسية من العلم

والشجاعة - والقدرة - والارادة - ويتحلى بافضل منازل الفلسفة العلمية من التقوى -
والورع والعدالة - والخلق الكريم من الصبر والشكر والاخلاص والفناء فى
ذات الله .

* الامر الثانى - العصمة .

العصمة هى لطف من الله تعالى تختص ببعض النفوس كالانبياء والاوصياء ،
تمنعهم عن ارتكاب الذنوب وتلزمهم فى اداء الواجبات والتحلى بالمستحبات و
ترك المكروهات .

والعصمة ملكة تستعملها بعض النفوس الملهمة التى تنكشف لها الحقائق
بادنى التفات وتوجيه وتعرف من صاحب الشريعة تطبيق قانونه باسرع وقت وليست
موجبة لعدم جواز المعصية منهم فان حالة الانبياء والاولياء من وجود الملكة فى
نفسياتهم تمنعهم عن ترك الطاعة وفعل المعصية و ان كان يجوز عقلا ارتكاب
المعصية منهم .

لان افعالهم اختيارية لدينهم وليسوا بمجبورين كالملائكة فانه يمتنع صدور
المعصية عنهم لانهم مجبورون على الطاعة .

والانبياء والاوصياء ليسوا بمجبورين على الطاعة ولكن من لطف الله فيهم
ان جعلهم معصومين بان كانت نفوسهم مجبولة على الطاعة حتى لا يقع الشك والتردد
فى افعالهم وسيرتهم وتأخذ الامة اقوالهم وافعالهم ارسال المسلمات .

ولايتوهم القارى ، ان العصمة معناها ، جبر النبى او الولى ، على الطاعة ،
فان ذلك ليس معنى العصمة عند الامامية ، بل المعنى الذى ذكرناه ، من استعداد
نفوسهم المقدسة للطاعة وترك المعاصى .

* الامر الثالث - النص .

يتعين على النبى النص ، على وصيه و كل وصى سابق ، ينص على الوصى

اللاحق وذلك ، لان غالب النفوس لاتحيط بالعصمة وآثارها ولا تعرف الشخصيات ومكانتها ، فاذا نص النبي على وصيه ، انقطع الشك والتردد من الامة .

* الامر الرابع - المعجزة على يده .

لكل من لم يبلغه النص و شك فى امامته ، فانه يتعين على الامام ، اظهار المعجزة ، لاطهار الحق وتعيينه عن كل من يدعى الامامة والخلافة .

وبكلمة موجزة ، ان اللطف الالهى قاض بوجود شخصيات و راء كل نبى مشرع متمم للامة تشريع ذلك النبى ويقوم بتنفيذ احكامه ويتعين على الامة قبول قوله و الرجوع اليه والاعتقاد بامامته وان كانت الشريعة ، لا امد لها ولا استمرار لقوانينها ، فيعيب فيها كل عابث والناس محتاجة بعد موت الرسول ، الى شخص يقوم بامر ين ، اتمام التشريع وتفريعه وتنفيذ القانون وتطبيقه والا كانت الشريعة ناقصة والتنفيذ من الفوضى ، تعيب فيه ايدى العابثين .

ولا يجب على شخصية الامام الزام الناس بشخصيته لان الناس هم المحتاجون الى معارفه وهو غير محتاج اليهم فاذا رجعوا الى الامام ، تم لطف الله فيهم ، كما تم لطف الله فى تلك الشخصية ، التى هى مرجع المسلمين بعد النبى ولا يتحدث شخص بانه اى نفع بامام معلق اول وجود له .

فان الجواب من الواضحات انه على الناس طلب الامام و تهيئة انفسهم للاستفادة من تعاليمه وتطبيق تنفيذه وليس على الامام الاعرض نفسه امام المجتمع فانه بعد عرض نفسيته للمجتمع يكون المسئول هم الامة لاشخصية الامام لان النفع لهم والتطبيق راجع اليهم .

غايته انه من لطف الله تعالى العليم بما ينفع الناس ان يجعل شخصيته مما

تكمل به النفوس البشرية معارفها وتطبيق النظام الالهي على مجتمعاتها وبيئاتها فان
الحاجة راجعة اليهم والفائدة تعود لهم لالي تلك الشخصية بعد تعرض نفسه للهداية
والارشاد وتطبيق القانون الالهي ...

* (امامة على (ع)) *

ان اتباع (ع) من المسلمين ، لا يرون علياً (ع) ممن تزينه الخلافة ، وتشرفه الرياسة ، لان علياً (ع) هو امام منذولد عزلته الناس ، اوالقت اليه الرياسة.

وان الامامة ، اتمام واكمال لرسالة الرسول فى التفريعات الشرعية ولابد ان يكون المكمل فى التفريع للرسالة معصوماً وهو افضل الخلق بعد الرسول الاعظم واكمل البرية فى علم وقدرة و ارادة وتقوى وورع وحلم وشجاعة وعفة وصيانة ، واشد الناس توكلأ على الله وتفويضاً اليه .

وان علياً (ع) قد نصبه الرسول (ص) يوم غدير خم وقال (الست اولى بكم من انفسكم ، قالوا اللهم بلى قال من كنت مولاه ؛ فهذا على مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله).

وانه نص عليه وعلى العترة الطاهرة ، بماورد من طرق الخاصة والعامه ، من قول الرسول الاعظم (ص) (انى مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله و عترتى اهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى ابدأوفى رواية اخرى ، لن يفترقا حتى يردا على الحوض) .

انك اذا راجعت كل من يدعى النبوة ، كابراهيم وموسى ، وعيسى ، تجد الانبياء والمرشحين للشرايع ، لا يمكنهم في زمان دعوتهم ، اكمال الشريعة باحكامها وتفريعاتها من اقتصاد واجتماع واخلاق واحكام وقضاء وجزاء .

انك اذا نظرت فروع الصلاة والطهارة والصوم والزكاة والحج ، من العبادات وجدتها بعشرات الالوف ، من التفريعات .

واذا اعدت النظرة حول باب التجارة والمضاربة والشركة والاجارة ومساائل النكاح والطلاق واحكام القضاء والمواريث والحدود والقصاص ، السى غير ذلك من الابواب وجدتها ايضا بعشرات الالوف .

ومع هذا كيف يسع المشرع للرسالة ، من ابراهيم وموسى وعيسى (ع) ، او الرسول الاعظم (ص) ان يأتى بهذه التفريعات التى هى بعشرات الالوف ، وكل تبليغ وتشريع ، انما يقوم بالقواعد الكلية والمفاهيم العامة .

اما التفريعات والبحوث والمسائل التى يبتلى بها نوع البشر ، و الاجيال الحاضرة والمستقبله ، فلا تفى بها فرصة زمان الرسالة .

الفت نظرك ايها القارى الى دعوة النبى (ص) فى مكة وقدبقى فوق عشر سنوات مكتوف اليد ، لايسعه التبليغ وقد احاطت به قريش ، من كل جهاته حتى الزم اصحابه بالفرار الى الحبشة وغيرها .

ثم لما جاءت ايام المدينة ، ابتلى الرسول بالحروب ومهاجمة المشركين له التى لاتدعه متمكنا على التبليغ الكامل والتشريع الاثم .

واذا نظرت الى سيرة الانبياء ، من ابراهيم وموسى وعيسى (ع) لاتجد لهم الفرصة الكاملة ، فى زمان حياتهم ، من اتمام التفريعات ، التى فى شريعتهم .

ولذا قد استناب عنهم فى التبليغ اوصيائهم ولقد اختار اخواننا انبا السنة و

الجماعة ، رأى الصحابة واخذ ابو حنيفة والشافعي والمالكي ، بالقياس والاستحسان لقصور السنة فى التفريعات الشرعية .

ولذا ان الخليفة الثانى عمر ابن الخطاب ، كان اذاوردت عليه مسألة ، نظر الى الصحابة وقال هل سمعتم عن رسول الله (ص) شيئاً ، فاذا قالوا لم نسمع قال خذوا برأيكم .

فلا يمكن لمسلم ان يغمض عينيه و يذهب الى كفاية السنة ، فى التفريعات الشرعية ويدور الامر ، بين الرجوع الى ما يذهب اليه الامامية ، من شخصية قائمة مقام النبوة فيخبر عن الرسول ويتلقى التشريع بنفس ملهمة ، تصل الى الحقائق و تنكشف لديها الامور كما كان الانبياء ، الذين تخلفوا مقام اولى الشرائع كابراهيم وموسى وعيسى ويبلغ سنته او يرجع الى رأى الصحابة او القياس او الاستحسان و اذا اقام الاماميون البراهين والادلة على امامة الامام على ابن ابى طالب (ع) وانه المبلغ عن الرسول (ص) فلا ينبغي للمسلم ارتكاب المحاولات البعيدة .

وان التبليغ للاحكام والتفريعات ، لا يمكن ان تقوم بكل احد ، ممن عاش ذلك الرسول وكيف يتصور العاقل ان يكون الصحابى لنبى من الانبياء ينشئ احكاما برأيه ويجب على الامة اتباعها وهو مما لا يصل الى حقائق الامور ولا يعرف احكام اعماله .

وان الشخص الذى يخبر عن التشريع والتبليغ عن الله تعالى ، لا بد وان يكون ممن يعرف احكام الرسول ويطلع عليها وانه يقدر على كل فرع يسأل عنه لقابلية نفسه وعلوها التى يمكن ان يعرف احكام الله بتبليغ من الرسول وتكون نفسيته قابلة لحفظ الامور الشرعية والفروع الكثيرة باسرع وقت واسرع تعليم والا كان الناطق بالحكم ليس مشرعاً للتشريع الالهى بل مشرعاً من قبل نفسه وكيف ينص الشارع

بارجاع الامة الى آراء جماعة لا اطلاع لهم على حقائق الامور .

و لذا ان الذى عليه مذهب الامامية قديماً وحديثاً ان الاوصياء والائمة هم المتممون لتشريع الرسول الاعظم (ص) كما هي عادة الانبياء فى سائر الامم ولا يجوز الاخذ بقول كل صحابى ولا بالاقيسة والظنون ولا بالاستحسانات فان الظن لا يغنى عن الحق شيئاً وقد ذم الله الظن والاخذ به وقال، ان هم الايظنون، واما قول الصحابة اذالم يستند الى صاحب الشريعة فليس هو الا استحسان وظن .

واما ماورد من ان اصحابى كالنجوم ، فبأيهم اقتديتم اهتديتم ، فلو كل هذه الرواية وامثالها الى عقلية القارى والى ملاحظة التاريخ ، فكم جاء التاريخ بما لا اصل له وكم بدل التاريخ مما هو حجب اساس فى الاسلام وكم زور معوية وبعض الرواة احاديث لا اساس لها بالشريعة .

وان جملة من هذه الروايات كروايات سمرة ابن جندب وقصته مع الرسول (ص) معروفة فى نخلته التى هي قرب دار الانصارى ومغيرة ابن شعبة وكان من اكثر العرب مراوغة ومكراً وانه لا ينبغي ان يصدق مثل ابى هريرة الذى اسلم قبل وفات الرسول (ص) بثلاث سنوات او قل وقدروى الالف من الروايات ولو وزعت اوقات اسلامه واخرجنا منها اوقات صلاته ونومه ورعيه للجمال لكان فى كل دقيقة ، يسمع من رسول الله (ص) اربع روايات او خمسة او اكثر افكان رسول الله (ص) فى ايام اسلام ابى هريرة لم تكن له جهات ولا معايشة مع اصحابه ولا مع اقاربه وزوجاته ولا جهاد ولا غزوات فلو صرفنا اوقات رسول الله (ص) كلها من غير عمل ولا جهاد ولا معايشة لقريب او بعيد ولا اداء حق لزوجاته وحصرنا اوقات ابى هريرة كلها فى التعليم ، من رسول الله صلى الله عليه وآله ومحاضرات الرسول له ما كانت اوقاته تفى باداء هذه الروايات ولذا تنبه كتاب العصر الحاضر الى ما قلناه و السى المناقشة فى رواياته .

وإذا اراد المسلم ان ينظر الى التاريخ وما صنع فيه اهل ذلك العصر ويتأمل فى نقل الرواة واغراضهم وفى حكومات تلك العصور من بنى امية وبنى مروان و بنى العباس وكيف كانت مقاصدهم فى اهل البيت (ع) من اذهاب سمعتهم والتزوير عليهم والتبليغ بضدهم وجد ما ذكرناه واضحاً وكم للتاريخ من نواقص وتبليغات سوء وقد شوهدت تلك العصور والبست تلك الازمنة لباس الاكاذيب و الاغراض الشخصية ، التى لايسعنا على التفصيل فى هذاالمقام بيانها ونرجع ذلك الى نفسية المتتبع ووجدانه .

والذى ينبغى لرجال الانصاف والدين ، ان يفحصوا الرواة الناقلين ، لسنة الرسول (ص) ويأخذوا بقول من ثبت دينه وتقواه ، المبرء عن المقاصد الشخصية وحب الرياسة والسيطرة .

وليعلم المسلم ان الكل من امامى جعفرى وسنى حنفى و مالكى وشافعى و حنبلى وزيدى واسماعيلى موقوفون للحساب يوم القيمة ، يوم لاينفع مال ولا بنون الامن اتى الله بقلب سليم ؛ قال تعالى «وقفوهم انهم مسئولون» و يجزى كل احد بعمله ، ان خيراً فخير وان شراً فشر وانه يتعين عليه فى دارالدنيا الفحص فيما يقوله ابناء السنه والجماعة والامامية الاثنا عشرية ولينظر الى الواقع وعند ذلك فلا بد ان يهديه الله الى الصواب وهو الهادى للصواب ...

* (الآيات الدالة على افضلية الامام على (ع) وعصمته) *

الآية الاولى - آية المباهلة .

قال تعالى «فمن حاجك فيه من بعد ما جئتك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (١)» .

ولابد من التعرض لاهداف هذه الآية وما توجهت اليه من البيان .
(النقاط التي تعرضت لها الآية الشريفة) .

النقطة الاولى :

ان معنى المباهلة هي المعاهدة بين العبد وبين الله من طرفين ، على ان يكون كل واحد من الطرفين يعاهد الله و يشدد الميثاق بينه وبين ربه بان يطلب النصره عند صدق دعواه وحلول النعمة واللعنة عند كذب الدعوة .

النقطة الثانية :

ان المباهلة لاتكون الانوعية ، بين ملة واخرى وبين شريعة وشريعة اخرى و

عند تمامية المباهلة ، تهلك الامة الكاذبة والمذهب غير الصحيح من احد الطرفين ولا تكون المباهلة شخصية بين فردين ، فان المباهلة بين شخصين ليست مهمة فسى نظر الاجتماع .

النقطة الثالثة :

ان الرسول الاعظم (ص) لما قدم علماء النصارى من نجران وحاوروه بدعواه على النبوة الى ان انتهت المحاوره الى المباهلة فتقدم الرسول (ص) وعلى وفاطمة والحسنان ، وان طرف المباهلة هم علماء النصارى لانهم الدعاة الى مذهب النصرانية . وعند الحقيقة ان من يشكل الدعوة من مسلم او نصرانى ومن يقوم على عاتقه احد المذهبين ، هو الذى يباهل مع الاخر .

ومن هنا كان المسلمون ، ليس طرفا للمباهلة كما ان النصارى ، ليس طرفا لها ايضا .

ومن هذا التشكيل فى صورته على هذا الهيكل من المباهلة يعلم ان الاطراف من المسلمين والنصارى لا تقوم عليهم محاوره المباهلة ولا قائمة على عاتقهم وانما المباهلة قائمة على من اسس الدعوة وقام بصلب الاسلام والنصرانية .

النقطة الرابعة :

انك عند ما تشاهد موقف الرسول الاعظم (ص) مع علماء نجران ، ترى الرسول (ص) فى موقفه لم يتخذ صحابياً ولا قرابة ولا مهاجراً ، ولا احداً من الانصار وانما قبض على الامام على (ع) وفاطمة الزهراء (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) وقد القاهم فى هذا الموقف الرهيب الذى يدور بين موت النصرانية او ذهاب الاسلام والعياذ بالله ولو كانت دعوة الرسول (ص) غير واقعية ، فالقاء على وفاطمة وطفلين فسى ذلك الوقت مما يوجب اليأس لكل مسلم .

ان هذا الصراع بين النصرانية والاسلام يقوم على دعائم الحقيقة فى الاسلام
وعلى من هو اساس الاسلام لا كل من انتحل الى الاسلام واعتقده والاى مبرر عادة
بمجيء طفلين بهذا الموقف .

وان هذا الموقف معاهدة مع الله تعالى من الطرفين ، بالنصر، او الانتقام و ان
المباهلة قائمة على امر دينى وليست المباهلة قائمة على امر مادى او تشكيلات سياسية
او على نظام قبائلى او عشائرى او على حالة موروثه من امة او قبيلة، انما المباهلة
قائمة على صلب الموضوع وهى صحة دعوى دين دون دين آخر .

ومن هذه الجهة يعلم ان الرسول الاعظم (ص) عند ما اخذ علياً وفاطمة و
الحسن والحسين (ع) للمباهلة لم يأخذهم على نظام عشائرى موروث من نظام امة
او اجتماع بيئية ، انما المباهلة قائمة على اساس حقيقى من الدين وان من كان له الاثر
التام فى تقويم المذهب وتأسيسه هو الذى يؤخذ فى المباهلة والا فما معنى اخذ
الحسن والحسين (ع) وهما طفلان وكيف جازل للرسول (ص) اخذهما وتعريضهما
للهلكة و الخطر وحاشا ان يكون الرسول (ص) عابثاً فى دعواه و فى تنظيم هذه
المباهلة فيتعين ان اخذ الرسول لعلى و فاطمة والحسن والحسين (ع) انهم كانوا
من قوام الدعوة و اركانها وانهم ممن اخذت على عاتقهم المباهلة .

النقطة الخامسة :

انه يتعين على المباهل من الطرفين ان ياخذ اشخاصاً هم الاقرب الى صحة
الدعوة لان الوجهة وجهة دينية والهدف هدف تشريعى فلا يمكن ان يأخذ البعيد عن
قوام المباهلة ويترك ما هو مقوم لها فى الدعوة .

ومن هنا يعلم ان علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هم الاقرب من كل احد
فى قوام الدعوة الاسلامية والافلو كانت بعض افراد الامة اقرب منهم لله والى رسوله

والى صلب الموضوع ، لوجب على النبي (ص) ان يقدمهم للمباهلة ولو كان هناك صحابى او قريب هو اقرب لله تعالى من هوءلاء فى الدعوة لوجب على النبي (ص) ان يباهل به فان كانت القضية قضية القرابة كان من اللازم تقديم العباس وهو عم النبي او عقيل ابن ابى طالب وهو ابن عمه الاكبر على الامام على (ع) وان كان المقام مقام دين وكان فى الصحابة من هو اولى من هوءلاء كان الواجب على النبي (ص) اخذ ذلك الصحابى للمباهلة .

وحيث لم يأخذ النبي (ص) العباس وعقيل ولا احداً من الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعبدالرحمن ابن عوف، او طلحة والزبير، او سعد ابن ابى وقاص، او سلمان، او عمار، او ابى ذر، او المقداد، او غيرهم، يعلم ان اساس الدعوة وقوامها، قام على عاتق الرسول (ص) واهل بيته من على وفاطمة والحسن والحسين (ع) .

النقطة السادسة :

ان التعبير بابنائنا يختص بالحسن والحسين (ع) وبنسائنا بالصديقة فاطمة الزهراء (ع) وبانفسنا نفس الرسول الاعظم (ص) ونفس الامام على بن ابى طالب (ع) و جعل النفسين نفساً واحدة كما ان نفوس علماء النصارى كنفس واحدة و ان التعبير بانفسنا يشعر ان الامام من حيث اتمام الشريعة كنفس النبوة من غير تعرض لتنزيله منزلة النبوة وهذا كالصريح فى ان الامامة شان من شئون النبوة .

اذا عرفت البيان، للنقاط المذكورة ، تعرف ان المباهلة معاودة مؤكدة بين دينين وان من يكذب كان هو الهالك وانها امر دينى ، لامر عشائرى ولاقبائلى بل من كان قريباً الى حقيقة الدين او كان على عاتقه قوام تلك الشريعة ، هو الذى يصح ان يكون قائماً بالدعوة ومباهلاً لغيره .

وان الآية الكريمة تلفت نظر القارى ، ان الحسن والحسين (ع) ممن لهما
الدخل فى قوام دعوة الاسلام وثباته وكذلك فاطمة الزهراء (ع) حيث انها صديقة
ومن رواية السنة النبوية عندنا وممن لها الاثر العظيم فى الهداية والارشاد والتعليم .

ومن هذه الآية ، يظهر لك قصور كل صحابى وقرابة عن هذه المراحل وان
الذى اخذ على عاتقهم تأسيس المذهب الاسلامى ، هم اهل المباهلة دون غيرهم .

وان الآية ، اذا انصف القارى لها وجدها فى منتهى الظهور فى تنزيل على (ع)
منزلة النبوة وتعظيمه الى درجة ، لا يصلها صحابى ولا تابعى ولا يمكن ان يتوصل اليها
رجل من المسلمين مهما بلغ من المكانة والكرامة وانها تعرضت لمقام شامخ لاتناله
يد صحابى او مجاهد ولا قريب من رسول الله (ص) او بعيد .

هذا اذا احطنا الآية بظهورها وصراحتها ، اما اذا كانت اغشية التعصب وغطاء
التقاليد وما ارتكز فى اذهان بعض الافراد ، من تقاليد البيئات تجاوز عن هذه الآية
وعبر عنها عبور الغافل ، او الذى لا يفهم منها شيئاً من الاشياء .

وقد انصف الطبرى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة وقال انها دالة على افضلية

اهل البيت (ع) على كل قريب وبعيد من صحابى وغيره .

وعلى ضوء البيان السابق ، يكون معنى الآية ، ان من حاجك من النصارى
فى عيسى (ع) بان نبوته باقية ودعوته مستمرة ، او أن له مقاماً وراء النبوة باتحاد الله
معه او حلوله فيه او كونه ابناً له ، بعد ماجائك من العلم بالبينات والمعاجز فقل لهم ،
تعالوا ندعوا ابنائنا ، وليس ذلك الا الحسن والحسين (ع) ونسائنا ونسائكم وليس
ذلك الا فاطمة الزهراء (ع) وانفسنا وانفسكم وليس ذلك الا نفس رسول الله (ص) و
نفس الامام على ابن ابى طالب (ع) واى تنزيل وتقريب ، باكثر مما جعلت الآية نفس

على نفس الرسول (ص) ثم نبتهل بهؤلاء منا ومنكم ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين .
وقد عرفت ان الاية فى مقام مباهلة دين بدين وليست فى مقام ما هو المتعارف
من حالات العشائر والقبائل ، والالغاء بالعباس وهو عم النبي (ص) الكبير فكان على
النبي (ص) ان يأخذ العباس او عقيلاً للمباهلة .

اذأ الاية فى تقابل مذهب بمذهب وتقابل من كان له التأسيس فى المذهبية .
وهذا الخطاب من الله تعالى يتعين بظهور الاية ان هؤلاء هم قادة المذهب و
على عواتقهم قامت مباني الاسلام نظير قول ابراهيم الخليل (ع) (رب اجعلنى مقيم
الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) (١) .

وعلى الاجمال ، فالاية صريحة ، ان الرسول (ص) واهل بيته (ع) هم الدعاة
والاساس لبناء الاسلام و الالكان الايتان بطقلين وامرئة ، فى هذا الموقف الرهيب وفى
هذا الابتهاج من الاعمال التى تستهجن عند العقلاء وتعد لغواً منه وحاشا لرسول الله (ص)
ذلك وقد امره الله بذلك ولم يكن من نفسه ، حتى يتوهم المتوهم ، ان الاية قد
جاءت على نسق المتعارف بين الناس من ان الانسان عند الشدائد ، يندب اهل بيته .

وان بعض اخواننا من علماء السنة و الجماعة قد جعلها من قبيل القضايا
القبائلية والقومية وكيف يتعقل ذلك و الدعوة هنا دعوة مذهبية يبتنى عليها اساس
الاسلام او هلاكه وان هذه الجهة ، مما لاتنالها يد القوميات والعناصر وانما هى هلاك
مذهب و حياة مذهب آخر ، وان علماء النصارى هم اساس الدعوة من حيث الدين ،
فكذلك الرسول واهل بيته (ع) اساس الدعوة فى اقامة الدين .

وانى لاعجب من بعض اخواننا ، ابناء السنة و الجماعة ، ان يأخذ هذا الموقف
بنظرة سطحية و ما علم هذا القائل ، ان ليس للرسول (ص) فى هذا المقام امر ولا نهى

وان الآية نزلت من الله تعالى على نبيه وان ليس لله قريب وبعيد و انما القرب هو الوصول الى الله وان النبي(ص) لا يمكن ان يقرب بعيداً ، اذا كان اهل البيت بعداء عن الله ، ولا يبعد قريباً اذا كان قريباً من الله والا كانت الدعوة دعوة قومية وحاشا لله و لرسوله، ان تكون آية المباهلة على طبق نزعات القبائل والقوميات .

وانت اذا لاحظت التاريخ ولاحظت بعض علماء التسنن تجدهم قد بلغوا حداً الافراط و اغمضوا اعينهم عن كل منقبة وكرامة لاهل البيت (ع) .

وان المسلم ليستغرب من اخيه المسلم ، ان يقف من يدعى العلم موقف الاغماض عن الحقائق ، بل ويتحامل على المذهب الجعفري من غير وجه وهو يرى ان الكثير من علماء السنة والجماعة ممن تعرض في كتبه لفضائل اهل البيت (ع) و تعظيمهم و اظهار كرامتهم بل و افضليتهم على كل صحابي كما تشاهده من ينابيع المودة وابن عساكر وابن ابي الحديد والترمذى وغيرهم .

حدث مسلم والترمذى والحاكم وابن المنذر والبيهقى عن سعد، ان رسول الله(ص)

قال اللهم ، ان هؤلاء اهل بيتى، فابى اولئك ان يباهلوه وعاهدوه على الجزية .

وفى رواية ابن اسحق والثعلبى والكشاف والرازى و ابي السعود وغيرهم فى تفاسيرهم و المالكى فى الفصول المهمة ، ان اسقف نجران ، قال انى لارى وجوهاً لو سألو الله ان يزيل جبلا من مكانه لآذاه ، فلاتبتهلوا .

وفى حديث جابر ، كما فى مستدرک الحاكم واسباب النزول للواحدى و غيرهما ابنا الحسن والحسين و نسا ئنا فاطمة الزهراء و انفسنا على ابن ابي طالب(ع).

واخرجه مسلم والترمذى فى جامعيهما و ابو نعيم فى الدلائل والبيهقى فى

سننه و ابن ابي شيبه وسعيد ابن منصور و عبد ابن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و

الحاكم فى مستدرکه وابن مردويه والشعلبى فى تفسيره وموفق ابن احمد و ابن
المغازلى والمالكى والواحدى والسيوطى فى الدر المنثور وغيرهم باسانيدهم عن
سعد بن ابى وقاص وجابرو ابن عباس وعلياً اليشكرى وجد سلمة وعن الشعبى و
الحسن والسدى ومقاتل والكلبى بما ذكره جل المفسرين وقل ما يخلو من روايته
كتاب تفسير ...

* نظرة اخرى حول الاية الكريمة *

اولا - ان المقام ليس مقام حكاية ، ليعلم القارى الكريم ، ان الله سبحانه و تعالى ، عندما يأتى بالايات ، فى بيان حالات الانبياء والرسل ، يأتى بهاعلى نحوين .
الاول - ان تأتى الاية حكاية واخباراً عن شأن النبى وحالاته وتاريخه ، او فى فضله وجهاده ، كما تشاهده فى الغالب ، من قصص ابراهيم وموسى وعيسى (ع) وسائر الانبياء .

الثانى - ان تأتى الاية بصورة الانشاء بجعله رسولا ومهيمننا على الامة وتظهر الاية الوظيفة العملية للنبى او الولى وهذه الايات تبنى مقاماً سامياً ، فى تقمص النبى للولاية العامة والتشريع الكامل وتؤدى مؤداً وراء المدح و الثناء فى مقام الولاية وانه المشرع للاحكام وانه اولى من الامة من انفسهم وان طاعة النبى طاعة لله وانت اذا شاهدت آية المباهلة وآية الولاية ، (انما وليكم الله ورسوله الى آخرها) وآية ذهاب الرجس الى غير ذلك من الايات التى جاءت فى حالات اهل البيت تراها صريحة ، بان لهم الهيمنة والنفوذ والسلطة على البشر وهم ذوى الارادة فى التشريع والحكومة وان من عداهم من المسلمين لابسد وان يكون تحت نفوذهم

وما جاءت آية في هذا اللسان ، الاقرنت علياً واهل البيت (ع) بالرسول الاعظم (ص) كما في آية المباهلة وآية الولاية وازهاب الرجس ولا ترى انفكاً كأى آيات التشريع والقيام باصل الدعوة وبيان هيمنة النبي على الامة، الاوقدرن على واهل البيت بالرسول الاعظم (ص) .

فكل آية جاءت بسلطنة الرسول (ص) على الامة قرن الله ائمة اهل البيت بالرسول (ص) .

ولذا ان آية البرائة ، بعد ان مضى ابوبكر فيها جاء النداء من الحق ، ان لا يبلغ عنك في هذا الموضوع ، الارجل من اهل بيتك وهو على ابن ابي طالب (ع) حيث ان المقام مقام تشريع ودعوة الى النبوة ومقام التشريع والهيمنة على البشر، لا يمكن ان يقوم به، الانبيى ، او ممثل ذلك النبي فى الرسالة والتبليغ .

ثانياً - ان الاية ترمى الى هدف عظيم ، ان الموقف موقف لا يأتى ابتداء مع الخصماء والمنكرين للرسالة ، فان رسول الله (ص) لا يقدم على المباهلة ولا علماء نجران ، الا عند ما تسد الابواب والطرق ، فى تفهيم رسول الله (ص) واقناعهم الرسالة وعند ذلك يتجلى موقف المباهلة من الطرفين او باستدعاء طرف واحد والمباهلة ، لا تكون الا بامر دينى عام وهى فى الحقيقة ، تعاهد بين الله وبين المتباهلين انه عند الكذب يدعون الله بالانتقام ، فهى عقد ايجابى وسلبى ، انه اذا لم تتم الدعوة و هى العقد الايجابى ، يتوجه الانتقام وهو العقد السلبى .

وانا قدينا ، ان موقف النبوة والرسالة تتمثل فى بيان الوظائف المتوجهة من الله تعالى على نبيه ، فهو يمثل الخلافة فى الارض ولا يمثل النبي حالة العواطف وحالات القبائل والعشائر والقوميات .

ولذا أن النبي (ص) واوصيائه المعصومين (ع) لا يمثلون دور العواطف ولا

ولادور قبيلة ولاقومية ، بل يمثلوا المخلافة في الارض من الله وليس له ميل ولا رغبة ولا امر
ولانهى الالفناء في طاعة الله ، فلا يحب ولا يبغض ولا يريد الاعين ما يريد الله ، فذات النبي
والولى الفناء في ذات الله وافعاله فلا يمكن ان يتوجه هذا الموقف بتوجيه ان الانسان
اذحلت به النوائب وشدائد الزمن ، دعى اهل بيته ، كما تقضيه العواطف الانسانية
فان المقام مقام تشريع وخلافة ولا يمكن الا ان تكون على طبق الارادة الالهية .

فما ذهب اليه بعض علماء العامة ، من ان الانسان اذحلت به الشدائد ، يتوجه
الى اهل بيته في الدعوى فهو كلام يبتنى على ان حديث المباهله كان من احاديث
العواطف والقوميات .

ثالثاً - ان التعبير في الاية ، قد جاء من الله فهو خطاب من الله على لسان
الرسول وليس الخطاب من الرسول في الاية الكريمة ، فلو كانت الاية منزلة على
الامور المتعارفة والعواطف البشرية ، لدعى الرسول (ص) العباس وعقيل وعبدالله
بن عباس وولده ابراهيم ، حيث كان حياً ، في ذلك الوقت ، فالموقف موقف ديني
وليس للرسول فيه اى تصرف ولو كان الامر مبني على العواطف و العادات ، لقدم
النبي (ص) من هو في نظر الناس اقرب اليه (ص) من على وفاطمة والحسن و
والحسين (ع) ، فان ذلك اوقع في النفوس وكيف يترك ولده ويقدم اولاد ابنته ،
مع ان من عادة العرب ، ان لا يقدموا اولاد البنت على الاولاد .

رابعاً - ان التعبير في الاية ، بقوله وانفسنا وانفسكم ان ما يراد من انفسنا هو
اصحاب الدعوة ومن قامت عليهم الرسالة في قبال علماء نجران ، الذين هم
اهل الدعوة في ذلك الوقت ، فتكون عبارة انفسنا بالقياس الى رسول الله (ص) و
امير المؤمنين على ابن ابي طالب (ع) على حد سواء فتكون الاية ان من قام عليه

تأسيس الرسالة هم النبي (ص) وعلى وفاطمة والحسنان (ع) والا كان مجيبىء فاطمة
والحسنين من الافعال اللاغية .

وقدينا ، ان كيف عرض الرسول طفلين الى الخطر ، مالم يكونا من قوام
الدعوة واما ان يراد من انفسنا تنزيل نفس على منزلة الرسول الاعظم (ص) وهذا
فى نهاية البلاغة وفوق التشبيهه .

فمثلا اذا قلت زيد كالاسد فلا يفيد الا التشبيهه ، اما اذا قلت زيد اسد ، فهو
من باب انطباق الاسد عليه وهذا المعنى يفيد تنزيل على منزلة الرسول ، كما ان
التعبير الاول ، يفيد الشركة فى الدعوة الاسلامية وان كلا من الوجهين مدح لايساويه
مدح من الصحابة .

خامساً - انك اذا نظرت الى هذه الاية ، والايات الواردة فى مدح امير المؤمنين
على ابن ابي طالب (ع) واولاده الطاهرين ، تجدد المدح ، لايساويه مدح لكل احد
فان التعبير بمشابهة شخص لآخر ، او مجانسته له او المشاركة ، فى الكمية والكيفية
لاتفيد الامشابهة عرضية ولاتفيد معنى اصلياً وموضوعياً .

فقد صرح علماء الفلسفة ورواد الحكمة ، ان التعبير بالمجانسة والمشابهة و
المقاربة ونحو ذلك ، لاتفيد الا المشابهة فى امور عرضية ، من المشابهة ، فى الكم
والكيف او الوضع ، فاذا جاءت آيات المدح للمهاجرين والانصار ، او المدح
بنحو الصاحب والرفيق او الصديق او اخ القوم ، فلاتفيد هذه التعبيرات ، الا المشابهة
والمجانسة ، فى امور عرضية .

اما اذا جاء التعبير بنحو الولاية لشخص ، او انه نفس النبي ، او انه فوق حالات
البشر ، وانه منزه عن الرجس الذى تقتضيه طبيعة الانسان .

فهذا المدح فوق مدح الطاعة والجهاد والصحة والرفاقة واذا جرد الانسان

نفسه عن التقاليد والبيئات واعطى النظر حقه وجد ان الاحتياج الى الامامة ، من ضروريات الفطرة ومما تقتضيه الحكمة الالهية كما هي السيرة في الانبياء من اتمام التشريع والهداية للرسول والانبياء واهل الشرائع فقد اعقب ابراهيم انبياء كاسماعيل واسحق ويعقوب وغيرهم لاتمام شريعته ودعوة الناس الى رسالته .

واذا نظرت الى موسى ، رأيت الانبياء يعقب بعضهم بعضاً ، لهداية الناس الى ما جاء به المشرع الاول وهو موسى فهذه سنة الله في خلقه و مشيئته في عباده ، لاقامة الحججة على الخلق على ممر العصور ...

* (حديث القصة) *

اما حديث القصة ، فقد جاءت آية المباشلة ، فى السنة التاسعة من الهجرة التى كثر فيها الوفود على رسول الله (ص) لانتشار دعوته ومنهم اسقفة النصارى ، فقد قيل انهم ستون وقيل اربعة عشر ومنهم اميرهم و يسمى بعبد المسيح ، والثانى السيد والثالث حبرهم وكان الرئيس الدينى للوفد ابو حارثة وقد اذعنت نفسه بصدق رسول الله (ص) ولكن قد حالت المطامع التى كان يأملها من زعماء النصارى .

ولما احتجوا على الرسول (ص) فى عيسى انه ابن الله ، او ثالث ثلاثة وعند ما أيس الرسول (ص) منهم حيث لم يستسلموا للبراهين ، قال النبى معهم الى المباشلة .

وقد تواترت الروايات ، فى كتب الحديث والتفسير ومنها صحيح مسلم و الترمذى وتفسير الطبرى والرازى والبحر المحيط وغرائب القرآن و روح البيان و المنار والمراغى وغيرها ، ان محمداً (ص) خرج وعليه مرط ، اى كساء غير مخيط اسود ، وقد احتضن الحسين و اخذ بيد الحسن و فاطمة و على يمشيان خلفه وهو يقول ، اذا دعوت فأمنوا ، فقال الرئيس الدينى للوفد ، يامعشر النصارى ، انى لارى وجوهاً ، لودعت الله ، ان يزيل جبلا من مكانه لازلله ، فلاتبا لهوه فتهلكوا .

ثم قال يا ابا القاسم ، رأينا ان لانباهلك ، فقال لهم اسلموا ، فابوا ، ثم

صالحهم على ان يؤدوا الجزية .

وقد ذكر الفخر الرازي القصة ، ان النبي (ص) خرج في المرط الاسود ، فجاء الحسن رضى الله عنه فادخله ، ثم جاء الحسين رضى الله عنه فأدخله ، ثم فاطمة الزهراء ثم على ابن ابي طالب رضى الله عنهما ، ثم قال ، انما يريد الله ، ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيراً ؛ واعلم ان هذه الرواية متفق على صحتها ، بين اهل التفسير والحديث .

وقد ورد في مدح الامام على ابن ابي طالب (ع) في المباهلة (١) الحديث المقبول ، عند الموافق والمخالف وهو قوله (ع) من اراد ان يرى آدم في عمله ونوحا في طاعته و ابراهيم في خلته وموسى في هيبته وعيسى في صفوته ، فلينظر الى على ابن ابي طالب رضى الله عنه .

وقد دل الحديث على انه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم وذلك يدل على ان علياً (ع) افضل من جميع الانبياء سوى محمد (ص) والرواية لما جاءت ، في مورد آية المباهلة ، دل مقام الرواية والاية ، على افضلية على (ع) على كل الصحابة و انه بمنزلة اشرف انبياء الامم المتقدمين وافضل ...

(١) قد ذكره الزارى في تفسيره ...

* (الاية الثانية) *

آية الولاية :

قال تعالى ، انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون المائدة آية ٥٥ .
الاية الشريفة قد دلت ، ان الولاية لله وللرسول وللمن آمن و اقام الصلاة و آت الزكاة وهو راكع وما ذلك الاعلى ابن ابى طالب (ع) .
والولاية هى الهيمنة العامة والاحاطة على الشىء وان الولى قائم على المولى عليه و نافذ فيه حكمه و مسيطر عليه .

و الولاية تكوينية ، تشريعية و اما الولاية التكوينية بمعنى ايجاد الخلق و تكوينهم و اظهارهم من العدم الى الوجود فهى مختصة بالله تعالى ، لانه العلة لكل موجود و القائم على كل شىء و العلة التامة هى المحيطة بوجود المعلول و بجميع شئونه و جهاته .

ولا تكون الولاية من الله تعالى اعتبارية ، بل الولاية احاطة العلة بالمعلول و ان لا وجود للمعلول و المخلوقات الا بايجاده و خلقه .

اما الولاية التشريعية ، فهي جعل منصب من الله تعالى لاوليائه من الانبياء و
الاصياء ، على حسب شأنية النبي والوصى ، فكلما كانت شريعته واسعة و اهليته
للهداية عامة كانت ولايته من الله اعم واوسع من غيره .

ولما كانت ولاية النبي سيد الرسل (ص) والامام على سيد الاوصياء (ع) عامة
وهيمنة مطلقة ، قرن الله ولايتهما التشريعية ، بولايته تعالى التكوينية ، فهم الاولياء
فى العالم كله ولهم الهيمنة على الموجودات فى الهداية و الارشاد و التبليغ و
رسول الله (ص) واهل بيته (ع) هم اولى ، بالمؤمنين من انفسهم .

وقد انحصرت الولاية بقوله (انما) التى هى اداة الحصر فى ذات الله سبحانه
وتعالى ، الخالق لكل شىء والقائم على كل شىء ثم ان القائم والمهيمن هو رسول الله (ص)
وان المهيمن الثالث والقائم على المسلمين وعلى امورهم ، من السياسة والاقتصاد
ومن الاجتماع والقضاء ومن الاخلاق والجزاء ، امير المؤمنين على ابن ابى طالب (ع)
فقد جعلت الولاية له من الله بعد الله و رسوله .

وكيف يصح ان يهيم عليه احد وان يكون تحت نفوذ غيره والاية لاتجوز
ذلك وكيف يهيم الضعيف ، فى وجوده على القوى وكيف يهيم من كان محكوماً
على الحاكم ومن كان رعية على الراعى .

فالاية صريحة فى ظهورها ، ان القائم على الناس والوالى عليهم ، هو الله ،
ثم من بعده الرسول (ص) ومن بعد الرسول ، من كان متصفا بهذه الصفات و هو
على ابن ابيطالب (ع) .

وكيف يكون مع هذه الاية الدالة على حصر الولاية فى الله و فى الرسول
وفى تلك الشخصية وهى على ابن ابيطالب (ع) ان يكون عليه خليفة او يكون غيره
عليه حاكماً .

ولا بد لعامة المسلمين ، بالعمل بالآيات الكريمة والاخذ بدلالاتها وكيف اذا
جاءت آية الميراث ، او الطلاق او النكاح او الصلاة ، او الصوم ، او الزكاة ، يوخذ
بها ويعمل بظهورها وعند ما تجيء مثل هذه الآية ونظائرها ، توزع دلالتها فيعمل
ببعضها دون بعض .

وتحمل الآيات الدالة على فضيلتهم ، او افضليتهم على وجوه بعيدة لاتناسب
ظهور الكتاب الكريم وكيف يوخذ بولاية الله تعالى وولاية الرسول ولا يأخذ المسلم
بولاية على ابن ابي طالب (ع) فيعمل ببعض الدلالة دون بعض ، او تحرف الآية
عن دلالتها ، او لا دلالة لها ، في ولاية على ابن ابي طالب (ع) وقد حكى ذلك التاريخ
والسنة ونقل الصحابة انها نزلت في على (ع) .

فالمتمصف بهذه الاوصاف ، هو صاحب الولاية وجاءت الآية تعيينا لذاته (ع)
فان الموصول وصلته ، من قوله تعالى ، الذين يقيمون الصلاة هو الاشارة الى تلك
الذات الخاصة التي تقارب نفسية النبي (ص) لا كل نفسية مسلم او صحابي ، فان
العناية بالحصر في الثلاثة وهو الله ورسوله وشخصية امير المؤمنين على ابن ابي طالب
(ع) مما لا يجوز تطبيق الولاية على غيره لدلالة الحصر والارادة منه تعالى ، بان
الولاية والهيمنة الحقيقية والتشريعية ، هي مخصوصة بالله تعالى .

اما الولاية التشريعية ، فتنحصر على حسب دلالة الآية في الرسول الاعظم (ص)
وفي تلك الشخصية التي اريد من الآية التطبيق عليها فان التعبير بالموصول هنا و
الصلة ، مساق الى تعيين تلك الشخصية وتوضيحها ، لا الى كل من يقيم الصلاة ،
او يودي الصدقة وهو راع ، حيث ان التعبير في مقام الحصر ، متوجه الى شخصية
خاصة ، لا الى كل شخصية وذلك على حسب القواعد العربية في التعبير .

و هذه الولاية ، للامام على ابن ابي طالب (ع) هي الهيمنة على

الخلق فى نفوسهم واموالهم واعراضهم ، بعد الرسول (ص) فكيف يكون على هذه الشخصية ، مهيمن آخر وليس كل من يقيم الصلاة و يأتى بالزكاة و هو راع ، يستحق منصب الولاية ، فان ذلك تابع لشخصية الشخص ومكانته ونفسيته العظيمة .

ولما كانت هذه الولاية مجعولة لعلى (ع) من ذات الحق تعالى ، فلا يمكن ان تكون ولاية الناس حاكمة على امير المؤمنين (ع) لان الولاية من الله غير جائز ان يحكم عليها بولاية الناس بالانتخابات والشورى ، حيث ان الولاية من الله تعالى ، حسب شخصية الشخص ومكانته الذاتية ، لاحسب اعتبارات الناس و انتخاباتهم من جمهورية و مشروطية واستبداد ، فالمنصب الالهى ، قد توجه ، الى هذه الشخصية ولا بد ان تكون هى القابلة للولاية ، دون غيرها وذلك بجعل تشريعى من الله ، لاستعداد تلك النفوس العظيمة وقابليتها ، للمهمنة على البشر وتظيمهم فى عالم التشريع والاخلاق بوظيفة من الله تعالى وتنفيذ الاحكام على ايديهم .

اخى المسلم ان الامل فيك ان تنظر الى هذه الالية وامثالها بنظرة غير متمحيزة الى جانب ولا مأخوذة من تقاليد الاباء بل بنظرة الى ظهور الالية ودلالاتها .

وكيف تجوز لنفسك ان من كان وليا من قبل الله ان يكون مخلوعاً بعد وفات الرسول (ص) والالية انما تجعل الولاية له بعد ولاية الرسول ولا يكون ذلك الا بعد وفات الرسول ...

* (ولاية على (ع) بعد ولاية الرسول (ص)) *

لا تتحقق ولاية على (ع) في زمان الرسول (ص) لان الرسول ولى كل مسلم
ومسلمة .

اما في زمان الرسول (ص) فولاية الرسول مقدمة على ولاية على (ع) وليس
له تصرف وهيمنة على الناس في ذلك الوقت وتنحصر دلالة الهيمنة من على على الامة
بعد وفات الرسول واذا كان معزولا بعد وفات الرسول (ص) فكيف صح هذا التعبير
من الله تعالى وجعل الولاية له اذ لا موقع لولايته اصلا .

اما في زمان الرسول (ص) فلولاية الرسول عليه واما بعد وفات الرسول (ص)
فلا ولاية له والخلافة بيد غيره ، فيكون التعبير في الاية ، لا سمح الله لاغياً وغير
متوجه الى هدف اصلا ، لعدم ولايته ، في زمان الرسول (ص) وبعد وفات الرسول (ص).

واعلم ، اخى ايها المسلم ، ان ليس مقصودنا ، هو التحرف والمشاجرة في
الشخصيات ، من اصحاب رسول الله (ص) وانما الغرض هو التفاهم وجعل المسائل
في خلافة على (ع) وخلافة غيره على بساط البحث والتفاهم وانا نرغب ان نتفاهم
لاننا اخوان ، يجمعنا الاسلام والقرآن ودعوة النبي والواجبات الشرعية و نرغب

ان يقع التفاهم من غير حزاة ولا تجاسر على شخصية من الشخصيات او مذهب من المذاهب ، بل المقصود لنا ، هو طرح هذه المسائل للتفاهم والتبادل فى النظريات العلمية و البحوث فى هذه الشريعة المقدسة من دون ، و اذهاب كرامة لاحد...

* (حديث الاية) *

ذكر في البرهان وغاية المرام عن الصدوق باسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر (ع) في قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله ... الاية) قال ان رهطاً من اليهود اسلموا منهم عبد الله بن سلام واسد وثلعة وابن يامين وابن صوربا فاتوا النبي (ص) فقالوا ، يا نبي الله ان موسى اوصى الى يوشع ابن نون ، فمن وصيك يا رسول الله ، فمن ولينا بعدك ، فنزلت هذه الاية (انما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

قال رسول الله (ص) قوموا ، فقاموا واتوا المسجد فاذا سائل قد خرج من المسجد ، فقال يا سائل هل اعطاك احد شيئاً ، قال نعم ، الخاتم ، قال من اعطاك اياه قال اعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي ، قال على اى حالة اعطاك قال كان راكعاً ، فكبر النبي وكبر اهل المسجد فقال النبي (ص) على وليكم بعدى ، قالوا رضينا بالله ربا وبمحمد نبياً و بعلى ابن ابي طالب ولياً ، فانزل الله عز وجل «ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فان حزب الله هم الغالبون» المائدة ٥٦ .

ونقل الطبري عن مجاهد وعتبة ابن ابي حكيم و ابي جعفر (ع) ان هذه الاية

الكريمة نزلت في علي ابن ابي طالب (ع) وفي غرائب القرآن ، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، من علماء السنة ، ان الاية نازلة في علي (ع) باتفاق المفسرين .

و في تفسير الرازي ، روى عن ابي ذر الغفاري (رض) انه قال صليت مع رسول الله (ص) يوماً صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه احد وكان علي (ع) راکعاً فاوما اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم بمراء من النبي (ص) فقال اللهم ان اخى موسى (ع) سألك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى واشركه فى امرى فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لى صدرى ويسر لى امرى واجعل لى وزيراً من اهلى علياً اشدد بهازرى واشركه فى امرى .

قال ابوذر الغفاري (رض) فوالله ما اتم النبي (ص) هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل (ع) فقال يا محمد اقرء انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا... الاية.

وقد تكثر النقل فى سند هذه الرواية عن اخواننا ابناء السنة و الجماعة وعن علماء الامامية كالعياشى فى تفسيره وفى غاية المرام عن الصدوق وروى ذلك عن ابي ذر نزول هذه الاية فى حق علي ابن ابي طالب (ع) .

وذكر عن ابن المغازلى الشافعى واورده الخطيب الخوارزمى وعن الحافظ ابي نعيم عن جابر انها نزلت فى علي (ع) .

و جوز الرازي ان الولاية بمعنى المحبة والنصرة ولكن ذكر الرد بلسان ما اختاره الشيعة من ان الولاية هنا مستعملة فى الله ورسوله بمعنى واحد فكيف تكون فى علي بمعنى آخر فانه غير جائز استعمال لفظة فى مدلولين مختلفين وكان الرازي قد تقبل كلمات الشيعة فى هذا المقام ولكن جرى رغبة لمرافقة بعض من العامة ، من عدم الرغبة فى مدح اهل البيت (ع) والافاى عربى يسعه ان يحمل الولاية فى الله و

فى النبى بمعنى الهيمنة ولكن فى على بمعنى النصره والمعجه فان هذا الكلام لا يلىق
بمكلم عربى فكيف فى القرآن الكرىم الذى هو فى منتهى البلاغه والاعجاز ان
يقع الكلام ركبياً وغير بلىغ فلا يصدر من ادنى مكلم بلىغ .

وقد حاول بعض المفسرىن ، محاوله فاشله ، بان الاىتىن من قوله تعالى
(انما وليكم الله... الاىة) وقوله تعالى (ومن يتول الله ورسوله .. الاىة) وقعتابىن
آىتىن سابقه ولاحقه ، فى ولاىة الكفار ، من قوله تعالى (يا اىها الذىن آمنوا لاتتخذوا
الىهود والنصارى اولىاء بعضهم اولىاء بعض) مما تقدم عىلها من ولاىة الكفار وما
تأخر عنها وظاهر فى ان الولاىة بمعنى النصره ، فتحمل آىة (انما وليكم الله...)على
النصره اىضاً لوحده السىاق ، فلاتدل على الولاىة بمعنى السلطنة والهيمنة على البشر
فى مقام التشرىع والنفوذ وهذه المحاوله بعيدة عن مفاد القرآن الكرىم .

فان الاىة التى قبل الاىتىن ، من قوله ، انما وليكم الله ، لایتصلان بتلك الاىة
بل بىنهما آىات اخر مما ترتب بالولاىة اولاً ، وثانىاً ان القرآن الكرىم فى سوره و
اجزائه ، لم ينزل مجموعاً بل نزل متفرقا ، بحسب الموارد والحوادث و لذاترى
كثيراً من الاىات لا يرتبط ظهور بعضها بىبعض وثالثاً ان القرآن الكرىم ببلاغته واعجازه ،
قد باتى فىما بىن الكلام بهدف آخر ، لاهمىة ذلك الهدف وانتقال الذهن الى ماهو
اسمى وارفع ولاتأتى الاىات كلها على نهج واحد .

ورابعاً ان الولاىة ، بمعنى الهيمنة ، فى الله وفى الرسول لاىنكرها كل مسلم ،
من كل الفرق والمذاهب .

ولازم ذلك ، ان مفاد الولاىة ، فى الاىات السابقه على الاىتىن واللاحقه ،
تفید النصره ، ثم جائت الاىتان فى الله تعالى والرسول (ص) بمعنى الهيمنة ، وعندما
جائت فى على (ع) فى الاىتىن بمعنى النصره و ان هذا التركىب فى

الجميل مما لا يتفوه به عربى فضلا عن القرآن الكريم ، فان لازمه التفكيك المستهجن
فى الكلام .

بل من الجائز ، انالوتزلنا مع هذه المحاولة ، من بعض علماء العامة
بان تحمل الولاية على الهيمنة ، فهيمنة الكفار ، بعضهم على بعض ، اوعلى المؤمنين
مما ندد بها الشارع .

واما المحاولة ، بان الاية لاتدل على ولاية امير المؤمنين على ابن ابى طالب (ع)
بالخصوص لان مفادها الجمع وذلك لا يختص به ، وكأن المحاول ما نظر الى القرآن
فى استعماله المفرد بالجمع تعظيما .

وثانية ان ما ذكره القائل بان يراد به جميع المؤمنين ينافى التواتر بان الاية نزلت
فى حق على (ع) فكيف يكون هذا التواتر الثابت من علماء السنة والشيعة ان نرفع
ايدىنا عنه بمحاولات فاشلة حر كها التعصب وطلباً لرغبة الامراء السلاطين والسواد من الناس
فانه كثير ما يطلق الجمع على المفرد ، نظير قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرأ وعلانية) (البقرة ٢٧٤) وليس المراد الاعلى ابن ابى طالب (ع)
كما روته السنة والشيعة وقوله تعالى (ويقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل) (المنافقون ٨) وذلك ليس الاحاطب ابن ابى بلتعة .

واجمالا - ان المراد ليس كل من صلى او اعطى راكعاً والالتكثرت هذه الدعاية
وانما يراد بالاية ، تشخيص المقام الثالث بعد الله ورسوله وهو شخصية على (ع) و
تطبيق الصلة والموصول فى تعيين تلك الشخصية كما هو القاعدة فى استعمال الصلة
مع موصولها فانه يراد به شخصية ذلك المعطى ، لا شخصية كل من اعطى فى حال
صلاته والكانت المقارنة ، بين الذى يقيم الصلاة فى الولاية ، مع ولاية الله ورسوله
ممالا ينطق به عارف باللغة .

وانما هي اداة حصر للولاية ، بمقامات ثلاثة ، بمقام التوحيد ومقام الرسالة
ومقام الامامة ، فقد حصر المفهوم الكلي وهي الولاية ، التي مفادها الهيمنة و السلطنة
والنفوذ فيه تعالى وفي نبيه وفي امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وان الايات
الكريمة لاتنزل ، الا بما هو ابلغ الوجوه وحمل الاية علي بعض ماتقدم من علماء
المسلمين من العامة ، لا يليق بالقرآن الكريم واعجازه...

* (الاية الثالثة) *

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما
بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين
(المائدة ٦٧).

ان الاية الكريمة ، نزلت على الرسول (ص) بعد الفراغ ، من حجة الوداع
عند ما جاء الرسول (ص) الى مفترق الطرق جاءت هذه الاية الشريفة فنادى
الرسول (ص) بالاجتماع و بعث على كل قافلة سارت ، بالرجوع الى
الموقف والذي يظهر من حالة الرسول ، ان هذا التبليغ لا يتقبله كثير من الناس وان
تقبل الناس احكام الصلاة والصوم والحج والجهاد واحكام البيوع والتوارث و
القضاء والقصاص والديات ، فان كل ذلك قد تقبلته الامم واخذوا بها ، فما هذا التبليغ
الذي يتخوف رسول الله (ص) من عدم قبوله بين الناس بعدما اعلن للناس ، ان هذا الحج
حج الوداع ولا تلاقى له مع المجتمع الاسلامى الا فى هذا الموقف .
اذاً يتضح لكل ذى عقل سليم ، ان المقام ليس مقام تشريع حكم ، من صلاة
او صوم ، او حج او جهاد ، انما هو فى موقف نصب وولاية لاحد المسلمين ، الذى
يتخوف رسول الله (ص) من ان لا يتقبله كثير من الناس و هذه الاية ، هى الداعى

للمرسول الى نصب على اماماً ، يوم غدير خم ، كما سيأتى منا ، موقف الرسول (ص) فى نصبه لعلى (ع) فى غدير خم .

وان الآية ، هى السبب الداعى ، لنصب الامام على وتخوف الرسول (ص) من اظهار منصبه لعدة امور ، اولاً ان علياً (ع) حدث السن و العرب من عادتهم فى تلك العصور ان حدث السن لايتأمر عليهم ، فيخضعون للشيخ الكبير و ان لم تكن له معارف دينية ولاسياسة ولا يخضعون للشاب وان كان فى تكامل من المعارف الدينية والاجتماعية .

ثانياً - ان علياً (ع) هو المجاهد الاول ، بين يدى رسول الله (ص) و اول مبارز فى ميدان الحرب وقد قضى على كثير من قريش وغيرهم من قبائل العرب . وبطبيعة الحال ان العرب حينما ترى ان علياً (ع) قد قتل بعض آبائهم وابنائهم لايميلون الى على ، بان يكون حاكماً عليهم وما اخذ الاسلام فى اعماق قلوبهم ، الا فى نفر قليل .

فعلى (ع) مما لاترضيه نفوسهم غالباً وليس لهم علاقة محبة به فضلا ، بان يكون حاكماً عليهم .

ثالثاً - ان غريزة اكثر الناس اذا صار البيت له الحكومة والقدرة ، كرهوا ان تكون القدرة لرجال البيت على ممر الزمن كما صرح به كثير من الانصار بان لاينبغى ان تكون القدرة فى الهاشميين ولا فى المهاجرين ممن يتصل برسول الله (ص) حتى تتكافى القوى بين المهاجرين والانصار بان تكون النبوة فى المهاجرين والخلافة فى الانصار .

رابعاً - ان الناس بطبيعة الحال يكرهون الباطل ويكرهون الحق الصريح ، اما نفسية الامام على (ع) فلا تتوافق مع هذه الغرائز والجيالات فان علياً (ع) عندما

تول الخلافة لم يزد سهم الزبير وطلحة ولا المغيرة ومالك الا شتر وعمار على سائر الناس من الموالى وغيرهم ولا يخص سرأولاجهرة بعض الناس من الاشراف ببعض الغنائم او توفير سهامهم على غيرهم فالكل عند على (ع) بنظرة واحدة وعمل متساوى وهذا يعرف من حالة على ونفسيته .

وكل هذه الجهات مما توجب تباعد الناس عنه فلا يرغبون فى خلافته ولا امثال او امره فان الحق مر وان كان من الوالد على ولده وهذه كلها مما توجب التباعد عن خلافة على (ع) وان كان الامر من الله تعالى .

خامساً - ان المسلمين فى ذلك العصر لم تتم معارفهم ولم يعرفوا شأن الامامة وانما يتوجه نظرهم الى الخلافة الظاهرية وقد عرفت من بياننا السابق ان النبوة تحتاج الى المتمم فى تشريع الدعوة وتفريعاتها وتطبيق كليات الاحكام على المصاديق وتنفيذ ذلك التشريع الالهى .

فان التشريع مهما بلغ اذا لم يكن له رجال ينفذون ذلك التشريع، اصبح التشريع معلقاً وقل الانتفاع به بين الناس ومن هذه الناحية التزم علماء الشيعة بالامامة وانها ضرورة تقتضيها كل شريعة كماهى العادة فى الشرائع السابقة والا كانت الشريعة غير مستمرة فى نظام التشريع والتنفيذ وقد انقطعت تفريعاتها وتنفيذها فى العصور المستقبلية .

وما ذهب اليه الشيعة والامامية هو عين ما تصرح به الاية من الاحتياج الى شخصية تفيد الامامة بالتشريع والتنفيذ كما هو طريقة الانبياء من ذوى الشرائع كابراهيم وموسى وعيسى ان يعقبهم رجال من الانبياء والاولياء يتممون للامة التفريعات الشرعية وينفذون احكام صاحب الشريعة .

وسياتى ان الاية فى مقام تطبيق الامامة ونصب على يوم غد يرخم ...

* (الفات نظر) *

ايها القارى الكريم ان الاية الكريمة قد جاءت بتعظيم الرسول (ص) بقوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخر الاية) ومع هذا التعظيم والزامه بالتبليغ جاء نوع من التحذير للرسول بانك ان لم تبليغ هذا الوحي الخاص وان كان بحسب العادة ان طباع ذلك العصر لا يرضى بهذا التبليغ الا للنفوس السليمة لما ذكرناه من المبعديات بان يكون على هو الامام والمهيمن على الامة بعد الرسول ولكن مع كل ذلك يلزمك التبليغ فانك ان لم تبليغ بامامته وخلافته الدينية فما بلغت الرسالة لان الرسالة اكمالها واتمامها باستمرار التشريع فيها والتنفيذ من شخصيات لها كمال الاهلية وهى القائمة على النفوس من قبل الله تعالى وان خطرنا من عدم قبول الناس لهذا التبليغ وتعرىض نفسك لاهانة المنافقين والذين لا يرتضون علماً للامامة فان الله يعصمك من الناس من تأثير اقوالهم وما يضمرون به لك من العداو عدم امتثال الامر فان الله عاصمك فأقم الحجة عليهم بالتبليغ بنصب على للامامة .

وكانت المسئولية بعد التبليغ على الامة فان امتثلوا انتفعوا بامامته وعدالته والافقد فرطوا وكانوا المسؤولين على انفسهم وعن الاجيال المستقبلية وان الله لا يهدى من احتجب بالظلمات وكان مستوراً عن الحق بالعناد وقد ختم الله الاية بقوله وان الله لا يهدى القوم الكافرين .

فان الكفر هو الحجاب عن الواقع و الغطاء عن الهداية ولا يختص الكفر
بانكار التوحيد والرسالة فيعم انكار الحق وارتكاب الباطل وهذا فى منتهى التهديد
من الله تعالى على المخالفين .

ان الاية الكريمة من حيث نزولها وموردها متواتر فى حق على ونصبه بالامامة
وان ظهورها فى غاية الدلالة على نصبه وامامته الامن حجب قلبه اغشية العناد و
عدم الرضوخ بما صرحت به الايات والروايات فى امامة على (ع) ...

* (الاية الرابعة) *

قال تعالى : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ؛
ويطهركم تطهيرا (الاحزاب آية ٣٣ .)

هذه الاية الكريمة قبل نزولها بزمن قليل جمع النبي (ص) علياً وفاطمة و
الحسن والحسين (ع) وجعل عليهم غطاء ودخل هو (ص) تحت ذلك الكساء و
كان نزول الاية في بيت ام سلمة (رض) كما صرحت به كتب التاريخ حتى ان ام سلمة
ارادت الدخول معهم فمنعها رسول الله (ص) وقال لها انت على خير ولكن لست
داخلة تحت هذه الاية ، فجاءت الاية الكريمة (انما يريد الله ليذهب الى آخرها) .

وتقريب دلالة الاية انها اشتملت على اداة الحصر وهى لفظة «انما» وعلى
الارادة وذهاب الرجس والتطهير على وجه المبالغة والتعظيم .

ومعنى الاية الشريفة ، ان الله قد حصر ارادته طبق علمه الازلى وقدرته ،
ان يذهب من نفوس اهل البيت (ع) الصفات الذميمة والنعوت الرذيلة ، من الحسد
والحقد والكذب و التهور والجزع وعدم الوفاء وارتكاب المنكرات و الغضب
والحيل والمكر والخداع ، فان الله قد اذهب من نفوسهم ذلك ، فلا تصدر منهم
هذه الاشياء وانهم اجل وارفع من صدور الافعال الذميمة والصفات القبيحة .

وان كانت هذه الصفات وعوارضها ، من لوازم ذات البشر ولكن الله بلطفه وحسن استعداد نفوس اهل البيت وقابليتهم ، ان يذهب عنهم الرجس وتكون تلك الصفات والحالات النفسية ، كامنة لا ظهور لها ومدكة لا قوة فيها .

ثم ان الله سبحانه ، قال ويطهركم تطهيرا ، اى ان الله صب عليهم فضائله و نعمه ، بعد ذهاب الرجس وطهر نفوسهم و ارواحهم العالية ، بطهارة الفضائل و الكمالات التى يستحقونها ولكن لا يمكن لغيرهم استحقاق ذلك لقصور ذاتهم .

ولكن اهل البيت لعلو نفوسهم وزكاة ضمائرهم طهرهم و انار قلوبهم باعلى درجات الفضيلة والمنازل الرفيعة التى لا يمكن ان يصل اليها بشر او ملك كريم .

والاية الكريمة قد جاءت فى ضمن الايات النازلة فى نساء النبى (ص) كماهى عادة القرآن الكريم فى اعجازه وغاية بلاغته ، انه اذا استطرق موضوعاً ، ينقل السامع من ذلك الموضوع الى موضوع اعلى واسمى ، الفاتماً لنظر المستمع ، ان الذى انتقل اليه من الموضوع الثانى ، مما يتعين على السامع الاهتمام به .

وقد صرحت عائشة ، ان الاية نزلت فى حق الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وليست فى نساء النبى (ص) ونقل ذلك ايضا عن ام سلمة واتفق المؤرخون والمفسرون على ذلك وورد ، ان الرسول (ص) طبق هذه الاية يوم المباهلة ، ان اهل بيتى ، هم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

وقد جاء فى صحيح مسلم القسم الثانى ، من الجزء الثانى «ص ١١٦» طبعة «سنه ١٣٤٨ هـ» الاية نزلت ، فى النبى (ص) وعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع) وفى صحيح الترمذى ومسنده ابن حنبل قد ورد اختصاصها فى الخمسة وذكرت فى كتب الحديث ، من علماء السنة والجماعة .

ايها المنصف اذا نظرت الى هذه الاية ، هل يسعك ان تقول لاتدل على طهارتهم

وانهم غير المخصوصين بذهاب الرجس .

افمن اراد الله اذهاب الرجس عنه وتكريمه بالفضائل وتحليه بالكمالات النفسية اهو كمن قبيل من عبد الاصنام و اشرك فى الله و عمل باعمال الجاهلية و ارتكب فضائحهم وعبداصنامهم و خضع لكل قانون ضلال و بدعة و ان اسلموا فى زمان الرسول (ص) و حسن اسلامهم و كانوا من اجلاء الصحابة ، افيكونوا هوءلاء نظير من خصه الله بالتطهير الكامل و من نزهه عن ارتكاب الارجاس على حد سواء ، او ما تحس من نفسك ، بانها قسمة ضيزى و انه حكم على خلاف العدالة و ناموس البشرية يخص الله من عباده اشخاصاً ، يجعلهم انبياء و اولياء بحكم من يكون عبد غير الله فى اوائل حياته

و من الواضح لكل ذهن و فكرة مستقيمة لا يمكن ان الشخص الذى لم يذهب عنه الرجس و لم يطهر تطهيراً ، يتساوى فى الحقوق و الكمالات النفسية ، مع من اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و يكون كل منهما على حد سواء ، فى تقبل الاجتماع بل يؤخر هذا و يقدم من لم يكن قد ذهب عنه الرجس و لم يوصف بالتطهير ، ان هذا بحكم العقل و الوجدان ، غير جائز و لا يتقبله العقل السليم و ان مكانة الاشخاص و كما لانهم و ما تنطوى عليه نفوسهم ، من الكمالات و الفضائل ، هى التى توجب تقديم الشخص على غيره «قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» و يرجع الى اقوال الصحابة و آرائهم ، او الى القياس و الاستحسان ، مع ان الصحابى ، لا يحيط بحكم الله تعالى ، و لا يصادف القياس و الاستحسان الاحكام الواقعية .

و كيف لا يلتفت المسلم ، ان قول الصحابة ، او صحابى واحد ، يكون مشرعاً لحكم الله و يكون حكم الله تابعاً لرأيه و كثيراً ما يختلف الصحابة فى الرأى و كيف يؤمن المسلم بان رسول الله (ص) مع قصور سنته عن الوفاء بالاحكام و التفريعات يرجع الناس الى صحابى يشرع احكاماً من قبل نفسه و يجب على الامة اتباعه ، مع ان الحكم لم يكن من قبل الله تعالى .

وان الشيعة الامامية من عقائدهم، ان النصب من الله، ولا يعارضه نصب احد من الناس ولما كانت الامة محتاجة الى كثير من الفروع والمسائل ، فاخذها من شخص نصبه الله على يدرسوله ، احكم واتم من رأى الصحابة ، او الاخذ بالقياس والاستحسان . وانك اذا راجعت كتب اخواننا ابناء السنة والجماعة تجد رأى الصحابة ، اورأى صحابى واحد يوازنه بوزن السنة الحقيقية الواردة عن النبى (ص) او يأخذون بالقياس والاستحسان فى احكامهم كما هو رأى الائمة الثلاثة ، ماعدى احمد بن حنبل او يأخذون بالقياس والاستحسان ، من غير ان يرجع الى السنة ، وكيف صح للنبي (ص) وهو الرسول الاعظم ، ان يعمل بالاراء ويترك حكم الله الواقعى فى تلك المسائل ، او يتبع شخص يخبر عن الله وقد نصبه الله تعالى ونبيه (ص).

اعرض ايها المسلم الموضوعين على نفسك ، مما قالته الامامية وادلتهم التى ذكروها وراجع ما ذكره اخواننا ابناء السنة والجماعة واختر اى الطرفين شئت بعد مراجعة المذهبين وادلتهم وانظر الى اناس يذهبون الى اعتناق بيت النبوة ، وانهم منصوبون من الله ورسوله وانهم من قبل الرسول (ص) يبلغون شريعته والى من يقول بالخلافة والاخذ برأى الصحابة والافيسة والاستحسان ، كما هو رأى ابي حنيفة والشافعى ، والاستحسان عند المالكى ، فراجع نفسك ووجدانك ، ثم احكم بما شئت ...

* (الاية الخامسة) *

قال الله سبحانه وتعالى: وانذر عشيرتک الاقربین (الشعراء ٢١٤).
دعى رسول الله (ص) عند نزول هذه الاية الكريمة اهل بيته الى دار عمه ابى طالب
وهم يؤمئذ اربعون رجلا وفيهم اعمام الرسول ، ابو طالب ، وحمزة والعباس و
ابولهب .

والحديث فى ذلك من صحاح السنن المأثورة وفى آخره ، قال رسول الله (ص)
يا بنى عبدالمطلب ، انى والله ما اعلم شاباً فى العرب ، جاء قومه بافضل مما جئتكم
به ، جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرنى الله ، ان ادعوكم اليه ، فايكم يوآزرنى
على امرى هذا ، على ان يكون اخى ووصيى وخليفتى فيكم ، فاحجم القوم الا
على ابن ابيطالب (ع) اذ قام فقال انا يارسول الله اكون وزيرك على هذا الامر فأخذ
رسول الله (ص) برقبته وقال ان هذا اخى ووصيى وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له و
اطيعوا ، فقام القوم يضحكون لابى طالب ، قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع .

اخرجه بهذه الالفاظ ، كثير من حفظة الاثار النبوية ، كابن اسحاق وابن جرير
وابن ابى حاتم وابن مردويه وابى نعيم والبيهقى فى سننه واخرجه الطبرى فى الجزء
الثانى من كتابه تاريخ الامم والملوك (ص ٢١٧) بطرق مختلفة واخرجه ابو الفداء

فى الجزء الاول من تاريخه (ص ١١٦) وارسله ابن الاثير ارسال المسلمين فى الجزء الثانى من كامله (ص ٢٢) ونقله جعفر الاسكافى المعتزلى ، فى كتابه نقض العثمانية مصرحاً بصحته كما فى (ص ٢٦٣) من المجلد الثالث ، من شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد ، طبع مصر .

واورده الحلبى فى باب استخلافه (ص) واصحابه ، فى دارالارقم ، راجع الصفحة الرابعة من الجزء الاول من السيرة الحلبية لابن هشام وحسبك ما اخرجه احمد ابن حنبل فى الجزء الاول من مسنده فى (ص ١١١) وفى (ص ١٥٩) واخرجه فى اول (ص ٢٣١) من الجزء الاول من مسنده ايضا حديثا جليلا ، عن ابن عباس ، يتضمن هذا النص ، فى عشر خصائص مما امتاز به على ابن ابى طالب (ع) على من سواه وذلك الحديث الجليل اخرجه النسائى ايضا عن ابن عباس فى (ص ٦) من خصائصه العلوية و الحاكم فى مستدركه (ص ١٣٢) من الجزء الثالث و اخرجه الذهبى ، فى تلخيصه معترفاً بصحته ودونك الجزء السادس من كتاب كنز العمال فان فيه التفصيل ، راجع منه الحديث رقم ٦٠٠٨ فى (ص ٢٩٣) واليك منتخب الكنز وهو مطبوع فى هامش مسند الامام احمد ، فراجع منه ما هو فى الهامش (ص ٤١) الى (ص ٤٣) من الجزء الخامس تجده مفصلاً .

وقد اطنب ابن عساكر فى ذكر الرواة الذين نقلوا متواتراً ان علياً (ع) اول من اسلم وآمن بالله ورسوله وقدورد عن ابى بكر ان علياً اول من آمن بالله ورسوله .

وذكر ابن عساكر فى الجزء الاول من كتابه حياة الامام على (ع) (ص ٨٩) عن ابى رافع قال كنت قاعداً بعد ما بايع الناس ابابكر فسمعت ابابكر يقول للعباس انشدك الله هل تعلم ان رسول الله (ص) جمع بنى عبدالمطلب واولادهم ، وانت فيهم وجمعكم دون قريش فقال يابنى عبدالمطلب انه لم يبعث الله نبياً الا جعل له

من اهله اخأ ووزيراً ووصياً وخليفة في اهله فمن منكم يبا يعنى على ان يكون اخى
ووزيرى ووصى وخليفتى في اهلى، فلم يقم منكم احد فقال يا بنى عبدالمطلب كونوا
في الاسلام رؤساً ولا تكونوا اذناً .

و الله ليقومن قائمكم او لتكونن في غيركم ثم لتندمن، فقام على من بينكم
فبايعه على ما شرط له ودعاه اليه اتعلم هذا له من رسول الله (ص) قال نعم .

وان الروايات الناقلة، لقصة هذه الاية دالة على ان علياً (ع) قد اسلم قبل كل
احد من المسلمين وانه وصى الرسول وخليفته من بعده ...

* (الاية السادسة) *

قال الله تعالى: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رثوف بالعباد (البقرة آية ٢٠٧) .

ان الاية الشريفة قد تعرضت لحالات الانسان ومراتب الطاعة وان البشرفى مقام الطاعة على انحاء .

النحو الاول، ان يطيع الاوامر وينتهى عن الزواجر وان كان على خلاف رغبته ولكن يحمل نفسه على ذلك امتثالاً للامر وطاعة الله .

النحو الثانى - ان يقيم الفرائض الشرعية من صلاة وصوم وحج وزكاة و جهاد وامر بمعروف ونهى عن منكر وترك المحرمات على وجه الرغبة والفناء فى ذات الحق تعالى وهذا شأن الصديقين والابرار من عباد الله الاتقياء .

النحو الثالث ، ان يبيع نفسه لارادة الخالق ومحبته وطلب مرضاته ، قبل ان يدعى الى الوقوف للطاعة وقبل ان يؤمر بالعمل وهذا النحو ، هو الذى تشير اليه الاية الكريمة وهو اعلى درجات الطاعة والرغبة فى مرضات الله تعالى والتفويض اليه . والاية مما اتفق عليها المؤرخون والمفسرون انها نزلت فى امير المؤمنين على ابن ابي طالب (ع) عند ما تحالف العرب وقريش على قتل النبى (ص) فأمره الله بالخروج الى المدينة والهجرة اليها فدعى الرسول (ص) علياً (ع) الى المبيت على فراشه ليقم به نفسه وقد اجاب على (ع) حينما دعاه الرسول (ص) او تسلم يارسول الله

إذا عرضت نفسى تضحية لك فقال نعم .

وعندها اشتاق على (ع) الى هذا الموقف الرفيع، وهو فداء رسول الله (ص) في الموقف الخطر والتضحية فى نفسه لحياة الرسول الاعظم (ص) فقد باع نفسه ازاء حفظ الرسالة وكرامة النبوة ودعوة الحق .

ذكر الرازى فى تفسيره الجزء الثانى (ص ٢٨٣ س ٢٩) ان هذه الاية نزلت فى على ابن ابي طالب (ع) لما بات على فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه الى الغار . ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل (ع) عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادى بخ بخ من مثلك يا بن ابي طالب يباهى الله بك الملائكة .

والرواية قد نقلها بعض ابناء العامة فى غير الامام على ابن ابي طالب (ع) من صهيب او شخص آخر أمر بمعروف ونهى عن منكر ولكن المعروف عند علماء الشيعة الاثنا عشرية و اكابر علماء التسنن كالرازى وغيره قد نقلوها فى حق على (ع) و مقتضى طبيعة الاية وظهورها وتفانى الشخص فى ذات الله تعالى هو ان يكون مورد نزولها هو على ابن ابي طالب (ع) و ان كانت تنطبق على كل من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله .

وكم حرف الايات اعداء اهل البيت وجعلوا ما هو من فضائل اهل البيت (ع) فضائل لغيرهم .

وقد ذكر ابن عساكر فى كتابه « الامام على ابن ابي طالب » الجزء الاول «ص ١٣٧» ان هذه الاية نزلت فى مبيت على ابن ابي طالب (ع) على فراش الرسول (ص) حين خروجه الى الغار ولم ينقل ورود الاية فى غيره وقد نقلها كثير من علماء العامة فى حق على (ع) دون غيره .

انظر ايها المسلم الى هذه الاية من ان علياً (ع) اشترى نفسه ابتغاء مرضات

الله والتفانى فى حب الله و رسوله وانه قدم نفسه اضحية للرسول الاعظم (ص) و فداء له و بين سائر الايات التى وردت فى مدح الصحابة .

وقد دلت على المبايعة منهم لله تعالى و لرسوله (ص) و ابن مدح المبايعة من مدح التفانى فى ذات الله تعالى و التفويض اليه و انه اشترى نفسه فى حب ذات الله و بين الايات الاخر التى دلت على الوعد من الله بعدم الخوف لبعض الصحابة و ان الله مع كل احد و محيطا بكل احد .

فالاية هنا قامت بمقام الفناء و التفويض لله و هذا المقام مقام رفيع ، كما صرح به علماء الاخلاق فى كتبهم و ان التفويض الى الله و الفناء فى ذاته اعظم درجات العبودية و منازل الطاعة و هذا المقام فوق مقام اصل المبايعة و الصحابة .

و ليس المقصود من كلماتنا هذه هو التوهين لمقام الاولياء و الصالحين من عباده و ممن صاحب رسول الله (ص) و قضى معه حياته .

و انما نلفت نظر القارى ان ماورد فى القرآن الكريم فى مدح امير المؤمنين (ع) و العترة الطاهرة من اهل بيته هو فوق مدح الصحابة و التابعين .

و ان من اعطى التأمل حقه يجد ذلك واضحاً فى سير الايات الكريمة و السنة النبوية و تحقيق بمن غذاه الرسول (ص) و رباه منذ الطفولة ان يكون اعلى درجات الايمان و افضل منازل الاولياء .

و ان سنة الله فى خلقه ان يكون الاولياء المنصوبون من الله تعالى هم الذين يقومون مقام النبوات و ان امتداد النبوات و الرسل فى التبليغ بامتداد الوصاية و الولاية من الله ، فان امتداد شريعة ابراهيم باسما عيل و اسحق ، و موسى بهرون و شمعون ، و عيسى بيوشع و الحواريين .

هذه سنة الله جارية فى خلقه و مشيئته فى عباده ان الاوصياء بعد الانبياء ، هم المتممون للشريعة .

وما قصدنا الاظهار مكانة اهل البيت (ع) للامة الاسلامية وغيرهم وكم اخفى
اعدائهم من حسنات واخفى المواليون من الحسنات خطراً على انفسهم وما بين خفاء
المبغضين والمحبين ظهرت فضائلهم كالشمس في رابعة النهار .

وكم من فضيلة و آية هي في اهل البيت (ع) فنسبوا الي غيرهم وكم
للتاريخ من محاولات فاشلة في تبديل فضائل اهل البيت بغيرهم والتباعد عن كرامتهم
حتى ان المسلم يعيش زمناً طويلاً لا يعرف اهل البيت ولا مقامهم فيعرف التابعي و
بعض الصحابة الذين ليس لهم الاثر العظيم ولا يعرف شيئاً من مقامات اهل البيت ،
وكان الله لم يلزم بمودتهم ومحبتهم ...

* (بيان) *

انك اذا راجعت الايات التى تحكى حالة الانبياء والرسل من تاريخهم و احكامهم وعبرهم وامثالهم ومن المجاهدة فى الله تعالى وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وعن مقام بعثتهم و جعلهم من قبل الله فى الارض مبشرين ومنذرين .

ترى الايات الكريمة يتخلف مفادها فتارة تعبر الاية عن تاريخه مع الناس واخرى تحكى ارشاده وتبليغه، وثالثة تحكى جهاده ودفاعه عن الدين، ورابعة تحكى صلاحه واعماله، وخامسة ان الاية لاتحكى مقام عبره وامثاله ولا بيان احكامه وتبشيره ولا فى بيان المدح له وانما تنشئ مقام بعثته ونصبه على الناس وانه خليفة الله فى ارضه والحجة القائمة على عباده بقوله تعالى «انى جاعل فى الارض خليفة» حكاية عن خلافة آدم وقوله تعالى للرسول الاعظم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) والتعبير فى القرآن الكريم عن الخلافة الالهيه وانهم منصوبون من قبل الله وانهم الحجج على الخلق وهذا لا يكون على نحو الحكاية والاخبار بل انما وقع فى القرآن الكريم عن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا (ص) تدل على نصب الانبياء ، وجعلهم رسلا فى عالم التشريع وهذا المعنى هو الذى تقوم فيه الخلافة فى الارض والامامة على الناس وان كل جملة حاكية عن حالة الانبياء من المدح والثناء عليهم

اوالمجاهدة فى الحق اوبيان الاحكام وتبليغها الى الناس هو دون مقام نصبه رسولا
ونبيافان قول الله لابراهيم (قال انى جاعلك للناس اماما) البقرة ١٢٤ .
فان جعله من قبل الله اماماً ، هوالمقام الرفيع وهو اعلى من جهوده وتبليغه ،
فان التبليغ والجهود والمقاومة مع الكفار من نتائج الخلافة الالهية .
وعلى هذا البيان يتضح لك ان الخلافة والامامة تأتى بالقرآن ، بقالب الانشاء
وانه مجعول من قبل الله رسولا على الناس وولياً عليهم ، فما كان بهذا اللسان من
الانشاء دون الحكاية هو مقام المنصب والولاية وهو ارفع من مقام حالات الانبياء
من الصلاح والتقوى وتبليغ الاحكام والجهاد فى سبيل الله واعظم من مقام الصحبة
والايمان وبيان التقوى و الجهاد لبعض الصحابة وقد جاءت الايات ، فى الامام
على ابن ابي طالب (ع) بهذا اللسان فى مقام الانشاء الدالة على ولايته وانه الولي على
الامة ، بعد الرسول (ص) وانه المبرء عن الرجس وانه يمثل دور النبوة ، و انه
الخليفة على الامة .

ولذا لما جاءت آية البرائة وكان المقام مقام التشريع ، لامقام الجهاد والدفاع
رجع ابو بكر عن الموقف وبعث النبى (ص) علياً (ع) لان المورد ، كان من موارد
الولاية والتشريع او القيام بشئون الرسالة وهذا المقام لايمثله صحابى لامن المهاجرين
ولامن الانصار .

قد يستغرب المسلم ان علياً واولاده (ع) بعد النبى (ص) كيف اختصت بهم
الولاية والتبليغ فى الفروع وقد انقطع الوحي ، بموت رسول الله (ص) وما التفتوا
ان النفوس تختلف فى مراتب وجودها وعلو مقامها ، فقد يعرف الاحكام الكثيرة ،
باقل فرصة من الزمن ، كما ورد عن الامام على (ع) ان رسول الله علمنى الف باب
من العلم وينفتح لى من كل باب الف باب وان كثيراً من النفوس الشامخة ملهمة .

الافانظر الى يوسف (ع) فى الهامه واجوبته لمن سئله عن منامه وهذا الخضر (ع)
فقد حدث القرآن عن الهامه ولم يكن نبيا مرسلا وحديث الاسكندر وشمعون ، و

سائر الصالحين من عباده من النفوس التي كانت كاملة للإلهام من غير توسيط جبرئيل
ولا احد من الملائكة وحينما تعرض نفسية الخضر والاسكندر ويوسف وشمعون
وغيرهم لا يستغرب المسلم الهام نفوسهم للاحكام ومعرفتهم لحقائق الامور ، من غير
وحى ملك واذا ذكر ذلك لاهل البيت امام بعض المسلمين ، تباعد واشمئز ورأيته
يتحامل ولا يتقبل اى فضيلة لاهل البيت (ع) وان من المتعین على كل مسلم ان ينظر
الى حقائق الامور ويعرى نفسه عن التعصب وعن عنوان التشيع والتسنن ويلحظ الامر
بواقعه ، فان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يستجيب لداعى الحق واسئله الهداية لنا
ولعموم المسلمين ...

* (الاية السابعة) *

قال الله سبحانه وتعالى (قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة فى القربى
(سورة الشورى آية ٢٣) .

ان الله الزم المسلمين ، فى جميع الاجيال والعصور المودة لذوى القربى
وجعل مودة اهل البيت (ع) شرطاً فى الاسلام وجعلها اداء لفوائد الدعوة والرسالة
وان من فقد مودة اهل البيت خالف سنة الرسول (ص) وان الله حرم بغضهم ، و
التجاسر عليهم و الزم حفظ كرامتهم ، ولم يجعل لصحابى ولالتابعى مودتهم شرطاً
فى الاسلام .

وان من الغريب ، انا اذا شاهدنا من اخواننا المسلمين ، من اهل السنة والجماعة
الكثير منهم لا يعرفون اهل البيت (ع) ولا يعرفون شخصية من شخصياتهم ولا اسمائهم
نراهم يعرفون الصحابة والتابعين البعيدين .

وان المتعين على المسلمين معرفة اهل البيت ، الذين اخرجوا الناس من
الظلمات الى النور وهم العروة الوثقى التى لانفصام لها وهم حبل الله الممدود ،
بين الله وخلقه وان الله قد افترض طاعتهم على جميع الناس والزم مودتهم واخرج من
عاداهم عن الاسلام .

وان الروايات ، قد تكثرت و تواترت من الطرفين من الخاصة والعامه فى عدددهم وانهم اثنا عشر اماماً وانهم النقباء بعد الرسول (ص) و ان الواجب على المسلمين طاعتهم والانقياد اليهم .

اخى المسلم ان من راجع كتب اخواننا ابناء السنة والجماعة من كتاب ينابيع المودة وابن عساكر والمستدرک والحاكم وكتب ابن حجر والرازى وغيرها من الصحاح و الموثقات ، علم علماً يقينا ، افضلية هذا البيت واعلميته ومكانته ، من الرسول(ص) وشخصيته العظيمة فى الامة ووجوب طاعتهم واتباع اقوالهم وافعالهم وتقديمهم على كل افراد الامة .

فان المسلم يجد ذلك واضحاً ، كالشمس فى رابعة النهار من كتب اخواننا ابناء السنة والجماعة فضلا عما كتبه علماء الشيعة ، من الاماميين ، من الاخبار المتواترة فى افضليتهم وعصمتهم وانهم الابواب التى يؤتى منها الى الله تعالى .

قال رسول الله (ص) الا ان مثل اهل بيتى فيكم ، مثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق ، اخرجه الحاكم بالاسناد الى ابى ذر ، فى الجزء الثالث من صحيحه ص ١٥١ .

وقال رسول الله (ص) انما مثل اهل بيتى فيكم ، كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وانما مثل اهل بيتى فيكم مثل باب حطة ، فى بنى اسرائيل من دخله غفر له ، اخرجه الطبرانى فى الاوسط ، عن ابى سعيد وهذا الحديث ال ١٨ من كتاب التبهانى الاربعين حديثاً «ص ٢١٦ .

وقد دلت الرواية الاولى والثانية ، ان المتمسك باهل البيت ، هو المحفوظ من اخطار الاخرة وانهم باب حطة من دخله كان آمناً ومن لم يدخله كان من الهالكين . وما ورد فى يوم الاحزاب ، عند مبارزة على(ع) لعمر و ابن عبدود العامرى ، قال

الرسول الاعظم (ص) برز الاسلام كله الى الشرك كله و فى رواية برز الحق كله الى الباطل كله .

كلمة ما ائتمنها واغلاها ، عند ما حجم المسلمون عن المبارزة وتقاعدوا عن مقاتلة عمرو بن عبدود العامري ، عند ما نادى الرسول (ص) ولم يكن له مجيب الا على ابن ابي طالب (ع) وقد عبر عنه بالاسلام كله واذا كان هو عنوان الاسلام والحامل للشريعة والواقف مواقف الجهاد والدفاع وان هذا التعبير لم يأتى بهذه الكيفية لاحد من الصحابة فلا يقدم عليه احد فى مكانته من رسول الله (ص) .

وماورد كثير من الاخبار ، فى ان محبتهم شرط فى الاسلام التى تجاوزت ، فوق حد الاحصاء ، من طرق الخاصة والعامة كان هو الاولى بولاية المؤمنين والمسلمين . وقد جعل الله تعالى اجر النبى الكريم (ص) كما قال فى الاية الكريمة ، قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة فى القربى فى جهاده ونضاله ووقوفه تلك المواقف المشرفة وجعل اجرها وثمرتها على الامة ، وهى محبة اهل البيت ومودتهم ولايتهم ووجوب طاعتهم وامثال اوامرهم ومن راجع اخبار فضائل على (ع) وجسدها اوضح من الشمس فى رابعة النهار ، فى تقديمه وخلافته وامامته ومحبته ومحبة اهل بيته .

ومن غريب ما يشاهده الانسان ، بعدما كان شرط الاسلام ، محبة اهل البيت (ع) الجمع الغفير من المسلمين لا يعرفون حتى اسماء اهل البيت ولا ينزلونهم اى منزلة فى الاسلام ولا يعرفون من حالاتهم وفضائلهم شيئاً من الاشياء .

وتسرى الاذاعات تعلن وتهتف بفضائل بعض الصحابة ، حتى بفضيلة معاوية وابى هريرة وعبدالرحمن ابن عوف ولا تذكر شيئاً من فضائل على ابن ابي طالب واولاده الطاهرين (ع) ولا يفهم بعض اخواننا المسلمين اى شىء عن مذهب الشيعة الامامية بل المرتكز فى ذهنه انهم قدر فضوا الدين وينسبون اليهم نسبة مستهجنة ، حتى فى

هذا العصر الحديث الذى وصل به الانسان ، الى القمر والمريخ وفتحت فيه ابواب العلم وقد توجه الناس ، فى هذا العصر الى المعارف .

وان المتعين على كل مسلم ، الفحص عن حقائق الامور ومراجعة الواقع ، والنظر فى ادلة الطرفين .

اخى المسلم ، الدور دور ثقافة ومعارف ، الدور دور اطلاع على الحقائق ، الزمان زمان المعارف والبراهين ، لادور تقاليد أشخاص بل مجرد نفسك عن كل شىء فانك تجد افضلية اهل البيت (ع) فى كتب ابناء السنة والجماعة ، غنية عن البيان ، على ما اخفى الاعداء منها الكثير للبعضاء والعداوة ، واخفى المحبون خوفاً من المخطر .

فقد ظهر ما كان يضىء الطريق لكل مسلم ويكشف كل مسائل هداية السبيل فان الله لا يخفى الحق عن طالبيه ونسأله التوفيق والهداية ، لكل ما يجب ويرضى ...

* (حديث آية التبليغ) *

اخرجه الترمذى والنسائى ، عن جابر ، ونقله عنهما المتقى الهندى فى اول باب الاعتصام ، بالكتاب والسنة من كنز العمال ص ٤٤ من جزئه الاول .

قال قال رسول الله (ص) يا ايها الناس ، انى تركت فيكم ، ما ان اخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتى اهل بيتى وقال (ص) انى تركت فيكم ، ما ان تمسكتم به ، لن تضلوا بعدى كتاب الله ، جبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى وان يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، اخرجه الترمذى ، عن زيد ابن ارقم ، وهو الحديث رقم ٨٧٤ من احاديث العمال فى ص ٤٤ من جزئه الاول .

وقال (ص) انى تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والارض او ما بين السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى ، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . اخرجه احمد ابن حنبل ، من حديث زيد ابن ثابت بطريقتين صحيحين ، احدهما فى اول صفحة ١٨٢ والثانى فى آخر صفحته ١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده .

واخرجه الطبرانى فى الكبير عن زيد ابن ثابت ايضاً ، وهو الحديث رقم

٨٧٣ من احاديث الكنز ص ٤٤ من جزئه الاول .

وقال رسول الله (ص) انى يوشك ان ادعى فاجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتى اهل بيتى ، وان اللطيف الخبير ، اخبرنى انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، اخرجه ابن حنبل من حديث ابى سعيد المخدرى من طريقين احدهما فى آخر ص ١٧ والثانى فى آخر ص ٢٦ من الجزء الثالث من مسنده واخرجه ابن ابى شيبه وابو يعلى وابن سعد عن ابى سعيد وهو الحديث رقم ٩٤٥ من احاديث الكنز فى ص ٤٧ من جزئه الاول .

وقال (ص) انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض اخرجه الحاكم فى ص ٤٨ من الجزء الثالث من المستدرک .
ولما رجع (ص) من حجة الوداع ونزل غدیر خم امر بدرجات فعلاهن وقال كأنى دعيت فاجبت ، انى قد تركت فيكم الثقلين ، احدهما اكبر من الاخر كتاب الله تعالى ، وعترتى اهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

ثم قال ان الله عزوجل مولاي ، وانا مولى كل مؤمن ومؤمنة ، ثم اخذ بيد على ابن ابى طالب (ع) فقال من كنت مولاه ، فهذا ليه ، اللهم آل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ، الحديث بطوله اخرجه الحاكم ، عن زيد بن ارقم مرفوعاً فى ص ١٠٩ من الجزء الثالث من المستدرک ، واخرجه من طريق آخر عن زيد بن ارقم فى ص ٥٣٣ من الجزء الثالث ، من المستدرک ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ، واورده الذهبى فى تلخيصه ، معترفا بصحته .

وانت ايها المسلم ، اذا رجعت خبر الثقلين المتواتر سنداً ، وهو الصحيح عند العامة والخاصة ، رأيت ان الخليفة بعد الرسول (ص) فى الامة الاسلامية ،

هو كتاب الله و العترة الطاهرة .

و حيث ان الكتاب الكريم ، لايسع كل احد ، ان يفهمه ، ولا يمكن لاحد ان يستفيد جميع الاحكام منه ، جعل النبي (ص) التلازم بين الكتاب و العترة .
وان المفسرين للكتاب ، والمترجمين له ، هم العترة الطاهرة ، وجعل التلازم بينهما ، مادامت الدنيا دنيا ، السى ان يلتحق الكل ، بيوم القيمة ، وان لن يفترق احدهما عن الاخر الى يوم القيمة ، ولم يتعرض حديث الثقلين ، الى التلازم بين اى صحابى و كتاب الله .

و من الواضح ، ان الايات الكريمة ، فى كثير منها تحتاج الى تفسير ، و تحتاج الى رفع المتشابه منها .

وفهم من روايات الثقلين ، ان تفسير الكتاب و بيان تأويله مخصوص باهل البيت وانهما لن يفترق احدهما عن الاخر وكيف يفترق التفسير عن المفسر ، والمتشابه عن البيان مما جعله الله ، حاكياً ومفسراً لكتابه الكريم .

وحديث الثقلين واف فى الدلالة على نصب اهل البيت (ع) انهم حجج وائمة على المسلمين ، الى يوم القيمة ، وان الثقل الاكبر و هو الكتاب المجيد ، ملازم للثقل الاصغر ، وهم العترة الطاهرة .

ولولم يكن هناك حديث ، كحديث الغدير ، ولاآية كآية المباهلة والولاية والتطهير ، لكفى حديث الثقلين دليلاً على انهم الائمة والقائمون مقام الرسول(ص) بعد زمان الرسول (ص) .

وكما ان رسول الله (ص) لاينفك عن الكتاب وهو المترجم لكتاب الله تعالى والحاكى عن مقاصده ، كذلك اهل البيت (ع) هم المرآت لدلالة الكتاب وهم النور المستضاء بهم لاياته ومشكلاته .

اخى المسلم ، باى تعبير يعبر الله ورسوله فى خلافة اهل البيت بعدالرسول

اماقال الكتاب الكريم ان نفس على (ع) نفس الرسول (ص)! اما صرح الكتاب بنزاهتهم عن الذنوب! ، وتطهير نفوسهم ، اما صرح الكتاب بالولاية لله ولرسوله ولعلى (ع)! اما صرح السنة ، بان علياً (ع) مولى كل مسلم ومسلمة! ، اما صرح حديث الثقلين بان الخليفة بعد الرسول (ص) هو الكتاب واهل البيت ، وانهما الحاكمان على الامة بعد الرسول (ص) ولن يفترقا حتى يرادا الحوض .

اخى المسلم باى تعبير يعبر الرسول والقرآن ، وای حكم من الاحكام ، جاء باكثر من هذا التصريح و البيان ، اطالبك بوجدانك وضميرك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

* (الروايات الدالة على امامة علي (ع) وخلافته

حديث الغدير .

نقل ابن عساكر ، حديث الغدير بنقل متواتر ، عن الرسول (ص) والعبارة التي نقلوها ، في الغالب الست اولى بكم من انفسكم ، قالوا اللهم بلى ، قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وقد نقله كما ذكره ابن عساكر جماعة كثيرة منهم زيد بن ارقم وسعيد بن جبير وحذيفة بن اسيد الغفاري الصحابي والبراء بن عازب وسعد بن ابي وقاص وطلحة ابن عبيد الله التيمي وعبد الله ابن مسعود وجابر بن عبد الانصاري وابو سعيد الخدري وعمر بن الخطاب وسمره ابن جندب وابو هريرة وانس ابن مالك وابن مسعود ، وجرير بن عبد الله وابي بسطام مولى اسامة بن زيد وابن الاعرابي وثعلب بهذا المضمون . ايها الناس اني تارك فيكم امرين ، لن تضلوا ان ابتموهما ، كتاب الله واهل بيتي عترتي ، ثم قال اتعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم ، قاله ثلاثاً فقال الناس اللهم نعم ، فقال رسول الله (ص) من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وذكر ابن عساكر في الجزء الثالث من كتابه ترجمة الامام علي بن ابي طالب (ع) ص ٧٩ ما لفظه عن سهيل عن ابيه ، عن ابي هريرة ، عن عمر ابن الخطاب ، قال قال رسول الله (ص) من كنت مولاه فعلى مولاه .

ذكر ابن عساكر ، كذلك ، في الجزء الثاني من كتابه ترجمة الامام علي بن ابي طالب (ع) ص ٨٣ ما لفظه عن عطية عن عبد الله ابن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله (ص) من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

وقد تقدم أيضاً خبر الغدير المتواتر وما وصف به من الشواهد الكثيرة ، من ان الله تبارك وتعالى ، قد اعلم نبيه بدنو أجله وانه لا بد له من ان يجدد على امته عهد وصيه وخليفته وانزل عليه (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتك) والله يعصمك من الناس) وقد امثل رسول الله (ص) ما امره الله فنصب علياً خليفة له ووصياً وحديث الغدير متواتراً من طرق الخاصة والعامه ومما يدل على تواتره ما اخرجه ابو اسحاق ، في تفسير سورة المعارج من تفسيره الكبير بسندين معتبرين .

ان رسول الله (ص) لما كان يوم غدیر خم ، نادى الناس فاجتمعوا ، فأخذ بيد علي (ع) فقال من كنت مولاه فعلى مولاه فشاخ ذلك واشتهر في البلاد وبلغ ذلك الحارث ابن النعمان الفهري ، فأتى رسول الله (ص) على ناقه له فاناخها ونزل عنها وقال يا محمد امرتنا ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلنا منك وامرتنا ان نصلي خمساً فقبلنا منك وامرتنا بالزكاة فقبلنا وامرتنا ان نصوم رمضان فقبلنا وامرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترضى بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه ، فهذا منك ام من الله عز وجل ، فقال (ص) فوالله الذي لا اله الا هو ان هذا من الله .

فولى الحارث ابن النعمان الفهري يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً ، فامطر علينا حجارة من السماء او آتنا بعذاب اليم ، فما وصل الى

راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته ، فخرج من دبره فقتله وانزل الله تعالى سائل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذالمعارج انتهى الحديث بعين لفظه .

وقد نقله عن الثعلبي جماعة من اعلام السنة ، كالعلامة الشبلنجي المصري في احوال علي (ع) من كتابه نور الابصار وقد ارسله ارسال المسلمات ، جماعة من اعلام اهل السنة و الجماعة فراجع ما نقله الحلبي من اخبار حجة الوداع ، في سيرته المعروفة بالسيرة الحلبية ، تجدهذا الحديث في آخر صفحة ٢١٤ من الجزء الثالث . وقضية الغدير مشهورة في التاريخ ومتواترة بان النبي (ص) في غدير خم ، عندما اراد الحاج ان يتفرق الى بلادهم فأمر بعدم التفرق ونداء من سارعنا لغدير بالرجوع والاستماع الى ما يقوله النبي (ص) وقد رقى احداج الجمال ، في ذلك الموقف الرهيب الذي يلفت نظر كل احد الى اهمية الموقف لان الرسول (ص) قد منح التفرق وامر بالرجوع الى الموقف وكان في يوم هجير في ذلك المجتمع ، الذي يزيد على خمسة وسبعين الف نسمة او مئة وعشرين الف نسمة .

وقبل ذلك يناديه الله سبحانه وتعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس .

وان الاية خطاب للرسول (ص) بعنوان الرسالة والامر بالتبليغ بما ارسل به في نصب علي ابن ابي طالب (ع) والقات نظر النبي (ص) انك ان لم تبلغ فما بلغت رسالته على وجه الشمول والعموم وان التبليغ في تلك المدة من زمان مكة ، الى زمان المدينة ان لم ينضم اليه هذا التبليغ لكانت الرسالة لا اثر لها .

ثم يلفت الله نظر نبيه ورسوله (ص) بانك مامور بالتبليغ وان وجدت النفوس غير قابلة لنصب علي (ع) للامامة ولكن الحق ما يراه الله تعالى ، لا ما يراه الناس و

ان الخلافة الالهية لمن له الاهلية ، دون من ليس له الاهلية واقعاً ، فان الله يعصمك من مخالفتهم فى مقام التبليغ وان خالفوا ذلك بعد مسوت الرسول(ص) لما اشرنا اليه سابقاً ان الامامة اتمام النبوة والرسالة .

وان الانبياء مهما بلغوا بالزمن يحتاجون الى من يكمل رسالتهم وينشر دعوتهم ويتم قواعدهم وينفذ احكامهم .

فقام الرسول الى ان بلغ فى خطبته الست اولى بكم من انفسكم قالوا اللهم بلى فأخذ بيد على ابن ابي طالب (ع) ورفع بين ذلك المجتمع الرهيب وقال من كنت مولاه فهذا على مولاه .

ولايراد من المولى او الولى كما صرحت به بعض الاخبار ، انه وليكم من بعدى الا الولاية والمولوية وهما بمعنى السيادة والهيمنة.

فالولى هو المهيمن والمولى هو السيد وتلك الولاية او السيادة اللتان كانتا بهذا المعنى ثابتتين للرسول (ص) قد اثبتهما الله للامام على ابن ابي طالب (ع) على لسان رسوله (ص) .

ومن الواضح ان لفظ المولى او لفظ الولى اذا استعمل بمعنى الناصر او بمعنى المحب فليس ذلك الامكابرة وجدل لان القرائن الحالية واللفظية من ارجاع النبى (ص) للقوافل التى سارت والزامهم بالانصات لما يقول والزام الناس بالاجتماع وقوله بذلك المجتمع وليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وقد عرف الناس انها اخر حجة لرسول الله(ص) وانها حجة الوداع للبيت الحرام ورفع على(ع) فى هذا الموقف وكان الوقت حاراً هجيراً وعند مفترق الطرق .

فان هذا الوضع من الاجتماع مما يوكد ان لفظ المولى او الولى مما لا يستعمل فى هذه المقامات الا بما استعمل فى الاية الكريمة ان الله اولى بالمؤمنين من انفسهم .

ولا يجوز لمنصف ان يحمل المولى عقيب قوله اولى بكم من انفسكم و
عقيب قوله سبحانه وتعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك، والافما بلغت
رسالته وان الله يعصمه من انتقاد المنتقدين وتحريف المنحرفين وتلك القرائن التي
بينها في الموقف مما لا يجوز لدى العقل السليم ان يستعمل لفظ المولى او الولى
في المحب او الناصر او لاجل ان علياً (ع) كان لا يرغب فيه العرب اما لحدائث سنه
اول قيامه بالسيف وقتل كثير من آباء المهاجرين والانصار واخوانهم ، فذاك غير قابل
للتصديق ...

* (الامامة والخلافة عند الامامية) *

الخلافة عند الامامية والرياسة على البشر من توابع الامامة، نظير رياسة النبي وحاكميته على الامة فانها من توابع نبوته .

فالخلافة عند الامامية لاموضوعية لها وانما الموضوعية للامامة وان المناصب الدنيوية من توابع النبوة والامامة فى الرسل والانبياء .

وقد تواتر نقل هذا الحديث ، فقد نقله ثلاثون صحابياً عند ما استشهد الامام على ابن ابى طالب (ع) بخلافته من الرسول (ص) وامامته فى الرحبة فقام ثلاثون صحابى ونقلوا حديث الغدير بتمامه لمن كان حاضراً فى خطابة الامام (ع) فيهم اثنا عشر بديراً وقد نقل هذا الحديث عنهم كل من كان فى الرحبة من تلك الجموع فبشوه بعد تفوقهم فى البلاد .

ونقله زيد ابن ارقم كما اخبره الطبرانى وغيره بسند مجمع على صحته وقد اعترف بصحته ابن حجر وقد اورده نقل عن الطبرانى عن زيد ابن ارقم .

قال خطب رسول الله (ص) بغدير خم تحت شجرات فقال ايها الناس يوشك ان ادعى فاجيب وانى مسئول وانكم مسئولون فما ذا انتم قائلون قالوا نشهد انك

قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً .

قال تشهدون ان لاله الا الله وان محمد عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق وان الموت حق وان البعث حق بعد الموت وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قالوا بلى نشهد قال اللهم اشهد .

ثم قال ايها الناس ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين واناولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعنى علياً(ع) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

ثم قال رسول الله(ص) بعد كلام وانى سائلكم حين تردون على عن الثقلين كيف تخلفونى فيهما، الثقل الاكبر كتاب الله عز وجل طرفه بيد الله تعالى وطرفه بايديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تبدلوه ، وعترتى اهل بيتى فانه قد انبأنى اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يرد اعلى الحوض .

و اخرج النسائى عن عائشة بنت سعد ، قالت سمعت ابى يقول ، رأيت رسول الله(ص) يوم الجحفة وقد اخذ بيد على بن ابى طالب (ع) وخطب فحمد الله وائتى عليه ثم قال ايها الناس انى وليكم قالوا صدقت ثم رفع يد على(ع) فقال هذا ولى و يؤدى عنى دينى وانا موال من والاه ومعاد من عاداه .

وعن سعد ايضاً ، قال كنا مع رسول الله(ص) فلما بلغ غدير خم وقف للناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف فلما اجتمع الناس اليه قال (ص) ايها الناس ، من وليكم ، قالوا الله ورسوله فاخذ بيد على ابن ابى طالب (ع) فاقامه ثم قال من كان الله ورسوله وليه ، فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه كما قال الفضل ابن العباس ابن ابى لهب شعراً .

وكان ولى العهد بعد محمد على وفى كل المواطن صاحبه

وقد تواتر نقل حديث غدير خم باكثر من مئة و عشرين صحابى و اكثر نقله

من التابعين .

اما من طرف اخواننا ابناء السنة والجماعة فلا ريب في تواتره فقد نقله صاحب الفتاوى الحامدية مع مخالفته الشديدة لاهل البيت (ع) يصرح بتواتر الحديث في رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة في الاحاديث المتواترة والسيوطي وامثاله من الحفاظ ينصون على ذلك ومحمد ابن جرير الطبري صاحب التفسير و التاريخ المشهورين واحمد ابن محمد ابن سعيد ابن عقدة ومحمد ابن احمد ابن عثمان الذهبي فانهم تصدوا الطريقة فافرد كل منهم له كتاباً على حده وقد اخرج ابن جرير في كتابه من خمسة وسبعين طريقاً واخرجه ابن عقدة في كتابه من مئة وخمسة طرق والذهبي مع تباعده عن اهل البيت (ع) صحح كثيراً من طريقه وفي الباب السادس عشر من غاية المرام تسعة وثمانون حديثاً من طريق اهل السنة والجماعة ، في نص الغدير .

ونقل السيوطي الحديث ، في احوال علي من كتابه تاريخ الخلفاء ، عن الترمذي ، ثم قال واخرجه احمد ابن حنبل ، عن علي وابي ايوب الانصاري وزيد ابن ارقم وعمر وذو مرقال وابو يعلى ، عن ابى هريرة والطبراني ، عن ابن عمر ، ومالك ابن الحويرث وحبشي ابن جنادة وجرير وسعد ابن ابى وقاص وابي سعد الخدري وانس ابن مالك ، قال والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريده .

ومما يدل على شيوع هذا الحديث وشهرته ، ما اخرج احمد ابن حنبل في مسنده ، راجع ص ٤١٩ الجزء الخامس ، عن رباح ابن الحارث ، من طريقين اليه . قال جاء رهط الى علي ابن ابي طالب (ع) فقالوا السلام عليك يا مولانا ، قال من القوم ، قالوا مواليك يا امير المؤمنين قال كيف اكون مولاكم وانتم قوم عرب قالوا سمعنا رسول الله (ص) يوم غدير خم ، يقول من كنت مولاه ، فان هذا مولاه ، قال رباح ، فلما مضوا تبعتهم ، فسألت من هؤلاء ، قالوا نفر من الانصار

فمنهم ابو ايوب الانصارى .

وذكر ابن عساکر ، فى كتابه ترجمة الامام على ابن ابى طالب (ع) ص ٣٧٢
عن عبد الله ابن بريدة الاسلمى عن ابيه قال قال رسول الله (ص) من كنت وليه فعلى وليه .
وقد اكد المفسرون ، من الخاصة والعامه ، ان هذه الاية الكريمة وهى قوله
تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
الاسلام ديناً) نزلت على الرسول الاعظم (ص) بعد ماتم اخذ البيعة لعلى (ع) فى
يوم غدير خم .

وقد روى عن ابى هارون العبدى ، عن ابى سعيد الخدرى ، ان رسول الله (ص)
لما نزلت عليه هذه الاية ، قال ، الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب
برسالتى وولاية على ابن ابى طالب (ع) من بعدى وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من اخذله ...

* (النصوص من طرق الشيعة) *

ان النصوص من طرق الشيعة فى الغدير ، بالغة فوق حد التواتر فراجع مصادرها .
واذا اردت مراجعة ذلك ، فراجع كتاب اكمال الدين واتمام النعمة للصدوق
(اعلى الله مقامه) فانك ترى الكثير من الروايات المصرحة ، بان علياً (ع) هو الخليفة
من بعد رسول الله (ص) وان من بعده اولاده الاحدى عشر آخرهم القائم (عجل) و
انهم المنصوبون من الله سبحانه وتعالى للامامة والخلافة .

وترى فى بعض الروايات من حديث اخرجه الصدوق فى الاكمال ذكر فيه
اجتماع اكثر من مئتى رجل من المهاجرين والانصار ، فى المسجد على عهد عثمان
يتداكرون العلم والفقهاء وانهم تفاخروا بينهم وعلى (ع) ساكت ، فقالوا الله يا ابا الحسن
ما يمنعك ان تتكلم فذكرهم (ع) بقول رسول الله (ص) على اخى ووزيرى ووارثى
ووصيى وخليفتى فى امتى وولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى فاقرواله بذلك .

واخرج الصدوق فى الاكمال ايضاً ، عن كل من عبد الله ابن جعفر والحسن
والحسين (ع) وعبد الله ابن عباس وعمر ابن ابي سلمة واسامة ابن زيد وسلمان و
ابى ذر والمقداد ، قالوا جميعاً سمعنا رسول الله (ص) يقول انا اولى بالمؤمنين من
انفسهم ، ثم اخى على ابن ابي طالب (ع) اولى بالمؤمنين من انفسهم .

وفى الاكمال للصدوق ، عن على(ع) قال قال رسول الله (ص) الائمة بعدى
اثنا عشر اولهم انت يا على و آخرهم القائم ، الذى يفتح الله عزوجل ، على يديه
مشارك الارض ومغاربها .

وفى الامالى للصدوق ، بالاسناد الى ابي ذر قال كنا ذات يوم عند رسول الله(ص)
فى مسجده فقال يدخل عليكم من هذا الباب رجل ، هو امير المؤمنين وامام المسلمين
فاذا بعلى ابن ابيطالب (ع) قد طلع فاستقبله رسول الله(ص) ثم اقبل علينا بوجهه
الكريم ، فقال هذا امامكم بعدى .

ومن راجع كتاب اكمال الدين والامالى والنصوص لصدوق الامة والامالى
لشيخ الطائفة و الكافى لثقة الاسلام الكلينى و كتب التفسير والفضائل و المعاجز
لاهل البيت (ع) يراها فوق التواتر ، لان علياً (ع) هو الوصى و الخليفة من بعد
الرسول (ص) وهو يعسوب الدين وقائد الغر المحجلين وان الله اختار محمداً(ص)
للنبوة وعلياً (ع) للامامة والخلافة وانه من الرسول (ص) بمنزلة شيث من آدم ، و
بمنزلة هارون من موسى ، كما صرحت به الروايات المتواترة ، من طريق السنة
والامامية وان الائمة من بعده هم الاوصياء و آخرهم القائم (عجل) ولما كان ايراد
هذه الروايات ، كثيرة جداً وتستدعى كتباً كثيرة مطولة فى هذا المضمون اشرنا
اليها اشارة فراجعها ...

* (بيان) *

ان افعال الرسول (ص) واقواله ، ماهى الاوحى يوحى ولا ينطق عن الهوى ، وان القرائن المقامية وكيفية الغدير ، كما اوضحنا لاتناسب ان علياً (ع) ناصرأ للامة ، وانه يحبهم ويحبونه اولقضية شخصية بين الامام على (ع) وبين بعض الافراد ، كما اختاره بعض علماء العامة ، لان القضية الشخصية ، من التجاسر على على (ع) من احد الناس ، لايناسب هذا التعبير وهذا الاهتمام لايتناسب مع الموقف ولامع الاية الكريمة من قوله (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) بل من الواضح ، انه مقام نصب وجعل ولاية على امة تاكيداً لقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا ... الاية) .

وان موقف الغدير وعباراة الرسول (ص) فى حق على (ع) اكثر دلالة من قوله (ص) انت منى بمنزلة هارون من موسى وقوله حينما برز الى عمرو ابن عبدود العامرى ، برز الايمان او «الاسلام» كله الى الشرك كله .

ومن المؤسف جداً ، ان الانسان اذا تحكمت فيه تقاليد الاباء واشبع ضميره من الطفولة الى الكبر وعاش فى بيئات اعتادت ، على تخريج النصوص ، يقف المسلم موقف التحير لان المسلمين اجتمعوا ، على خلافة احد الصحابة وهذا يسمعه

من الطفولة وتتأكد هذه العقيدة ، عندما ينضم الى المجتمعات وهو في هذا الحال لا يتصور خطأ من الصحابة ، فلا يلتفت الى ظهور النصوص والدلالة ، على امامة على (ع) وخلافته .

ولما يبنى الانسان على اساس ودعامة ، ان الصحابة لا يخطئون ، يصعب عليه ان يوفق بين هذا وما تفيد الايات والنصوص ، من امامة على وخلافته (ع) فيبقى في المحاولات والتخريجات والتوجيهات التي لا يتقبلها العقل السليم ويطلب لنفسه القرار من الميدان .

ولكن الذي ينبغي للمسلم ان يقف موقف الحياد ويتجرد عن كل تقليد وينظر الى البحث بعمق وتأمل والى مكانة الاشخاص والى اقوال النبي (ص) فيهم والايات القرآنية الحاكية عن فضائلهم ولا يأخذ التاريخ ، بنظرة بسيطة ، فان المؤرخين في تاريخهم ، كما يشاهده المتأمل ، اخذتهم الدعايات والتوجيهات وكم ابدى اعداء على (ع) من التوهين بعلى (ع) وشراء معاوية لضمائر الرواة ، كسمرة ابن جندب والمغيرة ابن شعبه والمدائني وغيرهم بالمال ، ليوجهوا الناس الى غير بيت النبوة .

وانت اذا تصفحت كلمات الخليفة عمر ، في يوم غدير خم ، من قوله امسيت يا بن ابي طالب ، مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة اخرجهم الدار قطنى ، كما فى او اخر الفصل الخامس من الباب الاول ، من صواعق ابن حجر فراجع منه ص ٢٦ .

واخرج احمد ابن حنبل ، نحو هذا القول عن عمر ابن الخطاب ، من حديث البراء ابن عازب فى ص ٢٨١ من الجزء الرابع من مسنده ، فصرح باناه مولى كل مؤمن ومؤمنة ، على سبيل الاستغراق لجميع المؤمنين والمؤمنات .

وقيل لعمر ابن الخطاب انك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه باحد من اصحاب
النبي (ص) فقال انه مولاي ، اخرجہ الدار قطنی ، كما فی ص ۳۶ من الصواعق
المحرقة ...

* (رواية المنزلة وغيرها) *

قد ورد متواتراً ، من طرق الخاصة والعامة ، ان منزلة علي (ع) من الرسول (ص) كمنزلة هارون من موسى الا انه لانيبي بعده .

وقال رسول الله (ص) ان امدية العلم وعلي بابها وورد صحيحاً عن رسول الله (ص) قال بان علياً منه وهو منه وانهما خلقا من طينة واحدة وشجرة واحدة وسائر الناس من اشجار شتى .

وقال رسول الله (ص) يا علي محبك محبي ومبغضك مبغضى ، كذب من زعم انه يحبني ويبغضك وان الله عهد الى في علي ، انه راية الهدى وامام اوليائي .

وقال رسول الله (ص) يا علي من اطاعك فقد اطاعني ومن اطاعتني فقد اطاع الله .
وورد عنه (ص) انا وهذا يعني علياً ، حجة الله على خلقه .

وقال (ص) انا مدينة الجنة وعلي بابها ، كذب من زعم انه يدخل الجنة ، من غير بابها .

وقال (ص) ان اذار الحكمة وعلي بابها ، فمن اراد الحكمة فليأتها من بابها .
وقد ورد صحيحاً عن الرسول الاعظم (ص) اني خلقت مع علي من نور واحد واذ انظرت الى هذه الروايات وجدتها في منتهى المدح والثناء على اهل بيت العصمة وهم علي واولاده الطاهرين (ع) ...

* (المعاد) *

قال الله تعالى في كتابه الكريم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل شىء عليم) (١) (ايحسب الانسان ان لن نجتمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوى بنانه) (٢) .

ان جميع الاديان على اختلافها ، من حنيفية ابراهيم ورسالة موسى وعيسى ورسالة النبى الاعظم (ص) وكتاب الله المجيد ، قد صرحت فى المعاد وان اختلفوا فى انه روحانى وليس بجسمانى ، كما ينسب ذلك للنصارى وبعض الفلاسفة ، او ان الروح والعقل فى قالب مثالى ، او أن المعاد جسمانى ، والغرض من كونه جسمانيا هو ان هذا الشكل والبدن فيه ما لا يبقى وفيه ما يدوم ولا يفنى وهو المعبر عنه فى الروايات عن ائمة الهدى (ع) و فى كلمات الاعلام بالاجزاء الاصلية ، التى لا تفنى وتبقى ببقاء الله تعالى .

(١) يس آية ٧٨ و ٧٩ .

(٢) القيامة آية ٣ و ٤ .

وليس من الاديان من ينكر المعاد وان كان الاختلاف فى الاديان فى حقيقة المعاد ، مما لانتقبله ، لان الدين عند الكل واحد ، كما قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) فالاسلام دين جميع المذاهب والشرائع وانما جاء النبى (ص) باتمامه و اكماله فلا يمكن ان يكون المعاد فى الشرائع السابقة روحانياً ويتعين ان يكون جسمانيا بالمعنى الذى ذكرناه ، بحيث لورأيته لقلت ، انه زيد فى دار الدنيا ، كما لورأيته فى سن الكهولة ، تقول ، هو ذلك الشاب وان كبر جسمه واخذه الطول و العرض ولم ينكر المعاد الامن انكر التوحيد ، كالطبعيين والدهريين .

ولقد قال افلاطون ، فيما نسب اليه ، انه لولم يكن هناك يوم آخريبقى البشر ببقاء الله وينال الثواب على طاعة الله والعقاب على معصيته ، لكانت خلقه القردة خير من خلقه الانسان لتلذذه بشهوته ولاعقاب عليه .

وانت اذا راجعت القرآن الكريم وسنة الرسول وآله المعصومين وجدتها متواترة وصريحة فى ان المعاد ، هو المعاد الجسمانى ، لامجرد الروح والقالب المثالى وقد اوعد الله سبحانه وتعالى الثواب على طاعته ودخول الجنان والمجازات على الاعمال ولو لم يكن والعياذ بالله يوم تعاد فيه الاجسام و الارواح ، لما كان للوعد بالثواب والتوعيد بالعقاب وجه

وقد عرفت منا ، ان تكون الانسان ووجوده وبعث الرسل ، حسب ما تقتضيه الفطرة واتمام الرسالة بالامامة مما يقتضى ان يكون هناك يوم يجازى الانسان على اعماله من الحسنات والسيئات ، فالانسان وليد العمل ولايرافقه بعد الموت الاعمله . فالايات والروايات متواترة فى اعادة الاجسام والارواح بنفسها ، غاية ، انه لايعاد بهذا الجسم من الغداره وانما يعاد هذا الجسم بلطافته ، اذلا خروج فى يوم الاخرة للنجاسة ، من العذرة والابوال والدماء وغذارة البدن .

ولولم يكن هناك يوم ، يثاب الانسان فيه على اعماله الصالحة ويعاقب على اعماله السيئة ، لكانت الايات والابخار الواردة ، فى الثواب والعقاب والمتعرضة لمراتب الثواب والعقاب خطاباً لغويًا .

وهذا مما لايمكن الذهاب اليه وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتكون آيات الشفاعة والتوبة والعفو من الله ممالا مورد لها ولاوجه يقتضيها .

واجمالا البدن المحسوس ، امر مركب من جواهر و اعراض متعددة ، ثم اذا بلغ الانسان اجله من يوم الاخرة وتلاشى هذا التركيب والجسم بالموت ، رجع كل جوهر من جواهره الى اصله وعالمه وبطلت الاعراض الدنيوية ، و اضمحلت الهيئات البدنية ، لعدم جواز الانتقال عليها ، من موضوع الدنيا الى موضوع الاخرة . ثم اذا جاء وقت العود والبعث بامر الله تركب الجسم من اصول تلك الجواهر وصورها ، تركيبا لايقبل الفساد والتغير ، فيكون الجسم الاخرى مجرد جواهر بلا اعراض هذه الشأة الدنيوية ولم يكن له صفات زائلة ، حاصلة من انفعال المواد .

وان المعاد الجسمانى مما تواترت عليه الايات والروايات من اهل البيت (ع) ولا يمكن التجوز فيها والحمل بالمعاد الجسمانى على الارواح المجردة ، او الجسم المثللى فماذاك الا انكار لما تواترت عليه الايات والروايات .

وعلى اضواء الايات الاتية نتعرض انشاء الله الى ما دل عليه الكتاب والسنة وما قامت عليه البراهين الفلسفية من المعاد الجسمانى وان كل الشرائع متفقة على ذلك وما بعث الله نبيا للتوجيه الخلق على هدف التوحيد والرسالة والاقرار بيوم المعاد وحشر الارواح مع الاجساد الدنيوية دون ما فيها من الكثافات التى لابقاء لها فى عالم الاخرة ...

* (الاسلام وشئونه) *

قال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) ان من نظر الى الاسلام ودرس حقيقة قواعده وجده دين الفطرة وغرائز البشرية الصحيحة ووجد هذا الدين نظاماً للنشأتين ، الدنيا و الآخرة ، يحفظ البشرية عن الفوضى والظلم والغلبة والاستبداد واستهلاك النفوس واستعمارها .

فهو نظام يحفظ الحياة الدنيوية ، بالصدق والامانة و اقامة العدل و اللطف بالاحسان و اذاسار البشر على نظام الاسلام ، لم يكن هناك قسوة ولا انتقام و لا فتك ولا استحقار للنفوس ، بل التكامل فى هذه النشأة و الآخرة ، فان الاسلام قد سد ثغور الظلم و العدوان و الاجحاف بالحقوق ، الى الاستسلام للعدل و الحق و توجه من العبد الى ربه .

انك اذا نظرت الى قانون التجارات و المعاملات و نظام الزوجية و التوارث و القصاص و احكام الديات ، لاتجد نظاماً افضل منه رحمة و لطفاً و عدلاً بين الافراد ، ان الاسلام الغى العناوين التى تكونها العصبية و القومية و حب الذات و القبيلة ، الى غير ذلك مما ارتكز فى نفوس المتغلبين و المستكبرين على البشر .

فالإسلام قد حطم عروش هذه المباني وجعل الأسود كالأبيض ، والغربي كالشرقي ووجه الكل الى المعارف و ان لأفضيلة لآحد على آحد ، آلا بالعلم والعمل الصآلح ، فالغنى ميزة الانسآب وشرف السيطرة والنفوذ وتعصب القوميات واذهب جذور التكبر والنفآق وجعل الكل على صراطه المستقيم، قال(ص) لآفضل لعربي على عجمي ، آلا بالتقوى ولوان الناس عملوا بقانون الإسلام وطبقوه لنزلت عليهم بركات السماء وكان كل الناس آخواناً .

انظر الى حقوق الزوجة مع زوجها والولد مع آبيه والوالدمع ولده والجار مع جاره وصاحب الوطن مع آخيه ، تجدها دروساً مملوئة باللفظ وقوانين محكمة بالعرف ولوان الناس عملوا بقوانين الإسلام وآحكامه ، لما وجدت بينهم الشحنة والبغضاء ولا القسوة .

وقد جعل الشارع نظام الدية والقصاص سداً لآبواب الظلم والجرور ولوان الناس عملوا بقوانين القصاص والديات والحدود ولو كانت هذه اول مراحل الإسلام ، لوصلوا الى الآخرة .

ان الإسلام دروس تربط العبد بربه ودروس تربط الناس بعضهم ببعض وهذه الدروس لو آتقنها المسلم وعمل على طبقها ، لنال الراحة فى الدنيا والنعيم فى الآخرة. ولكن المؤسف ، ان الناس غالباً ، لا يعرفون حقيقة الإسلام وتعاليمه ، وانما يأخذون بالشعارات والعناوين ، فمن شهد الشهادتين وآعترف بالتوحيد والعقائد الإسلامية ، او عمل بالفروع والآحكام ولم يطبقها على النظام الصحيح لم يكن مؤمناً حقيقة، فالإسلام له عنوان وله حقيقة ، فبمعنونه يحقن دمه ويحفظ ماله وعرضه وتترتب عليه كثير من الآحكام الشرعية .

آما من كان مسلماً حقيقة وطبق النظام الإسلامى على آفكاره وآعماله ، فهو

المسلم الحقيقي الذى كان موحداً فى مرحلة الذات لله والصفات والافعال والعبادة فهو موحد ذاتاً وصفة وفعلاً وعبادة ، كما يأتى تفصيله .

وانت اذا درست قوانين الاسلام و احكامه ، بامعان النظر و التدبر ، فى خصوصياته ، لاتجد قانوناً افضل منه ، من غربى و شرقى ، فان كل قانون فى الدنيا يقدم عنصرية على اخرى و قومية على قومية و بيئة على اخرى و ماذك القانون الا القانون الذى ، تجريه النفوس البشرية ، قائم على حب الذات و تقديم قومية على اخرى و مصالح بيئية على بيئية ثانية و هو قانون يلحظ فيه المؤسس رغباته و شهواته .

اما الناموس الالهى ، فليس فيه الشهوات و الالارغبات ، بل يبتنى على الحقيقة و ان نظرت الله الى خلقه هى نظرة التساوى و حفظ الاجتماع و التعادل ، بين الحقوق و لحاظ الجهات النوعية ، التى لانتخص بامة دون اخرى .

وهذا بخلاف قوانين البشر ، فانها قوانين استعمار و استثمار ، بل قد يبلغ الحال ، ان يكون القانون قانون استهلاك و استهلاك للنفوس و الاعراض و الاموال و جعل البشرية كحيوان مسخر ، فيما بينهم ، كما هو الحال فى اراء بعض الدول ، على وجه الارض من استهلاك نفوس الرعية و نتائج اعمالهم و انهم ليسوا الا كدواب مسخرة بايديهم و اسأله تعالى ان يتوجه العالم فى يوم ما الى قانون الله و اظهار ولى الله بالقيام باحكامه تعالى و ان الاسلام قد حفظ للبشرية نظام اجتماعها و اقتصادها ، على اتم الوجوه و افضلها ، حتى انه حرم الاحتكار و رغب المسلم ان يبيع بفائدة قليلة لشايقع العسر و الحرج ، فى معاملات الناس ...

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى ، و لتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون آل عمران ١٠٤
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر و تؤمنون بالله ؛ آل عمران آية ١٠٩ .

ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ؛ النساء آية ٥٨ .

والذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون ، المؤمنون آية ٨
بلى من اوفى بعهده و اتقى فان الله يحب المتقين ، آل عمران آية ٧٦
ان الحياة البشرية و وجود الانسان ، محفوف بالخيرات و البركات و مقرون بالشرور و السيئات ، فاذا نظرت اليه من ناحية ، رأيت محض الخير و اذا نظرة اليه بنظرة ثانية ، رأيت منبج الجرائم و الاثام .

ولما كانت الحياة البشرية ، ذات نظام اجتماعى و اقتصادى و خلقى و جاءت التكاليف على وفقها ترقبه و الاخذ بيد الانسان ، الى اوج الكمال و مع هذا كله ، فقد تدعوه نفسه الى ارتكاب الجرائم و عدم السير على النظام ، الذى يقتضيه قانون العدل ،

اذ ليس كل نفس مجبولة على الخير ، بل ان بعضها مستعدة للشور والذنوب ، وحب السيطرة والقدرة واستعباد البشر .

جعل الله تعالى بابا من ابوابه وقانونا فى احكامه قانون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وما من امة تركت الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الا سلب الله شرارهم على خيارهم فيدعون فلا تستجاب لهم دعوة .

وقد كان البحث عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من القواعد الاسلامية التى لا بد على الامة من اجرائها وتنفيذها ، ليرجع العاصى الى الطاعة والجانث الى العدالة ولان لا تكثر الشرور فى العباد ، فيختل نظام الحياة وتصبح الشريعة غير معمول بها واذا قام المسلمون بالامر بالمعروف ، من دلالتهم على العمل الصالح والنهى عن المنكر من زجرهم عن المعاصى اعتدلت الحياة ونظام البشرية وصار كل يدعوا الى الخير والصالح ويتباع عن الذنوب والسيئات .

وما من امة قام بها العدل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا بلغت ارقى نظام الاجتماع والاقتصاد واعلى منازل الاخلاق وصار العدل نظاماً لهم والاحسان خلقاً لاعمالهم .

وقد حث الكتاب الكريم والرسول العظيم (ص) على هذه الوجة فانك اذا نظرت الى حقيقة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجدته روحاً للاعمال الصالحة وسداً محكماً ، عن الاعمال القبيحة ويتعين على كل احد بمنزله ومقامه وعلى حسب ماهو اللائق به ، فرب رجل يكتفى بامر ونهي وآخر ان ينظم اليه الزجر الشديد والحث على العمل الصالح ورب شخص يتعين عليه ، ان يقوم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى لو آل به الامر الى القتل .

واعظم مثال ، لهذا الموقف سيد الشهداء (ع) مع بنى امية ، فلامر بالمعروف

والنهي عن المنكر مراتب، واقله الامر والنهي، بالقول واعظمه تقديم النفس لظهار الحق
واذهاب الباطل .

وليس معنى الايمان ، هو تجنب الاعمال عند ما يرى التظاهر بالمنكرات و
ترك الواجبات ، فان الانسان من حيث دينه لا بد وان يقوم بشئون و جهات عديدة ،
من اقامة الواجبات وترك المحرمات ومن الوقوف عند المنكرات ، على حسب
استعداده وامكانياته وان بلغ به الحال الى تضحية النفس والحياة وسيأتي منا على
ممر الايات بيان هذا البحث بصورة موسعة ...

* (افعال المكلفين) *

قال الله تعالى ، « قل لعبادى الذين يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيه من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال » (١) تتجا فى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون (٢) ، و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها ومن آناء الليل فسبح و اطراف النهار لعلمك ترضى (٣)

ان الانسان لما خلق على طبق المصلحة الالهية فى وجوده خلق عاقلاً مختاراً فى افعاله ، ولذا توجهت التكاليف عليه ، من العبادات و المعاملات و الايقاعات و الوظائف الشرعية ، و الحدود و القصاص و الديات ، لان كلامن هذه الافعال تحت اختياره وان العبد تارة يكون ممتلاً لاوامر الله و نواهيه فيترك المحرمات و يقوم بالواجبات و ثانياً قد يترقى ، فلا يفعل حتى المكروه و يقوم باداء المستحبات و قد يترقى به الامر حتى يتم له الخلوص لله ، فلا يرى الا الله فى افعاله و اقواله اذ لا عمل الا بالعلم و لا علم الا باليقين و قد تترقى نفسه الى حق اليقين ، و عين اليقين فيشاهد

٢ - سورة السجدة آية ١٦ .

١ - سورة ابراهيم آية ٣١

٣ - سورة طه آية ١٣٠ ...

المغيبات ، كانه يراها ، و ينطبق عليه ، الا ان اولياء الله لاخوف عليهم
ولا هم يحزنون ، وتتم له مرتبة التوحيد فى الذات والصفات و فى الافعال
والعبادة ويكون عبدالله الحقيقى الذى يعبدالله لاخوفاً من ناره ولا طمعاً فى جنته ،
اولئك هم الابرار والصديقون .

وقد تتم للعبد مرحلة العبادة من توحيد الذات والصفات و توحيد الافعال و
العبادة وربما وصلت نفس ذلك العبد بحسب استعدادها وتقبلها للفيض الالهى ان
يكون نبياً او مشرعاً .

وانك اذا نظرت الى الايات الكريمة تجسد ان العبادة بعضها يتقرر بعنوان
الصلاة وثانيا بعنوان الصوم والحج ، وثالثاً باداء الحقوق الشرعية من الزكاة وغيرها
وتكون جميع اعماله فانية فى ذات الحق مسلما الى الله فى جميع اقواله وافعاله
ومفوضاً فى كل ذلك اليه فالعبادة لها مراتب ، وكل من المراتب اذا وصل اليها العبد
وصل الى الهدف المقصود منها .

وان الله سبحانه وتعالى وان كان لا يبدان يعبد باعلى مراتب العبادة ولكن رحمة
منه وفضلا ، ان اكتفى منه باليسير عن العسير ، وبالقليل عن الكثير ، نظراً الى
قصور ذاتهم ، وعدم استعداد الكثير منهم لوج الطاعة ، ومنتهى العبادات ، واكتفى
منهم بالعبادة الذكورية ومجرد اداء الزكاة والحقوق الواجبة ، وتزكية لابدانهم فى
الصوم ولماوالمهم وابدانهم فى الحج .

وقد خلق الانسان الى هدف عظيم ومنزلة رفيعة وما خلق ليعبث ويلعب ، و
يقضى هذه الحياة الدنيا فى المعاصى ، وارتكاب الجرائم ، وقد اكد القرآن الكريم
فى آيه الكريمة ، على منافع هذه الاعمال ، و نتائج هذه العبادات ، ترغيباً لطاعته
وتبعيداً عن معصيته ، وكل مايفعله العبد ، ويقوم به من الاعمال ، لايعود نفعها او

ضرر ها الاعلى العبد ، فالثه غنى عن افعال عباده ، فمن قام بالعبادات فلنفسه ، ومن اساء فعلها ، والله هو الغنى عن عباده ، كما قال امير المؤمنين فى كلماته لهمام ابن هانى السلولى عندما قال له سيدى صف لى المتقين حتى كأنى انظر اليهم فقال له (ع) اما بعد فان الله سبحانه و تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنة من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه .

فهو المتفضل عليهم برحمته ، و كلما قرب العبد درجة فى الطاعة ، استعدت نفسه لدرجة اعلى منها و افضل ، كل ذلك بلطف الله و فضله ، و اسأله العفو و الرحمة انه مجيب الدعاء ...

* (العبادات) *

قال الله تعالى ، قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا يبيع فيه ولا خلال (ابراهيم آية ٣١) واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون (البقرة آية ١٨٦) يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرأ كثيراً (الاحزاب آية ٤١) .

ان عمل المكلفين يختلف من حيث العبادة و التجارة و الكسب و من حيث الاجتماع ، من الازدواج و الفرقة بينهما و من حيث الوظائف الشرعية ، من ان للامة قضاة يحكمون بالعدل و من اقامة الحدود و القصاص و الدييات و كل ذلك يتعلق به التكليف من حيث عملهم و لذا حرر علماء الفقه ابواب العبادات و المعاملات و الوظائف الشرعية من القضاء و الشهادات و الاحكام .

وان العبادة هى وظائف الخضوع و التذلل للمولى كالصلاة و الصوم و الحج و الزكاة و نحوها و حيث ان مصالح العبادة مما لا يصل اليها العقل البشرى ولا يحيط بها الفكر ، فلا بد من اخذها من الشرائع المقدسة المتلقاة من الوحي و الالهام الالهى .

وان المصالح فى العبادات ، مما لا يعود نفعها الى الله تعالى ولكن الله لطفا بعباده ورحمته عليهم ، ان سن لهم شرائع العبادة وقوانينها وطرق الاخلاص الى الله فاذا امتثل العبد ما امر به المولى وانقاد لامره ونهيه ، كان الامر عبادياً ولا يمكن للعقل ان يتوصل الى المعارف العبادية ، لان ذلك باب مغلق ، حتى على بعض الانبياء ، ممن يقوم بأوامره وتشريعه تعالى ولكن لا يعرف النبى المصالح والمفاسد ، من قبل الله تعالى فالعبادة ربط المخلوق بالخالق والوظيفة التى يقوم بها العبد لربه .

وقد تكون افعال العبد كلها عبادية ، حتى اكله وشربه وتجارته وسفروه واجتماعه مع الناس ، اذا قصد بذلك وجه الله والطاعة اليه وتكون على هذا الوجه جميع افعاله عبادية وان كان العمل توصلياً .

ويأتى منا تفصيل مراتبها واقسامها وانها الحبل والصلة بين الله وعباده وكلما قام العبد بالانقياد على اتم الوجوه ، كان اقرب الى الله تعالى وليس للعقل حكومة هنا ، الا الطاعة والانقياد لاوامر الله تعالى ، حيث ان احكام العقل ، اما ضرورية برهانية كاجتماع الضدين والنقيضين والخلف والردود والتسلسل واستلزام وجود الشئ عدمه ، مما يقضى به البرهان والضرورة واما ان يقع الحكم من العقل على وجه الوجدان ، كادراكه للحسن والقبح وحرمة التعدى والجور وظلم العباد بعضهم لبعض ، او القيام بالاحسان والتفضل ، فان العقل يدرك بوجدانه حسن العدل والاحسان وقبح الظلم والعدوان وهذا الحكم من فطريات العقل وان منعه الاشاعة . ولو منعنا هذا الحكم ، لا يصبح الانسان يشبه البهائم والحيوانات ، حيث لا يدرك الحسن ولا القبح ولا يفهم الجور والظلم والاحسان الى اليتيم والمظلوم . ومن اضواء ذلك تعرف ان الفقهاء اذا جاؤوا الى مباحث العبادات ، عبروا

عنها ، بانها اداة الخضوع ورمز الخشوع وانها معنى العبودية والرقية لله وان العقل
مهما بلغ ، فلا يمكنه الوصول الى مصالح العبادات ومنافعها الواقعية وعندها فيخضع
العقل للطاعة وتحصيل الامتثال وان عاد النفع اليه كما بيناه ...

* (التجارة والمكاسب) *

قال الله تعالى ، يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان
بكم رحيمًا (١) ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ،
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون (٢) الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جائه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون (٣) .

ان الانسان عندما وجد وخرج عن عالم الوحشية ، الى عالم التمدن والترقى
على وجه هذا الكوكب توجهت نفسه الى الصناعات والتجارة وقام النوع الانسانى

١- النساء آية ٢٩ .

٢- المطففين آية ١ و ٣٩

٣- البقرة آية ٢٧٥ .

على مباشرة الصنائع والفنون فأخذ في الترقى جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر ،
وإصبح الإنسان يبذل جهوده في شتى الصناعات والمخترعات من التجارة والحرف
وعلم الطبيعة والطب والهندسة .

وكلما تقدم الإنسان في الصنائع ، تقدم إلى مراتب أرقى منها وإصبحت
الصناعات ، ملكة له راسخة وإن نظام التكسب والفنون مما يضطر إليه الاجتماع
والبيئات .

ولذا ترى أن بعض الأمم ، قد تقدم في ذلك وبعضهم قد تأخر ومن هنا ترى
سكان الأرياف ، غير سكان المدن وترى المدن في الحضارة والتجارة والصناعة ،
يختلف بعضها عن بعض ، وإصبح الإنسان كما يطلب العلم والفنون من الهندسة و
الطب و الفلسفة والفقهاء وعلم الطبيعة ، يطلب أنواع التكسيبات ، إذ على الكسب و
التجارة ، قوام النظام البشري وترقى الأمة في معاشها واقتصادها ، حتى إصبحت
الأمم يتغلب بعضها على بعض ، من ناحية التجارات والاقتصاد ، فترى أمة قد توفر
اقتصادها وحسنت صنائعها وترى الأخرى ليست بهذه الكيفية .

وكل قطر أو أمة تحسن كسبها وترقت فنونها ، هي أغنى من الأمة الأخرى ، و
تكون الرفاهية فيها أوسع وأجمل وترى فيها قلة التشاح والتشاجر وإن الأمة التي
ضعف اقتصادها وكسبها مورد النزاع والدعوى والخلاف بينها .

فاستقرت الأمم بتوفر الكسب والاقتصاد وانحطاطها بضعف التكسب والاقتصاد
وقد جعل الشارع المقدس قانوناً ونظاماً لا حيف فيه من أحد على أحد ولا ضرر فيه
من شخص إلى آخر وحافظ الشارع المقدس جهود كل شخص وإنه يملك أعماله
وجهوده ويملك الناتج من الجهود ، من تعمير الأراضي والزراعات وهندسة الأبنية
و استخراج الآلات التي توجب الرفاهية على البشر وتوسعة الرزق والعيش بسلا

احجاف ، حتى ورد فى بعض الاخبار ، ان الكاسب حبيب الله لانه يأكل بعمله ، و يتغذى من جهوده ، من غيرمنة من احد عليه ولا استعطاء من احد ولكن لابدائه من ان يعرف قانون العدل ، فى التجارة والمكاسب واذا دخل التكسب ولم يعرف احكامها وقوانينها ، صار مصداق لقوله (ع) التاجر فاجر ، حتى يتفقه ، فقديتاجر فى الحرام ويتحمل اوزار المكاسب المحرمة ، فان الشارع المقدس بين طرق الكسب المحلل والكسب المحرم وحرم الربا لانه يقضى على المجتمع و حرم الاحتكار لانه يستلزم استهلاك ابناء النوع من البشر ...

* (تقديم فى الاقتصاد) *

ان الاسلام دين الانسانية وصراط الحياة ولا بد للدين الحقيقى الذى لا يختص بقوم دون قوم نظير رسالة موسى الى اليهود وعيسى اليهم ايضاً ورسالة الاسلام هى الخالدة التى لا تختص ببيئة دون اخرى ولا بقوم دون آخرين ولا بشرقى او غربى ، او بأبيض او باسود ، فهودين التكامل فى الحياة على الوجه التام من ارتباط العبد بربه ، وحياته فى هذه النشأة .

وان الاسلام قد نظم سلوك الانسان مع الله ونظم سلوك الانسان مع الاخرين من ابناء جنسه وحيث ان نظرة الاسلام الى المجتمع كنظرة الى شخصية واحدة ذات اخلاق ومثل عالية ولما كان الاسلام عارفاً بموقعية المال فى هذه النشأة ، عبر القرآن الكريم عن المال وانه اهم من الاولاد فى آيات كثيرة ، فتارة يعبران المال زينة (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) (١) واخرى يعبران المال فتنة كالاولاد (انما اموالكم واولادكم فتنة لكم) (٢) الفاتناً لنظر المجتمع ، ان يروا ان المال من جهة هو عنصر الحياة الحقيقى ، اذ به يقع النسل والذرية وبه ينظم حياته البيئية والاجتماعية وبه يتفضل على الضعيف وبه يدفع البلاء عن نفسه .

(١) الكهف آية ٤٥ ...

(٢) التغابن آية ١٥ ...

ولذا عبر عنه بالزينة ، فهو العنصر الحقيقي فى هذه النشأة ولذا اهتم الكتاب الكريم والسنة النبوية وكلمات اهل البيت على توجيه المكلفين ، الى انتظام المال وانه يجعل وسيلة لحفظ المجتمع و الفرد ولسو لا المال لاصبح الانسان لايملك لنفسه نفعا .

وان الفقر كما عرفت عن الرسول (ص) كساد الفقر ان يكون كفوفاً و اى فقير يعانى الحياة وقوته اليومى ، يتوجه الى حفظ النظام الاجتماعى او تدبير منزله او راحته ، بل كل ذلك مفقود منه ويكون العبد فى غاية العناء .

ولذا ان الشارع المقدس ، اهتم بتوجيه الانسان ، الى الخطوط السليمة ، التى بها يحفظ نفسه ويحفظ اجتماعه وان لايتطلب الانسان المال ، على وجه الافراط حتى يصبح ابنا جنسه ، كالعبيد بين يديه ولا ان يتجنب طلب المال والتوجه اليه بزعمه ان هذا ورع وزهد .

انظر الى مقاله الامام الصادق (ع) فى حق شاب كان يرد عليه كثيراً ، فسأله هل لك كسب فاجاب لا ، فقال له كيف تكثر التردد علينا فاجاب الشاب رغبة فى رؤياك يابن رسول الله فالفت الامام (ع) نظره و قال امضى الى سعدك فسأله وما سعدى يابن رسول الله قال هو السوق والكسب فان به عفة الوجه وعدم الحاجة الى الناس وبذل المعروف مع المعاشرين .

فالكتاب الكريم يلفت نظر المسلمين ان المال به حياة الانسانية وهو خير محض وبركة فى الارض ولكن على الوجه والنهج الذى اراده الله سبحانه وتعالى و اراده رسوله (ص) فاذا طلب الانسان المال على الوجه المشروع من غير تعد ولا ظلم ولا ربا ولا احتكار ولا غلبة على الضعفاء لجلب المال ولا تجميد المال فى غير المنافع للبشرية كان المال خيراً محضاً يسد به حاجة اهل بيته ويعطف به على الرحم والضعفاء ويقيم

به الشعائر الدينية فكله خيرات ومبرات ان سلك الانسان في المال الطرق المشروعة
والا كان المال وبالا على الانسان .

فالمال فتنة واختبار على المخلاق ، كما قال تعالى (انما اموالكم واولادكم
فتنة) وليس المقصود من الفتنة ان المال شر محض وانما المقصود ان المال تجربة و
اختبار لمن اخذه وحازه .

فان سير المال على السنن المشروعة والقوانين الالهية تقلب الانسان من خير الى خير
وسار من فضل الى افضل ومن منزلة الى اعلى فبالمال تسد حاجة الضعيف والفقير
وبالمال يرحم اليتيم وابن السبيل وفي الماأ يأخذ بعواطف اهل بيته وفي المال تقام
شعائر الاسلام وبه تحفظ ثغور المسلمين وبه يقام الجند والعساكر في الثغور الاسلامية
وبه النظام الداخلى والخارجى .

فاذا حسبت حساب المال اذا كان في السير المعتدل وفي نظام العدالة الالهية
وجدت صاحب المال قد كملت نفسه وانبعثت منه الخيرات وتوفرت فيه كل بركة .

اما اذا اخذه من طرق غير مشروعة من الربا والاحتكار واستخدام النفوس
بالقهر واستهلاك الضعيف في ماله والتغلب على الفقراء في اموالهم والرباء على
الضعفاء وجدت المال جريمة من اعظم الجرائم وسيئة من اشد السيئات اذ به
استهلاك المجتمع واستملاك البشر واستثمار منافعهم ، من غير مقابلة ولا مبادلة .

ولذا ان الشارع المقدس قد منع جمع المال من غير طريق العدالة واذا اكثر
المال في يد شخص من غير جهود وتكسب فما هو الامن طرق الحرام .

وعند ما جاء الاسلام لم يجعل من نال مالا من كل طريق ملكه وانما جعل
المال للافراد من الامة بتحصيل جهود الفرد على سنن خاصة وطرق مخصوصة لا
انه يتوجه الى المال بكل دافع وعلى اى طريق حصل فقد سد باب الرباء الذى

به تستهلك النفوس والاحتكار وظلم البشر وعن تحصيل الاموال التي سلب الشارع
ماليتها وجعلها محرمة بحكم المعدومة كمالية الخمر والقمار و ما يتبادل به في
الملاهي و جعل ملكية عامة لولاية الامر و مقام الامامة من اراضي الموت والانفال
وجعل امرها بيد ولي الامر والقابض على ازمة الامور ولم يجعلها بايدي الافراد
المقتدرين لاجل ان يقام بها المجتمع و يقوم بها الناس فيحيون الارض بعد موتها
وقال (ص) من احبب ارضاً ميتة فهي له .

وكل ما كان من وظائف الحكومة الاسلامية وولاية الامر يختص به الولي والحاكم
وانما جعل بيده للحاجات العامة والوظائف التي لا تختص بفرد دون فرد لتكون حياة
المسلم في رافة وراحة وغناء ...

* (الاقتصاد الاسلامى) *

الاقتصاد والبحث عنه

ان الانسان عندما خلق على وجه هذا الكوكب وخرج عن عالم الحياة الاولى و تشكل الانسان بالمنزل و القبيلة والبيئة والقطر احتاج الى النظام الاقتصادى الذى يحفظ به حياته، فتطور علم الاقتصاد الى ان بلغ فى هذه الحياة المهمة الكبرى واصبح علم الاجتماع والنفسيات وعلم الاخلاق والمنزل تابعة لعلم الاقتصاد واصبح علم الاقتصاد على وجه هذا الكوكب هى المهمة التى يقصدها الانسان فى حياته ولا يرى لغير الاقتصاد تلك الاهميته كالاقتصاد حتى اصبح كثير من البشر قد انكروا عقائدهم ومبادئهم الدينية الى التوجه الى اقتصاد ويرون الشرف والقدرة والغلبة هى الحرفة بكيفية الاقتصاد .

ويختلف هذا الفن بحسب اختلاف اغراض الممالك والاقطار والبيئات فللرأسماليين والاقطاعيين سلوك فى الاقتصاد ويرى الاشتراكيون فى الاقتصاد سلوكاً آخر ويرى الشيوعى العالمى والشيوعى فى الممالك الخاصة نظرة اخرى فى الاقتصاد .

وعندها يختلف اختلافاً كبيراً بحسب البيئات والاعراض والقدرة في مملكة
دون اخرى وحصول الانتاج في قطر دون آخر .

وعلى هذا فالاقتصاد ليس له حد خاص ، لا يختلف عنه بل يتخلف باختلاف
البيئات والاقطار والممالك والقدرة في العمل والبطالة وعدم تيسر وسائل الانتاج
ويصير علم الاقتصاد على هذا البيان ، مما تختلف فيه العصور والممالك ، في القدرة
على الانتاج وعدمها وقد عرفه الغربيون بتعاريف .

عرفه «ليونيل روبنز» *Robbins* في بحث ، في طبيعة الاقتصاد و اهميته ،
صفحة ١٦ .

اذ يرى ان الاقتصاد علم يدرس فيه تصرفات الانسان التي تعتبر صلة بين غاياته
ووسائل اشباعه ورغباته وقد عرفه (الفرد مارشال) مؤسس مدرسة «كمبريدج» التقليدية
للعلم بدراسة تصرفات الانسان في معيشته العادية بل يتناول بالبحث النشاط الفردي
والاجتماعي المتصل اتصالاً دقيقاً ، بانتاج واستهلاك الضروريات المادية الملازمة
للرفاهة في الاجتماع والفرد .

وعند ما يراجع الانسان الباحث تعاريف علم الاقتصاد يرى كلا يعرف هذا
العلم ، بما تقتضيه بيئته واجتماعه وبما يحاوله من القدرة ووسائل الانتاج ، في بلده
وقد يحاول في علم الاقتصاد والسيطرة والسلطة على غيره من الممالك والحكومات .
واصبح في هذا العصر الاقتصاد هو اهداف الحكومات وان يهيمن كل شعب
ومملكة على غيره في الاقتصاد ...

* (نظرة حول الاقتصاد الاسلامى) *

ان الاقتصاد الاسلامى لا يسعنا بيانها على وجه التفصيل وقد اوكلنا ذلك الى ما كتبناه فى مباحثه وان الهدف هنا على وجه الاختصار هو الاشارة الى ما اسسه الاسلام فى الاقتصاد و اشار اليه الامام على ابن ابي طالب (ع) فى عهده الكريم .

ان الاقتصاد الاسلامى حقيقة ثابتة ، لا يختلف بالعصور والاجيال ولا يختلف بالحكومات والبيئات ، اذ الاقتصاد فى الاسلام نظام الهى ، يتكفل جميع اطوار الحياة ولا يختص بمملكة دون اخرى ، بل هو قانون للبشرية جمعاء فان الرسول الاعظم (ص) فى رسالته من السماء ، قد تكفل لنظم الحياة ، الى آخر العصور و ليست الشريعة الاسلامية مختصة بقوم دون قوم ولا بأمة دون اخرى ، لان التعاليم التى جاء بها الرسول (ص) تعاليم عامة لكل البشرية و نظام شامل ، لكل النفسيات على ممر العصور .

وان الاقتصاد الاسلامى ، ليس فيه تقديم امة على اخرى ولا قومية ، والنظام

الالهى لايفضل قطراً على قطر ، او مملكة على مملكة ، لان نظرة الله على عباده نظرة واحدة ، نظرة اللطف والكرامة والرحمة والاحسان .

الاقتصاد الاسلامى ، هو جزء من مبادئ الاسلام وقانون من قوانينه وان قانون الاسلام متكفل لانظمة الحياة فقد يبحث الباحث عن الاقتصاد ويعرّيه عن مبادئ الدين .

فانك اذا نظرت الى اقتصاد الغربيين واقتصاد الاشتراكيين والشيوعيين تراه قد تعرّى فى انظمته عن تطورات الدين ، فتراه علماً وتجسماً بصورة لايتشكل باى شكل من مبادئ الدين ولا يرتبط باى بحث خلقى فتجده عارياً عن جهات المبادئ الدينية والخلقيه .

اما الاقتصاد الاسلامى جزء من نظام الحياة ونظام الحياة على وجه هذا الكوكب ، ناشىء عن تعاليم سماوية ، لم يلحظ فيها بيثة دون اخرى ولا جيلا دون جيل ، بل يبتنى على العقيدة الراسخة ، التى لا تحول فيها ولا تغيير وعلى تربية نفسية وعدالة اجتماعية وخلق كريم .

فالاقتصاد يحكى من جانب العقيدة ومن جانب تربية النفس وما فيها من الغرائز والتطورات ويحكى من الجانب الاخر المثل العليا والخلق الكريم .
وان الاقتصاد الاسلامى مرتبط بموضوعية الدين ودروس النفس وكمالها الاخلاقية والمسايرة مع الاخلاق الفاضلة .

ولذا ان الاقتصاد من توابع علم الاخلاق ، فى العالم الاسلامى ولا يتحكم الاقتصاد فى نفوس البشر ، من غير خلق وتربية وعدالة ، من حيث الكسب والعتاء ومن حيث تفنن التجارة والمبادلات والشركات ومن غير عقيدة وعمل يحكى المثل العليا .

فان الاقتصاد اذا لم يبتنى على عقيدة راسخة ونفسية عالية ، لا يقع فى اهمية

من النفوس ولا يتمركز في جبال البشر ولا يحل المثل الأعلى في غرائز المجتمع
فالاقتصاد من مبادئه عقيدة راسخة ونفسية متكاملة واجتماع صحيح على مبادئ الاخلاق
وكرامة الانسان ومالم يتقوم الاقتصاد ، بهذه المبادئ ، فلا يكون الاوسيلة لاستثمار
اعمال افراد او لحماية حزب يقومون بثورة ، او استهلاك للنفوس لافراد القوة والنفوذ...

قواعد الاقتصاد فى الاسلام

الاقتصاد الاسلامى يتبع عدة اطارات .

اولاً- التوحيد وتوابعه من الاعتقاد بالنبوات و ارتكاز العقيدة ، فى عنصر الانسان ، بحيث تأخذ اساساً محكماً للبناء فى عمل المسلمين و العقيدة بهذه الكيفية لها اثرها الخاص فى تربية المسلم وعمق العقيدة المؤثرة فى حالاته ونفسيته .

ولايتقوم الاقتصاد ، بما انه استنتاج المزارع وعمل العامل وحرف الصنایع من غير ان يبتنى على اساس القاعدة فى اعماق القلب والضمير .

ثانياً- ان يبتنى الاقتصاد على نفسية المسلم ، المتوجه الى نفسية صالحة و نفسية كريمة ، قد تبنت على الفضائل وتجنبت الرذائل ، فان الاسلام ، قد سير الارواح والنفوس الى سلوك اعلى وسلوك فى منتهى البشرية ، حتى تقل منه الرذائل او تنعدم وتكون الفضائل قد امتزجت بروحه وعقله والافلاقتصاد لايعتبره الاسلام بما هو صناعة انتاج ومعاملة حرف فقط وانما يراه فضيلة من اجمل الفضائل لنفس المسلم ، بعد ارتباط الاقتصاد بفنون شتى .

ثالثاً- ان الاقتصاد يرتبط باجتماع المسلمين ويكيف حالات الاجتماع على

الوجه الاحسن .

فالاجتمع عند الاسلام ، هو النظام على وفق الاسس الدينية والمثل العليا ،
للمعارف الالهية .

ان الاجتماع الاسلامى ، يكيف روحية المسلم بالعلم والعمل ويصيره وافياً
بكثير من الفضائل ، من الوفاء والصدق والامانة والمساوات والاثرة والتبادل بين
الافراد بالاخلاق الفاضلة والتبادل بعضهم مع بعض بالمروة والاحسان ، حتى يصبح
المسلم مجتمعاً للعواطف الموجبة للمحبة ومجمعاً للعلم والعمل الصالح .

فالاسلام ، فى اقتصاده لايربط اقتصاده بعالم الطبيعة وهل ان عالم الطبيعة يفى
بحاجات البشر ، اولا يفى بحاجات البشرية وعندها فيقع الاجتماع فى اطار ضيق
ودائرة غير واسعة وتحديث له مشاكل يصعب الخروج منها وليس الاقتصاد الاسلامى
متحولاً على وسائل الانتاج منها ومقدار تعديل التوزيع عليها .

الاسلام فى فكرته ودروسه ارقى من هذه التصورات التى يحاول بعضهم سيطرة
الرأسماليين على المجتمع او الماركسيين ، على اموال المجتمع ونفوسهم واطهار
اللطم على صدورهم والبكاء باغاثة المستضعفين وكل هذه المحاولات تنجر الى
قدرة افراد واستهلاك المجتمع لمصالح الحزب والافراد ، اذان النفوس قد جلبت
على المصالح الشخصية والمنافع الخاصة بالافراد او الاحزاب .

ولما كان الاسلام ارقى فكرة ، واعلى تصوراً ، اراد ان يجعل المجتمع فى
حدود ثلاثة ، حد يخص الفرد والافراد ، وحد يخص الاجتماع وحد يخص الدولة
الاسلامية ، ولا يتعدى افراد كل صنف من الثلاثة على الاخرين فليس للفرد حق
التعدى على المجتمع وليس للاجتماع الافراط ، بحدود الافراد ، وليس للدولة
الاسلامية الضغط على الاجتماع ، ولا استهلاك الافراد ، وان كلا يتمتع بحرية كاملة
فى حدودها ، فالحاكم يتمتع بالهيمنة على النوع والافراد بوجه صحيح والاجتماع

يتمتع مع الدولة ، بمصالح نوعية ، لاتضر بالافراد ، ولا تضيق دائرة الدولة ، و
لاتسلب هيمنتها المشروعة لها .

وانت اذا فكرت فى واقع الامر تجد ان حالات البشر فى كل عصر ينحل
الى عناوين ثلاثة ، فى كل مملكة ودولة ، حالة فردية كتاجر ومالك وعامل وزارع
وحالة اجتماعية ^{وكرميه} كعنوان هذه المملكة ومجتمعها غير مجتمع المملكة الاخرى .

وان الاجتماع لا يحفظ والافراد لا تتكامل فى جهتها الاقتصادية الا اذا حفظ الفرد
بحريته ولم يضايق الاجتماع فى انطلاقه وادارته وانه لا يصح من حكومة او اجتماع
ان يسلب حقوق الفرد ويذهب جهوده وان تلك الجهود التى انتجت منافع الطبيعة
وان الفرد الذى قاوم الحر والبرد والاسفار والاختار فى البر والبحر ان تأتى له
الدولة وتذهب جهوده ولا يستفيد من جهوده ثمرة من الثمرات ويرى ان نتائج اعماله
وزحمات حياته قد آلت لقوم آخرين وانتفع بهامن لايقاوم الحر والبرد وكيف يرضى
العاقل الشاعر ان تكون جهوده تضحية لقوم آخرين و هذا مما يوجب الكسل فى
المعاملات والتجارات والزراعة والفلاحة .

ومن الواضح ان كل انسان وفرد قد جبل على حب الذات وابرار شخصيته
واظهار مجد كرامته وكرامة المجتمع .

واحد موجبات الكرامة والشخصية ان يتقدم الى ميدان الحياة ويعمل بجهوده
لنفع نفسه وابرارها الى المثل الاعلى وان كتهت نفسه وكرامته فقد اصبح عاملاً وآلة
متحركة بيد غيره لا يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً .

فالاسلام بقانونه المطابق لعلم النفس والفطرة لا يمكن ان يطلق الفرد على ما
تقتضيه شهوته وميوله حتى لو اضرب بالاجتماع او بالآخرين ولا يريد ان يسلبه كرامته
وشخصيته ويجعله حيواناً مسخراً أو آلة بيد غيره من غير اختيار، كل ذلك مما مضى
الاسلام لمنعه وتحريمه، هذه حالة الاسلام مع الفرد .

واما حالته مع الاجتماع فقد اثبت له حقوقاً واطاراً واسعاً وحفظ جميع
جهازاته المادية والمعنوية .

والاسلام قد جعل الاجتماع بمنزلة عالية ومرتفع رفيع فاذا نظر الانسان الى
ما عمله الاسلام من الحقوق للاجتماع وجده قد رفع منزلته واحكم كيانه و
مكنه من الفرد بحدود خاصة .

وبكلمة موجزة ان الاسلام قد بنى على ملكية الافراد و الاشخاص بحدود
خاصة وبملكية للمجتمع من الفقراء و رجال العلم و ابن السبيل و كل مستضعف
فله ملكية نوعية يعبر عنها الشارع بالزكوة و خمس السادات و سهم الامام و رد
المظالم ومجهول المالك، فان هذه هي المصارف الاجتماعية لحفظ الضعيف والاخذ
بيد المستضعف وان يعيش بعيشة سامية كسائر الامة في معيشتهم من الاقتصاد الذى
لا افراط فيه ولا تفريط و ملكية راجعة للهيئة الحاكمة التى تداربها شئون المملكة و
حفظ المجتمع و الجهاد فى سبيل الله و حفظ الثغور الاسلامية و جميع شئون الدولة
من احياء ارض الموات و المال من الاراضى الخراجية و سيف البحور الى غير
ذلك من الانفال التى ترجع الى الحكومة الاسلامية .

وليس معنى الحاكم فى الاسلام الامين على تحقيق اهداف الاسلام ومصالحه
فقد جعل الاسلام الملكيات الثلاثة من غير تزام احدهما الى الاخرى ليحصل
الهدف من الحكومة الاسلامية والنوع والافراد .

نظرة حول الفوارق بين الاقتصاد الاسلامى وغيره)

ان الاقتصاد الاسلامى ، كما اوضحناه جزء من كل ، فى الشريعة الاسلامية و
كما افهمت الشريعة الناس العقائد من التوحيد والنبوة والامامة والمعاد ، افهم الاسلام
الانسان ان الاقتصاد ، لابد ان يتبناه المسلم ذى العقيدة الصحيحة .

وكم للعقيدة الصحيحة الاثر العظيم فى تربية النفوس والاقتصاد وفى تحكيم
اسسه القويمة ويمتنى الاقتصاد على عدالة المجتمع وحفظ مبادئهم الاسلامية .

قال الامام الصادق (ع) حين ما سأله السائل عن الدين فقال (ع) الدين هو
المحبة بينك وبين الله وبينك وبين الناس فان احببت الله ، اقامت حدوده و اطعت
اوامره وانتهيت عما نهى عنه وان احببت الناس ، قمت بحقوقهم وقاموا بحقوقك ،
فلا تتعدى عليهم ولا يتعدون عليك .

ان الاقتصاد الاسلامى ليس مذهباً مستقلاً ولا مبداً برأسه ، من غير نظر الى
نواح اخرى ، ان الاقتصاد الاسلامى جزء من كل والكل هو الدين بانظمته ، من
توحيد العقيدة والايمان بالرسول والاعتقاد الجازم بيوم البعث والنشور وان الله سبحانه
وتعالى يوقف العبد على اعماله وعلى حسناته وسيئاته ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً

يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، يوم تشهد على الانسان جوارحه ويشاهد اعماله منذ البلوغ حتى الموت وهذه العقيدة اذا رسخت فى النفس الانسانية ونظر اليها كالمشاهدة وكأنه يعاينها معانية المشاهدات الخارجية ، كان لها الاثر العظيم فى نفسية الشخص واعماله وتكون نفسه رقيقة على اعماله ، من غير حاجة الى رقيب آخر يواجهه فى الاعمال ، ثم يأتى اطار التعليم فى القانون الاسلامى ، فيشاهد تلك الاحكام قد بنيت على قواعد لا تتغير بالاجتماعات ولا بالميول والانفعالات .

وإذا لم ترسخ العقيدة والاسس الاقتصادية فى الاسلام حاول كل فرد الغلبة على المادة عن الاخرين ، او توجهت قوى ولاة الامر على الناس ، بجلب اموالهم ، كما صنعه الماركسيون .

واعلم ان القانون الاسلامى ، قانون عدل وميزان حق ، يرى الفرد حريته الكاملة فى التكسب والعمل ونتاج ما يستفيدة من طبيعة الارض ويرى ان جهوده غير محاطة بالضغط والاستعمار ولا يراها مستهلكة لقوم آخرين ، فىرى ما اعطاه الله من القوى قد استفاد منها وعاد النفع اليه من غير استملاك ، او استهلاك من غيره .

وان كل انسان اذا رآ ، ان متاعب حياته ، قد استفاد منها منافعاً فى المعيشة والاخلاق والتربية والتعليم ، كان ميله الى الانتاج شديداً .

وهذا بخلاف ما لورأ ، ان زحمات الحياة التى بذلها فى مدة طويلة من العمر ، قد استغلها قوم آخرون بالفهر والغلبة فانه يرى ان حياته قد ضاعت وذهبت ادراج الرياح ، فهو يحقد وينكر على كل من ضغط عليه وسلب جهوده ، فهو يتربص الفرص ، حيناً بعد حين ويحقد على كل من سلب جهوده واذا سنحت له الفرص و المقادير ، فمأخذ الدرهم من هولاء بدينار و هذا بخلاف اذا كانت منافع جهوده تعود اليه ، هذا حال الملكية الشخصية والافراد العاملين لاجلها .

وإذا نظرنا الى طبقة المعوزين والفقراء والارامل والايتم ومن بهم المعاهات والامراض ، فيقطع الباحث فى الاقتصاد ان الاسلام ، يعين على ولاة الامر والقائمين على شئون المسلمين ، ان يأخذوا اموالهم الحقوق الشرعية ، من زكاة وخمس ، ورد مظالم ومن مجهول المالك ، مايسد حاجات هؤلاء الفقراء والمحتاجين من حيث المعاش والكسوة ومن حيث الصحة والنفقة .

فان الاسلام قد رتب ضرائب وماليات ، لاتضر بملكية الافراد ، بل تحدد تلك الملكية وتسد حاجة المحتاجين وتحفظ الاجتماع ، لان الاسلام عند ما تراجع قانونه تراه وقدسد ضعف المستضعفين وجعلهم فى مقام المعاش والحياة فى الدنيا ، كالاغنياء فى سد حاجاتهم وعدم احتياجهم الى التذلل والمسكنة ، فبالملكية الشخصية حفظت جهود الافراد وبالملكية النوعية والحقوق العامة ، حفظ خطر الاجتماع .

ثم انظر الى ماوراء ذلك ، ان الاسلام قد جعل ملكية للدولة ، من الاراضى الخراجية واستخراج اراضى المعادن والغابات والانفال والموات ، وما يحصل من الغنائم فى الجهاد وما يصلح عليه ولى المسلمين ، او ما كان عامراً حين الفتح ثم صار مواتاً وما خرج اهل الاملاك عن املاكهم وتركوها بواراً ، فهذه كلها ترجع الى ولى الامر ونظام الدولة ، ليحفظ بها الافراد والاجتماع .

وهذه الملكية الثالثة التى بها يحفظ النظام بين الراعى والرعية والتوازن بين الاجتماع والافراد والحاكم والمحكوم ، ولم يجعل الشارع المقدس ، بيت المال ثروة للولاة ولا حياة للقواد ولا ثروة لوجوه الناس .

انما جعل بيت المال ، لادارة الجيش والتربية والتعليم وللمعارف الاجتماعية ولسد حاجات الاقتصاد ، عند ضعفه وحفظ الثغور لحياة الامة ، فيؤدى للزراع ما يحتاج اليه وللعامل ما يقوم به للعمل وللفقراء والمحتاجين ، اذا لم تقم به الملكية

الاجتماعية .

فترى تعادل الملكيات الثلاث من ملكية الفرد والاجتماع والدولة ، ما به يحفظ شئون الافراد والاجتماع والدولة وعند ما حدد الشارع ملكية الفرد ، فمهما بلغت فى الفرد المنافع ، لا يصل فى الملكية الى الرأسماليين ، لان الشارع المقدس قد حدد ملكيته بحدود ، لا يتجاوزها ، فان الشارع قد جعل عليه ضرائب من الزكاة والخمس ورد المظالم والكفارات .

وبعد ذلك رجح له والزمه فى وصيته ، ان يوصى بعدموته فى ثلث ماله وليس مصرفه الا فى الاجتماع من بر الفقراء ومساعدتهم والبذل فى القناطر والجسر والطرق العامة والمصالح النافعة بالمجتمع من اهل بيته وغيرهم ، واداء الواجبات عنه بعدماتته وكل ذلك مما يخفف المادة ، حتى لا يبلغ الرأسمالية والاقطاعية .

وترى ان الملكية الشخصية والنوعية و ملكية الدولة كله للصالح العام وتنظيم السير فى المعاش ، على احسن الوجوه ، من غير ضغط شيوعى ، ولا استبداد كالرأسماليين . وان الاقتصاد الاسلامى يبتنى على الاتصال بعلم النفس وبروحية نظام الاسلام لان الاقتصاد الاسلامى ، كما تنظمه العقيدة تنظمه ايضا ما فى النفس من الصفات الفاضله . وقد عرفت مناسبا ان النظام الاسلامى ليس مجرد اقتناء المادة من اى طريق كان بل المادة القائمة عن العقيدة الراسخة فى الضمير وعلى الفضائل النفسية التى يكون الاقتصاد مظهر آمن مظاهرها ومثل عاليمه للنفس و كما يقوم الاقتصاد على الاسس الشرعية يقوم ايضا على روحية الفضائل النفسية ويقوم فى المرحلة الثالثة على تطبيق تلك الاحكام الشرعية فاذا طبقها تطبيقاً صحيحاً فيقوم الاقتصاد على دور رابع وعلى مرحلة وراه العقيدة وفضائل النفس وتطبيق الاحكام .

ويرتبط علم الاقتصاد بعلم الاخلاق الذى هو السلوك للنفس والمثل العليا ولذا ان الشارع المقدس لم يحسن للبايعين والمشتريين النفع الكثير بل رجح لهم النفع القليل ليديم العمل وتسرع الحاجات فى نفقاتها .

هذه هي الموازين التي قام عليها الاقتصاد من المراحل الاربعة من العقيدة
الراسخة وفضائل النفس وتطبيق الاحكام وجرى الاقتصاد على علم الاخلاق والقانون
الذي جعله الشارع المقدس في الكسب والتجارات .

واما الاقتصاد على المذاهب الاخرى ، فيرونه مذهباً لا يرتبط بالعقيدة ولا بعالم
النفس والاخلاق ولا بعالم البيئة والاجتماع ويرونه وهو الاساس بالحياة .
وان العقيدة والاخلاق والكمالات النفسية وعلم الاجتماع والوطن كله يتبع
علم الاقتصاد .

وسياتى منا توضيح هذه المباحث من مهمات الرأسماليين والاشتراكيين و
الشيوعيين وانهم يرون عند الحقيقة ان الحياة رهينة الاقتصاد وان الاجتماع والعقيدة
والاخلاق والكمالات النفسية ، تابعة للاقتصاد ، سواء ارجعوا اطار الاقتصاد الى
افراد معينين وهم اصل حركة التجارة والعمل ومنافع الارض وهذا مسلك الرأسماليين
او يرجع كل شيء من الملكية والمالية وكلما يفرضه الاقتصاد ، تابعاً للحزب من
الاشتراكيين والشيوعيين .

فالاقتصاد الاسلامى يبنى على العدل الكامل بروابط الاخلاق الفاضلة ورسوخ
العقيدة ، بحيث يحترم نفسه ويحترم غيره وكما يحترم جهود نفسه يحترم جهود غيره...

* (اخطار تحف الاقتصاد الاسلامى) *

انك اذا نظرت السى الاقتصاد الاسلامى وجدته قدسد ثغور الاخطار التى تتوجه عليه ، من الربا والاحتكار وبيع الغش والتدليس والمعاملة بالمعيب والغبن فان الشارع المقدس حرمها ولاسيما الربا ، فانه خطر على الاجتماع .

فكم من دولة عظيمة استأصلت دولاصغاراً بالربا ورب رجل من الرأسماليين استأصل منطقة وارض زراعية ، من ايدى الفقراء والعاملين .

وان خطر الربا واسع على الناس ، فرب رجل ترك وطنه وبيته واطفاله و عياله ، لما احاط به من الربا المستأصل لثروته وماله ، فمنع الشارع عن الربا وعن الاحتكار وعن كل معاملة ، توجب ضعف الاجتماع وحققت بعضهم على بعض واستهلاك افراد المجتمع كله .

وان الشريعة الاسلامية ، قطعت جذور هذه الامور وجعلت الانسان حراً فى معاملاته ولاستهلكا لاشخاص من تجار ، او ولاة امر ، فدفع هذه المشاكل ، كلها وقلع جذورها وجعل الانسان منتفعا بجهوده ومنافعه ومن الواضح ان مشاكل الربا فى كل امة ، مما يوجب انهيار الامة واضمحلال اقتصادها .

وقد اخذت الدول الكبار ، ذوات الثروة على الدول الضعاف ، ان اقروضهم

بالرّبا ، حتى استأصلوا قوتهم ونتاج اعمالهم فاستأصلوا ثروات الدويلات الصغار
واستحكموا بهم حكم السادة فى العبيد .

ان الاسلام لا يملك المال لشخص الابجوده ومتاعبه ولا يملك الاسلام مالا
من غير جهود ولا يجوز استملاك مال من طرق غير مشروعة ، كالغش والتدليس
والقبن والاحتكار .

وان هذه الامور التى نهى عنها الشارع مما تسلب كرامة الانسان وشرفه فى
الاجتماع وانحطاطه الى عالم الوحشية والقسوة وارتكاب كل رذيلة .

وقد ورد فى السنة واحاديث اهل البيت ، الحث على التجارة وطلب المال
الحلال والرفاهية فى العيش ، عن المعلى ابن خنيس قال رآنى ابو عبد الله (ع) و
قد تأخرت عن السوق ، فقال اغد الى عزك وعن ابي عبد الله (ع) قال تسعة اعشار
الرزق فى التجارة وعن النبى (ص) قال تسعة اعشار الرزق فى التجارة و الجزء
الباقى فى السائبة يعنى الغنم وقال الصادق (ع) لمعاذ يامعاذ اسع على عيالك واياك
ان يكونوا هم السعاة عليك وعن ابي عبد الله (ع) عن آباءه قال قال رسول الله (ص) نعم
العون على تقوى الله الغنى وقال الصادق (خ) غنى يحجزك عن الظلم خير من فقر
يحملك على الاثم وانت اذا راجعت كتب الحديث وجدت ائمة الهدى قد حثوا
شيعتهم على التكسب والغنا من الطرق المحللة والملائمة لاصلاح المجتمع من غير
تعقيد ولا طرق توجب انهيار المعاش بين الناس ...

* (الملكية في الاسلام) *

ان الملكية في الاسلام لم تؤخذ في عالم الافراط ولم تهبط الى عالم التفریط بل نظام لا يكون المادة الى حد التكاثر وجمع المال ، من غير فائدة ولا يجعل المسلم فقيراً ذليلاً سائلاً من غيره وان لاعزة له ولا رفاهية ولا راحة .

فالاسلام قد سد ثغور تكثر المادة من غير وجه وقد اخذ بيده الى اوج الراحة والرفاهة والغنى ، قال النبي (ص) كاد الفقر ان يكون كفوياً .

واذا نظرت الى كثير من الناس ، لا يفهمون الاقتصاد الاسلامي ولا الملكية ولا الحقوق في هذه الشريعة ، فترى بعضهم يتهجم على من كثر ماله واسترق العباد بماله وظن ان المسلم من كان في معيشته في غاية الضعف والفقر ترى بعضاً يحاول كثرة المال وجمعه وقد جعل الاسلام للملكية قواعد خاصة ، بحيث لاتصل الى حد الاسراف في جمع المال ولا الى حد يختار المسلم في معيشته في بيته واطفاله واتخذ بين ذلك سبيلاً .

وان الاسلام ليس فيه الثروات التي توجب الاسراف وتكدس الاموال وجمعها من غير انتفاع للاجتماع وجمود المادة ولا ان المسلم يعيش ذليلاً للامم محتاجاً في ادارة بيته للقوت وان لا يملك شيئاً الا بمقدار ما يضطر ويحتاج اليه .

فالإسلام غنى فى دينه غنى فى اقتصاده غنى فى اجتماعه على الوجه الانم
الذى فيه الراحة والرفاهة من غير تبذير ولا فقر .

وسياتى مفصلا على ممر الايات ، من بيان الملكية فى الاسلام والحقوق و
المالية وشؤونها وملكية ولاة الامر والمنافع العامة والبذل على الضعفاء بان لا يكونوا
فى حاجة ولا سوآل وان يعيش الفقير كالغنى وان لم يكن له مال .

فالملكية فى الاسلام لها شئون واطوار ، بهيتم النظام الاقتصادى والاجتماعى
وبها يحصل النفع فى الدنيا والاخرة ولكن قد اخذت الامم بحد الافراط والتفريط
فترى الغربيين همتهم جمع المال والثروات وجعل افراد الناس ملكاً لهم من هذا
الطريق وترى بعض الشرقيين ممن يريد ان الانسان تحت نظارة القوة ، فى اكله و
شربه ومرضه وعلاجه وارادته ، فالناس بين متهور فى المادة وبين مستهلك ، لا يرى الا
الحاجة الضرورية.

واعلم وفقك الله ، ان الاسلام دين العدالة ، فقد قنن قواعد للاكتساب و
الاقتصاد ، من غير اجحاف من امة على اخرى ولا من قوم على قوم آخرين ، لان الدين
الاسلامى وكل دين سماوى ، لا اجحاف فيه ولا اضرار و كما ان الدين هو الطريق
المستقيم والصراط القويم ، فلا يمكن ان يجعل الملكية على اطلاقها بان يمتلك
الانسان العقارات والبيوت والاراضى من الزراعات وغيرها وتحصيل المال من اى
جهة كانت فان هذا خلاف القواعد الاسلامية لانه يوجب الضغط على كثير من الناس
وسلب راحتهم فى الدنيا ، فلا بد ان يقيم قانوناً وعدلا فى قواعد لاجيف فيها ولا ظلم
على الاخرين .

و اذا نظرت الى القانون الالهى وجدته لا يجوز جمع المال من اى طريق

كان ولا يكون كسبه مستهلكاً لمعيشة الآخرين فهو اعتدال فى الكسب والمعاش و استقرار النفوس .

ومن هنا كان اسلام لايجتمع ولو فى بعض قواعده ، على قانون الشيوعية التى اصبحت ان لاملكية لاحد وانما الملكية لزمرة قابضة على ازمة الامور وبقية الامة لااختيار لها فى جهودها ولا تنتفع من صناعاتها وكسبها شيئاً وامست الامة كحيوانات بايدى مستهلك لها وجائر على افعالها وهذاخلاف العدل الانسانى فضلا عن عدل الشرائع ، فان الشرائع قد اقيمت الراحة البشرية ، فى الدنيا والاخرة وان هذه الامة التى احتكرت اموال الرعية وجعلتها فى منافع بعض المأمورين ، مما لا يرضى به العقل السليم ولايتقبله الطبع المستقيم ، لانه من مراتب الظلم ، بل ومن اشدها ، حتى ان هولاء سيطرواعلى اموالهم وعلى مكاسبهم وعلى آرائهم بحيث ان الانسان لايتصور نفعالنفسه وانما هو فى حالة جهاد ودفاع لتبقى نفسه فى الحياة على ذلة من العيش وانه مسخر لغيره ، فلا عقل عنده يستعمله ولاارادة يوجهها الى اى اتجاه وهناك قوم آخرون استغلوا الاموال واصبح كل واحد منهم ذو ثروة طائلة حتى يعجز بعضهم عن عدها .

فمنهم الاقطاعيون ومنهم التجار المعروفون بالرأسماليين واصبح الناس فى ايدى هؤلاء عمالا لايعيشون الاعيشة فى ضيق مسخرين لهؤلاء ، يعبدونهم من دون الله ، فاذا خالف احد من عمالهم ، نزلت عليه النقمة واقاموا عليه التنكيل .

ولما جاء الاسلام ، سد البابين ، من الثروة الطائلة التى تؤدى الى تمرد النفس والى استهلاك النفوس ، فأخذ طريق الاعتدال واصلاح المجتمع والفرد واصلاح كل طبقة بمايخصها ، من غير اجحاف ولا اسراف ، فجعل الانسان يملك ما جاء من

جهوده و يملك نتائج اتعابه من غير ان تستهلك نفسه واعماله وجعل عليه وظائف شرعية تحدد ماليته وملكوه وتجعله فى نطاق وسط وسير معتدل و اوجب عليه الزكاة والخمس ورد المظالم والتصدق بمجهول المالك ، ثم ارشد الى صلاحه بعد الموت باخراج ثلثه لاداء واجباته ومساعدة الضعيف من الفقراء والارامل وابن سبيل .

وانت اذا نظرت الى هذا القانون وجدت ان المسلم لا يكون من القسم المعبر عنهم بالراسمالية ولا من القسم الاخر المعبر عنهم بالشيوعية ، فان الثروة مهما كثرت فهى محدودة بجهود الانسان ومتاعبه ، حيث حرم عليه الاحتكار وسرقة اموال الناس وغصبها بالقوة والتملك ، من غير سبب ثم جعل عليه ضرائب شرعية من اخراج الزكاة والخمس ورد المظالم ومجهول المالك ثم رتب عليه اخراج الثلث بعد الموت كل ذلك مما يمنع من استطالت الثروة وبلوغها الى حد الافراط فاذا اخرج الثلث بعد الموت واخرج الحقوق الشرعية التى ذكرناها ، لم يكن له الا النصف او اقل منه مما اكتسبه فى مجموع حياته وياكل هو النصف فى زمان الحياة واهل بيته ، فلا يبقى الا شيئاً يسيراً ، يعيش به اليتيم من اولاده من بعد موته ويستعين بها الكبير فى نظام معاشه .

فلاسلام بما بيناه يقطع دابر الاقطاعيين والمسرفين والمحتكرين والغاصبين لاموال الناس ويقطع مادة الاستهلاك البشرى بعضهم لبعض .

وعلى اهداف الطائفتين من الراسماليين والشوعيين يصبح الانسان حيوانا مسخرا بايدى اناس لهم السطوة والثروة وتصبح حياة الانسان فى قلق وضغط يتربقب الانفجار يوماً بعد يوم ويتمنى الراحة والسعادة ساعة بعد ساعة .

فالإسلام قطع دابر هؤلاء و منع أيديهم عن الاستهلاك و الاستعمار و عن
التصرف في الاستثمار و هو قانون الله في أرضه و عدله في برئته لا اجحاف على
احد و لا ظلم من احد على غيره ولكن الناس تركوا قانون الله و دروسه و تبعوا
شهواتهم و ميولهم و ساروا على نهج غير مستقيم و على صراط غير قويم ...

* (الاسلام والماركسية) *

ان ماركس لما جاء الى الاقتصاد وتوجيه الشيوعية بنى اقتصاده على نفسى الموجد والمخالق وارجع الامر الى الطبيعة وقوانينها وان الانسان فى حركاته و اقتصاده مسخر للطبيعة واعتقاده ان الشعوب لم تتقدم ولم تبلغ اوجها ، الامن ناحية الاعتقاد بالله الذى يوجب اضطراباً وتحيراً وخوفاً للنفس حتى صرح «ماركس» و اصحابه ان الدين افيون الشعوب وزعموا ان لابد من الخضوع لعالم الطبيعة ونظامها ولكن مع هذا كله تراهم يوماً معتنقين لرأى ماركس ويوماً لرأى «لينين» واستغلوا الثروة بصوت عال وهو انقاذ الضعيف والاخذ بيد المظلوم على ما هو طبيعة المحتالين من اخذهم الشعوب والسيطرة عليهم وعلى ثروتهم ومادتهم باسم الاستجابة للمظلومين وبأخذ ايدى الضعفاء وانقاذهم من الهوية .

والفلسفة الماركسية تقيم الفكر على المادة وتبنى استخلاص معانى الحياة ممن ينبوع التطور المادى وحده وانسى لهذه الفلسفة الماركسية الجامدة ان تنقذ الانسان من الهوية او تحقق له فى حياته كرامة وشرفاً وعزاً وسعادة وان الحقيقة الواقعية الوحيدة عند ماركس هى ذلك العالم المادى الذى تدركه حواسنا ونتمى اليه

جميعنا وليست المادة ثمرة الفكر ولكن الفكر ذاتاً اسماً من نتائج المادة وقد تبني هذا الرأي عن «فويرباخ» .

فالجدل الماركسي ينظر الى الطبيعة ، لانها اشياء اجتمعت صدفة ولا على انها ظواهر منفك بعضها عن بعض ولا مستقل بعضها عن بعض ، بل الكل واحد متناسق ترتبط فيه الظواهر ارتباطاً عضوياً يعتمد بعضها على بعض على نحو ان تكون مرتبطة تمام الارتباط ، متلازمة في غاية التلازم .

وليس في وسعنا ولا في نظرياتنا ان نصل الى هذا الواقع في منبعه ومقدورنا ان نستخلص قوانين تلك الطبيعة وفي رأيه ان الطبيعة دائماً في صراع وبين دافعين متضادين .

ومن هنا نجد الماركسية تضعنا في حيرة لانها تجعل التناقض اساساً للواقع وتنطوي المادية الجدلية على المادية التاريخية ، ذلك لان المادة هي مبدء الكل .

ومن هنا فالمدار عندهم على تطور المادة لاعلى تطور الفكر والعقل وهذا هو الذي يتحكم في العالم بنظرهم وان الميزان هو تطور الانتاج وهو اساس تطور المجتمعات وتطور التاريخ الانساني ، فالعوامل الاقتصادية هي التي يمكن ان يفسر على ضوءها عندهم تطورات المجتمع الانساني .

فالانسان ينفق معظم وقته في العمل لكي ينتج غذائه و يصنع كسائه ويبني مسكنه و هو في عمله يستعين بادوات خاصة وكلما تطورت هذه الادوات تعدلت العلاقات الجارية بين الناس و يترتب على ذلك اختلاف العلاقات الاجتماعية و تباين «الايديولوجيات» وعلى هذا الاساس يتطور التاريخ و يتفرع صرح البناء القانوني والسياسي وطريقة الانتاج في الحياة المادية تحدد بوجه عام النشاط الاجتماعي و السياسي والعقلي والتوجهات النفسية في حياة الانسان على هذا الكوكب و ليس المضمير الانساني هو الذي يحدد طريقة وجود الانسان .

واما فى المجتمع «البور جوازى» او الرأسمالى، فوسائل الانتاج هى المصانع،
والعامل عند الرأسماليين، رق وفقير معا، فهو مضطربان يبيع طاقته فى العمل و العامل
شأنه شأن العبيد والرقيق وان المال هو الذى يجعل للناس قيمتهم .

واما على نظام الشرع و الاسلام ، فقد رتب الاقتصاد على فلسفة الواقع و
حفظه بنظام لا يتغير ولا يتبدل من غير ان يكون عنوان الاشتراكية او الرأسمالية او
الماركسية مقصودة ، وصيره الشارع المقدس على نظام الاخلاق وكرامة النفس ،
فان المال وسيلة للمصالح وليس هو المقوم للحياة وان المقوم هو النظام الالهى الذى فيه
ترقى النفس ووجهها للسعادة .

وقد اعترف « انجلز » مع انه من اقطاب الشيوعية ان ماديته ، ليست مسادية
مطلقة ، كما يزعم ماركس واصحابه ذلك .

وان الشرائع السماوية ، قد رسمت للناس صراطاً مستقيماً ، يقيم لهم الخير
و يجنبهم الشر والسوء ، ووصفت لهم نظاماً فى الحياة ، يمثل اعلى القيم واسماها
ولكن الناس تركوا ذلك تحكيماً لشهواتهم و نزعاتهم لاستبداد نفوسهم ، لعوامل
الطمع والجشع والغرور ، للسيطرة والتحكم على النفوس ، وقد تركوا الرحمة
باوسع رحابها ، وجعلوا الشرائع خلف ظهورهم ، ولوان الناس سلكوا طريق
الحق واهتدوا بهدى الشرائع والاسلام لكان الناس صفا واحداً و مجتمعاً صالحاً ،
لا يعمل القوى قوته على الضعيف ولا يسترى الضعيف ويكون عبداً للقوى ، وكان
الناس احراراً متباعدين عن القوانين الجائرة و المغالبات فى اطوار الحياة ، وما
اصبح الانسان ينتقل من ازمة الى اخرى ، ويسد ابواباً على غيره ، ويفتح ابواباً
لنفسه ، وما اصبح الانسان قائماً على التشاجر والخلاف وحب السيطرة والتحكم
على الناس ، كل ذلك لانهم جعلوا قانون الله خلف ظهورهم ، ظنا منهم ان ينالوا
الكرامة والسعادة ، بهذه الطرق الملتوية ، واتخاذ الصفات السبعية .

ولكن الشيوعية ، وعلى رأسهم ماركس اولينين ، لايقبلون النهج على الصراط المستقيم ، فانكروا الضمير الانساني ، وما تنزلوا الى النظام الالهي ، و ما علموا ان القوى الروحية ، والدروس الالهية ، تشكل نظام العدل والاحسان ، حتى يصل الانسان الى اعلى المثل ، و ان الشيوعية يعللون احداث التاريخ و وقائعه ، بتفسير مادي .

وانت اذا القيت نظرة ، وجدت الشيوعية والرأسمالية تقضى على نفسها بنفسها ، ولايمكن ان يتمشى البشر على نهج العبودية لحزب اولافراد .

فهذه الاحزاب من شيوعى وااشتراكى متطرف ، اورأسمالى جمع متاعب العمال واخذها ثروة له ، هو مما يقضى على نفسه ، ولذا ان ماركس بعد موته ، لم يعملوا على نسقه ، وانه دائماً يقع الاجتماع تحت ضغط افراد الشيوعية من الحكام ، او تحت ضغط افراد لهم الثروة فى البلاد وهذا مما يقضى به عليهم ، مالم يكن للفرد كرامته ، والافلايندفعون الا بالغضب والغلبة على العمل ، فهم وان حافظوا بنظرهم على الافراد ، ولكن قضاو عليهم من طريق استهلاك الثروة لجمعية خاصة واين تذهب الملكية ، فانها ان سلبت عن جماعة ، صارت من الصفات ، لجماعة من حزب ، اولافراد لهم الثروة هذا حسب سير البشر .

واذا كان الفرد قد فقد ثروته ، فلايدفعه الدافع الى جمع المال ، الاعلى وجه قسرى ، وانظر الى حكمة الاسلام ، حيث جعل للفرد ملكية ، وجعل للحكومة ملكية اخرى ، وجعل للمجتمع ملكيات متعددة وجعل الملكيتين من الحكومة و الفرد ، فى تصرف واستقلال من غير مزاحمة لاحد عليهم ، ولكن عند الخطر على المجتمع وافراد المملكة جعل المعونة من مالية الحكومة والفرد فى حفظ النظام الاجتماعى .

كل ذلك لحفظ الاجتماع والفرد ، ونظام ولاة الامر ولكل واحد من هذه الاصناف الثلاثة اقتصاد يخصه ، وبه يحفظ نفسه ويحفظ غيره ولذا ترى قد تحولت الرأسمالية ، الى عمال غير مستهلكين ، وذهبت الشيوعية واصبح الشعب منتقماً منهم وحاقداً عليهم يتربص بهم الدوائر والفرص .

اما اذ رأيت الاسلام فى اقتصاده ، رأيتة قد توجه الى سد الثغور التى توجب انهيار الاجتماع ، وانه لاحظ الامور التى توجب حفظ الطبقات وعدم التعدى عليها وان ادنى طبقة وهم المحتاجون والمستضعفون قد تمت حاجاتهم ، و استكملت معيشتهم ، واصبحوا بقانون الاسلام فى رفاهية من العيش ، اذا عمل المسلمون بجميع طبقاتهم على طبق النظام الشرعى ، ولذا ان احاديث السنة ، فى باب التجارة تؤمى الى ما بيناه من التكامل والتساوى وحفظ الحقوق و الوفاء بالعهود بما لامزيد عليه تركنا تفاصيل الاقتصاد و بيان الردود على الشيوعية والرأسمالية و اشرنا اليها اجمالاً وارجاعاً لما كتبناه فى الاقتصاد مفصلاً ...

* (هدف الاسلام واهداف الدول) *

ان الهدف الاسلامى فى نظامه ودولته ، ان يكون المشرع هو الله ، العالم باسرار التكوين والبيآت ، وهو المحيط برغبات النفوس وميولها .
والاسلام يهدف الى نفي الطبقات ونفى ان يكون الشعب هو الحاكم ، لان الميزان فى النظام الاسلامى ، هو التساوى فى الحقوق ، و لحاظ البشر بلحاظ واحد ، وحفظه فى النشاطين ، وان الله خلقهم على وزان واحد لا تقديم فيه من احد على احد ولا بيضة على اخرى ، ولا ابيض على اسود وانما التقدم بالفضيلة من العلم و التقوى ، و هذا يتنافى مع النظام الديموقراطى فانه وان صرح اهل هذا النظام ، بان الحكومة للشعب .

و لكن هذا مما يوجب ان يكون من خالف الشعب ، ممن هو اعلى منهم رأياً ، و اوصل منهم ثقافة ، ان تذهب حقوقه ، و تقع حياته فى الاخطار ، ولا يتخذله رأى ، وان الرأى للسواد من الناس و ان الاسلام لم يجعل نظاماً الانظام الفضيلة والعدالة ، فى كل الطبقات ، وعدم امتياز احد على احد ، فالكل خلقه وعباده ولكل فرد على غيره حق ، والله على الناس حقوق .

وهذا المعنى لا يتمشى فى الديموقراطية ، ولذا يتبدل رأيهم فى عصر بعد

عصر ، و نظامهم فى جيل بعد جيل .

وان الاسلام يتنافى مع النظام « الاستقراطى » الذى اسسه فلاسفة اليونان ، وجعلوا العلم والحكم والفضيلة تختص بطبقة دون اخرى ، وجعلوا كل افراد الامة هم تحت سيطرة تلك الطبقة حتى اخذ هذا النظام بعض الدول الغربية الى يومنا هذا .

وفى الحقيقة ان نظام « الاستقراطية » مما يحكم بعض الافراد على الامة ، ويكون وظيفتهم امتثال تلك الطبقة .

ومن الواضح ان كل طبقة تختص بالحكم تريد مصالحها ولا تعنى بمصالح الشعب او مصالح الاخرين ، من غير تلك الطبقة وهذه الفكرة ، هى فكرة افلاطون وارسطو وغيرهما وقد اكل الدهر عليها وشرب ، و ليست مقبولة فى هذه العصور وفكرة الحكومة الاستقراطية مما تؤكده الرأسماليين وتشجع رجال الثروة على استثمار الاخرين واستثمار اعمالهم للطبقة الحاكمة ومن يتصل بها .

واما النظام الشيوعى والاشتراكى فقد عرفت انه مبنى على المادة و تطوراتها وقد حملت الفلسفة الشيوعية ، معول الهدم على جميع القيم الاخلاقية و الانسانية وان بناء الشيوعية يعتمد على الثورات والحروب والتخريب و التدمير للقوى المعارضة لها وليس عندهم الا البطش فى جميع المراحل واستهلاك النفوس لمقاصدهم وتحويل الثروة الى الهيئة الحاكمة .

وان مبانيهم كما ذكرنا تختلف عن المباني الانسانية والغرائز البشرية . ولما وجد الشيوعية فى العصر الحاضر خطأ آراء « ماركس ولينين » اضطروا الى تغيير النظام فى الجملة وعن قريب تظهر لهم اخطائهم وقد آمن اقطاب الشيوعية واعترفوا بانه لا يمكن باى حال تطبيق النظام الشيوعى وقد ملئوا الارض من جثث ابنائهم وملئوا السجون وقاعاتها منهم ، وعلموا فى العصر الحاضر انتاجهم يؤل فى المستقبل الى الدمار والفشل لمخالفة نظامهم الى رغبة الامة ، و ميلها .

واما الرأسماليين ، فمن اخطارهم هو التنازع بينهم ، وقهر ماله الغلبة فى
الثروة والعمل على غيرهم من الطبقات ، واعدام الطبقة الوسطى من الكسبة والتجار
فلا يبقى الا العامل المسخر بايديهم وتضارب اهل الثروات ، فيما بينهم .
وان حياة الاجتماع والبيآت على الطبقة الوسطى دون الافراد من اهل الثروة
ومن اضواء ماتقدم ، تعرف ان التساوى والعدل والراحة فى العيش ، وترك
النزاع والتشاجر على الثروات ، انما يقوم يتعاليم الاسلام والعدل الالهى والسلم
والامن ...

* (الاخلاق) *

انا نتعرض هنا للاخلاق ، على وجه الاجمال ، كما تعرضنا للاقتصاد بصورة اجمالية ، والافالبحث عن هذين الفنين ، يأتي على ممر الايات تفصيلا .

اعلم - ان علم الاخلاق ، هو العلم الذى يتعرض الى سلوك النفس و سيرها فى هذا العالم على الوجه الاثم باظهار تلك الفضائل النفسية وظهورها عن استعدادها وملكانتها ، الى الفعلية وتجلى النفس بتلك الصفات وان اول موقف يقفه صاحب الاخلاق هو موقف ان يعرف من اين جاء ، والى اين يذهب والى ما يراد به فى هذه النشأة وهذا الموقف يعبر عنه عند علماء الاخلاق بيقضة النفس والضمير والالتفات الى حياته وسلوكه بهذه الدار والافل ولم تتوجه عليه هذه النظرة ولم يلتفت الى مراحل سلوكه وسيره فى هذه النشأة لاتعد صفاته مطابقة لعلم الاخلاق .

وعند ما يأتى اليه هذا الضمير وتتوجه نفسه الى يومه وامسه وغده يرجع الى الله ، ويعبر عن هذا الرجوع الى الله بالتوبة ولا يقصد من التوبة فى علم الاخلاق الا الرجوع الى تعالى لاعتن سبق ذنب واجرام ، فان التوبة معناها لغة و شرعاً هى الرجوع الى الله ، وتوجه النفس الى تعالى ، واقبال ضميره نحو المخلوق الحكيم ، ولذا يعد الانبياء انفسهم من التائبين ، قال زين العابدين (ع) كم اتوب و اتوب .

فالتوبة هي الرجوع الى الحق ، وتزكية النفس بالفضائل وتجنب النفس عن الرذائل حتى تصبح الاخلاق الفاضلة ملكة راسخة في نفس التائب ، يندفع بالفعل اليها ويطبق عمله عليها .

وان اول مراحل علم الاخلاق ، وتهذيب النفس ، هو الصبر فان الله تعالى اودع في نفس الانسان قوة تحمل المصائب والنوائب من جار او جائر او رحم او بيثة او مرض او غيرها من حوادث الزمن وهذه القوة كائنة في اول خلقة النفس ، و من لوازمها الذاتية .

وللصبر مراحل ومراتب فأول مراحل الصبر المعبر عنه بصبر العاجزين ، فيصبر على البلاء والضراء و يتحمل شدائد الزمن وحوادث الفتن و يعمل في التخلص عنها .

و غاية الصبر هو صبر الاولياء و الابرار وانهم تستلذ نفوسهم بالبلاء كما تستلذ بالنعماء وتتوجه ارواحهم الى قبول تلك المحن .

ولذا ترى ان اولياء الله وان جار عليهم الزمن و الحوادث ولكن تراهم وقد اقبلت نفوسهم الى الله تعالى في حالة البلاء لا يتألمون منه بل ولا يطلبون ارتفاع البلاء من الله لما تشاهد نفوسهم ارتفاع درجاتهم بما يجيء لهم من البلاء ثم تترقى نفس الشخص بالشكر لله على نعمه فيشكر على كل نعمة حتى على عدد انفاسه و حركات قلبه ثم تأخذ نفسه بالترقى من فضيلة الى اخرى الى ان يصل الى المحبة الى الله و التفانى في ذات الله فلا يسمع ولا يبصر ولا يعمل الا متوجهاً الى الله تعالى بالعمل والقول وتبلغ به الحالة الى الفناء في ذات الله وفي صفاته و افعاله ويكون مقامه في آخر السير والسلوك الى تسليم نفسه لارادته تعالى وتفويض امره اليه سبحانه وفي الختام تبلغ نفس هذا السالك الى الابتهاج والرضا ، بكل ما يجري عليه في هذا العالم وكل ما يجري على المخلوقين ، فتكون نفسه مبهجة مرتاحة راضية بقضاء الله وقدره

لانكشاف حقائق الاشياء عنده ويرى اسرار هذا الكون ، و اسرار هذا النظام ،
كالمشاهد له .

واعلم ان التوبة ، هي اول مراتب تخلية النفس عن الاخلاق الذميمة ، و
الرجوع الى الله تعالى ، وللرجوع مراتب .

المرتبة الاولى - ان يرجع من الذنوب وترك الواجبات فيأتى بالواجبات
ويترك المحرمات ، ويكون العبد تائباً عن ذنب واجرام .

المرتبة الثانية - ان يرجع الى الله عن المكروهات والالتزام بالمستحبات ،
بلاذنب سابق .

المرتبة الثالثة - ان يرجع الى الله تعالى فى جميع اعماله ، فلا يعمل
الامتوجهاً الى الله ، ومتقرباً بعمله ، وان كان العمل توصلياً ، فاذا اراد الذهاب الى
صديق له ، قصد وجه الله ، لان الروح لاخيه فى الايمان ، مما يوجب المشوابة والتقرب
الى الله تعالى ، واذا عاد مريضاً قصد القربة فى زيارته وعيادته ، واذا قضى حاجة
اواطعم فقيراً قصد وجه الله بذلك وتكون اعماله كلها الهدف منها هو التوجه الى الله
والقربة والاخلاص له تعالى .

المرتبة الرابعة - ان يكون رجوعه الى الله فى اعماله واقواله وتوجهات
نفسه ، وصبرورتها فانية فى ذات الله تعالى وصفاته ، وليس له توجه لافى اليقضة
ولافى النوم ، الا الى الله ، وهذا المقام اذا تم للعبد ، كان فى منتهى التحلية بالفضائل
ويكون استغفار المؤمن ، فى هذه المرحلة عين الخضوع والفناء فى ذات الحق .
وللمؤمن والراجع الى الله صفات ، منها الصدق فالمؤمن لا يكون كاذباً ،
بل صادقاً فى قوله وعمله وحالته ، وفيأفى وعده .

وقد تكثر المدح عن ائمة الهدى ، فى مدح الصادقين وجائت الايات بتكريمهم

و فى كتاب ارسطو للاسكندر ما مضمونه يقول له ، صن و عدك عن الخلف فانه
شنين ، و اقرب و عيدك بالعفو فانه زين ، و من صفات المتقين الانابة ، و معنى الانابة
هو التوجه الى الحق ، و لا يخطر فى ضميره آخر .

ولذا قال العرفاء ، ان قلب الانسان الكامل هو باطن البيت الحرام ، و ينبى
العبد باقواله ، فلا يتفوه الا بذكر الله تعالى فى السر و العلانية .

وقد استوفى روحيات بيان التقوى ما وصفه امير المؤمنين (ع) فى جوابه لهما
ابن شريح وهو من ذرية سعد العشيرة (١) .

اما بعد فان الله خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم
لانه لا تنصره معصية من عصاه و لا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم و وضعهم
من الدنيا مواضعهم ، فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطلقهم الصواب و ملبسهم
الاقتصاد و مشيهم التواضع ، غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ، و وقفوا اسماعهم
على العلم النافع لهم ، نزلت انفسهم منهم فى البلاء ، كالذى نزلت فى الرخاء ،
و لولا الاجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم فى اجسادهم طرفة عين شوقاً
الى الثواب و خوفاً من العقاب .

عظم الخالق فى انفسهم ، فصغر مادونه فى اعينهم ، فهم و الجنة كمن
قدر آهافهم فيها منعمون ، وهم و النار كمن قدر آهافهم فيها معذبون .

الى ان قال (ع) فمن علامة احدهم ، انك ترى له قوة فى دين و حزماً فى
لين و ايماناً فى يقين و حرصاً فى علم و علماً فى حلم و قصداً فى غنى و خشوعاً فى

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٠ ص ١٣٤

عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى و تخرجاً عن طمع يعمل الاعمال الصالحة و هو على وجل ، يمسى و همه الشكر و يصبح و همه الذكر .

الى ان قال (ع) يعفو عن ظلمه و يعطى من حرمة و يصل من قطعه بعيداً فحشه ، لينأقوله غائباً منكروه ، حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره .

ثم قال (ع) لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ومن تأمل في هذه الكلمات لامام الموحدين عرف حقيقة التقوى بتمامها ومن علائم الايمان ، المحاسبة للنفس على الجرائم وتداركها بالتوبة ، والمحاسبة على مراحل التقوى ودرجات الابرار ، من منزلة الى منزلة اخرى قال امير المؤمنين (ع) حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا .

ومن علائم الايمان الاخلاص ، قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، فمن اخلص لله لم يلحظ في عمله المجازات في الثواب ولا الخوف من العقاب واغلق عنه باب الرياء ، وانقطعت عنه عرى النفاق ، وان اظهار العمل للعباد ، والرياء بالاعمال ، من ضعف الضمير وقلة اليقين بالله تعالى ، قال (ص) ان دبيب الشرك فى امتى اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، و ان النفاق و الرياء دليل على ضعف النفس و انحطاطها عن اوج الكمال ، اذ لا موجد ولا مثير ولا معاقب الا الله تعالى .

ومن علائم الايمان التوكل على الله ، بان يجعل الفاعل الحقيقى هو الله ، و ان يعين عليه ، ان يأتى بالافعال باسبابها فان العالم عالم الاسباب ، ولا تحصل النتائج

الأبالمقدمات ، وليس معنى التوكل ان يرمى مكتوف اليد فى اقواله و افعاله ، ثم
يكون محباً لله فانياً فى ذاته ، واذا وصل العبد الى هذه المراحل ، فوض الامر اليه
وانقاد تسليمها لذاته ، و عندانتهاء هذه المراحل من البدايات ، و النهايات يكون
متصفا بالرضا متجليا بالعناية الالهية ...

* (الايمان والكفر) *

قال الله تعالى ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (الرعد آية ٢٩) الذين آمنوا وكانوا يتقون (يونس آية ٦٣) و للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير (المالك آية ٦) الذين كفروا لهم عذاب شديد (فاطر آية ٧)

ان الكفر هو الحجاب الساتر عن الحق ، والكفر ان كان مع العناد و الجحود ، فهو نهاية الكفر ، ويعبر عنه بالجاحد ومن غضب الله عليه واما ان يكون لاجحود فيه ، وانما هو ضال عن الحق من غير جحود وعناد ، وهم الضالون ، ومن جحد ، فهو المغضوب عليه .

وقد يكون الكافر منافقاً ايضاً يظهر الاسلام ويبطن الكفر و يتربص الوقائع والحوادث باهل الايمان وخطر هؤلاء على الدين اشد من خطر الكفار الجاحدين ولذا ورد في القرآن في كثير من الايات ذم المنافقين وانهم لا ترجى هدايتهم .

و النفاق على نحوين، نفاق الكفار ، ونفاق من اسلم ظاهراً و المرائي من افراد المنافقين ، وان كان مسلماً وضرر المرائي والمنافق على الاسلام واهل الايمان اشد من ضرر الكفار على المسلمين لان الكافر حتى لو كان جاحد ، يمكن التحفظ

منه والتحرز عنه بخلاف المنافقين من الكفار ، اذ لاتعرف حقيقته بين المسلمين ، ولايمكن تحرز المسلمين عن مكايده واخطاره .

ولذا ورد عليهم الذم الكثير بالكتاب الكريم باكثر من الجاحدين ، فهو كما ان للايمان والاسلام مراتب فى القرب الى الله والدنو منه ، كذلك الكفار فى مراتب النزول والبعد عن الله ، وقد اوعد الله اهل الايمان بالجنة ، والكفار والمنافقين بالنار على اختلاف مراتبهم فى الجنان وفى النار ، قرب مؤمن يبلغ به الايمان فى يوم الاخرة فتكون نفسيته اعلى من التلذذ بالطعام وحوور العين ، ورب كافر ومنافق تستجبر منه اهل النار فى النار .

وقد تعرضنا فى هذه المقدمة لبعض العناوين الكلية فى القرآن المجيد ، ولايسعنا التعرض لعناوينه كلها فضلا عن العناوين فى الايات الكريمة ، قرب آية تتعرض الى هدف او هدفين او اكثر ، و لو وسعنا المقام هنا لاحتاج الى مؤلفات عديدة ولكن او كلناه الى الايات فى ابوابها ، وغاية ما نريد هنا فى هذه المقدمة لفات نظر القارى على وجه الاجمال الى العناوين الكلية ، فى التعرض لها ليمحيط القارى بصورة اجمالية الى اهداف الكتاب الكريم والافاهدافه كثيرة ؛ تأتى على ممر الايات واسأله التوفيق لما يحب ويرضى ...

* (البسمة و الحمد) *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَعْلَمُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ① الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ① مَا لِكُ يَوْمَ الَّذِينَ ①
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ①
إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ①
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ①

ان الله سبحانه وتعالى افتتح كتابه الكريم بالبسمة ، والبسمة بلفظ الجلالة الدال على جميع صفات الكمال ، من الصفات الجمالية الثبوتية ، من العلم و القدرة والارادة والحياة والاختيار ، والسمع والبصر .

و من الصفات الجلالية السلبية ، التي هي ما افادت التنزيه عن الممكنات

من الحدود والامكان والتغيير والحدوث ، ومن صفات الطبيعة .

و فى البسملة ايماء ، بان الابتداء ، انما يكون بذاته تعالى ، و ان الابتداء بغيره من الاحياء والاولاد والملوك والجبابرة ، واسماء الابعاء ، هونوع من الجهل ولايمكن الاتكالم على المبادئ الباطلة والابتداء بها .

وقد ابتداء سبحانه جميع السور بالبسملة ، وان الباء هنا تفيد الالتصاق و الاتصال ، وهو الصاق العبد واتصاله بربه ، وتفانى فقره بغناه ، كما هو مفاد الباء فى لغة العرب .

وان الابتداء فى كل شىء لايلق الابذاته المقدسة لانه المبدء والمبدع لكل شىء فمنه الابتداء واليه الانتهاء واتصال العبد به ، روحاً و قولاً و فعلاً و حركة وسكوناً .

وانما يفهم من الباء الابتداء هنا ، والاستعانة فى بعض الموارد ، انما هو بحسب القرائن المقامية والمناسبة هنا ، اتصال العبد بربه ، وفناء ذاته وصفاته بذاته وصفاته و لفظ الجلالة ، و هو الله ، علم على تلك الذات المشتملة على جميع تلك الكمالات .

ولذا ان هذا الاسم الرفيع و العلامة الدالة على الذات المقدسة ، دال على جميع صفاته وافعاله وان كان الاله ، بمعنى المعبود اولاً ، ولكنه اصبح علماً على الذات دون الصفة .

فالله اسم رفيع وعلامة عظيمة ترى تلك الذات المقدسة ، وتتحد معها اتحاد المرآت للموئى ، وهذا المعنى اولى من الباء بمعنى الاستعانة ، لانه اجل معنى والطف بياناً من الاستعانة .

(الرحمن الرحيم) .

الرحمن الموجد و المقيض لكل شيء ، والقائم على كل موجود ، الرحيم
على عباده ، فى الدنيا والاخرة ، واجتماع الرحمانية ، والرحيم لا يكون الا فى ذاته
المقدسة ، اذ ان افاضة الوجود ، لاتقع الا من ذاته .
و هذا دليل على كمال الرحمة ، و ان كمال الرحمة وتامها ، من العقائد
الاسلامية ...

* (الاتجاه الفلسفي) *

ان الاية الكريمة تعطى اتصال العبد بربه ، والصاق نفسه بذاته المقدسة على وجه يكون التفانى ، فى ذاته بذاته ، وصفات العبد بصفاته ، فلا يرى موجودا حقيقيا الا ذاته المقدسة ، واذاتم مقام الاتصال والفناء ، فهو السير من الخلق الى الله تعالى ولا يرى هناك واسطة ، فى تكوين او تشريع ، او توجه فى الدعاء ، الا التوجه اليه .

وقد افاض على كل مخلوق ، ما به قوام وجوده وكماله اللائق به .

فالرحمة الرحمانية ، تعم جميع الموجودات وتشمل كل النعم ، كما قال تعالى ، « احسن كل شىء خلقه ثم هدى » .

وتنحصر عند ذلك حر كات العبد من اقواله وافعاله وحالاته ، بذاته المقدسة وتنكشف عند ذلك ، اسرار التكوين ، ويرى ان الابتداء بغير الله تعالى من الجهل والعدا و عدم المعرفة بحقائق الاشياء واسرارها .

وانما يبتدء فى عصور الجاهلية ، باسماء الملوك و الحكام والاعزاء ، لعدم المعرفة بذات الحق تعالى ، و شأن عظمته وجلاله ، ويرى عند ذلك ان كل شىء باطل

فالاية الشريفة تفيد تكامل العبد ونفسيته بالتعلق بذاته ، وان جميع الموجودات
صرفت للتعلق و الربط بذاته المقدسة ، و صرف الفناء فى وجوده ، وان لا وجود
حقيقى الا وجوده ونوره ، وان ماعداه لانفسية له فى الحقيقة والواقع .
وان الاية الكريمة ، قد وجهت العبد الى ربه فى كل احواله ، و قطعتة
عما سواه .

وهذا هو التوحيد الحقيقى ، فان التوحيد الحقيقى هو ارتباط العبد بربه ،
وفنائته فى ذاته ، وان لا توجه له لما سواه ، وهذا اول العقائد الاسلامية .
قال امام الموحدين على ابن ابي طالب (ع) ما رأيت شيئاً الا و رأيت الله
قبله وبعده ومعه ، فالذات المقدسة هى الوحدة الحقيقية ، وما عدى الله تعالى فليس
له الا وحدة تعلقية لتلك الذات المقدسة ...

* (تفسير القرآن بعضه لبعض) *

اما وجهة التفسير ، من حيث القرآن الكريم ، فقد صرحت بعض الايات ، بأن الابتداء ، هو بذاته المقدسة ، وان آية البسملة عند ما تجيء فهي تفيد تطابق مفهومها مع ما دخلت عليه ، فتفيد في سورة الفاتحة ، مفاد الحمد والثناء ، ومقام العبودية والطاعة ، لملك يوم الجزاء وفي غيرها تفيد مضمون السورة و آياتها . وقد جائت البسملة في قوله تعالى ، بسم الله مجريها ومرساها ، قال نوح (ع) بسم الله مجريها ومرساها ، بمعنى قائلين اجرائها وارسائها ، وهو حبسها ، وقد جاء في سورة النمل انه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم . وقد كثرت الايات في اسمه بلفظ الجلالة وان بقية الاسماء تابعة ودالة على صفاته .

قال تعالى اقرء باسم ربك الذى خلق ؛ وقال تعالى ؛ قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايأما تدعوا فله الاسماء الحسنى ، والرحمن

مبالغة في الرحمة وهو اسم خاص له لا يطلق على غيره، قال تعالى الرحمن على العرش
استوى .

وقد تكرر ذكر الرحمن في القرآن الكريم ، بمعنى الافاضة للوجود ، قال
تعالى وكان بالمشركين رحيمًا ، وقال تعالى انه بهم رؤوف رحيم...

* (الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه) *

ان الله سبحانه وتعالى امر بقراءة البسمللة ، وانها ابتداء فى كل شىء ، وانها من صفات المسلمين وعقائدهم ، وهى جزء من سورة الفاتحة .

روى الفريقان عن النبى (ص) انه قال كل امر ذى بال لم يبتدء فيه ببسم الله الرحمن الرحيم ، فهو ابتر وهذه الرواية ، دالة على ان الابتداء بغير الله مقطوع و ان الابتداء بالله لا ينقطع ، لانه مبدع الاشياء ، واليه تنتهى الاشياء .

وفى العيون عن امير المؤمنين (ع) انها من الفاتحة وان رسول الله (ص) يقرئها ، ويعدها آية منها ، ويقول فاتحة الكتاب ، هى السبع المثانى .

وانه لما نزلت سورة النمل ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، امر النبى (ص) ان يكتب ذلك فى صدور الكتب ، وأوائل الرسائل .

روى سعيد المقبرى عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله (ص) قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى الثعلبى باسناده عن ابى بردة عن ابيه ، قال قال رسول الله (ص) الا خبرك بأية لم تنزل على احد بعد سليمان ابن داود (ع) غيرى فقلت بلى ، قال بأى شىء تستفتح القرآن اذا افتتحت الصلاة فقلت بسم الله الرحمن

الرحيم ، قال هي هي .

وعن الثعلبي ايضاً عن جابر ، ان النبي (ص) قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلاة ، قال اقول الحمد لله رب العالمين ، قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ، وكان على (ع) يقول من ترك قرائتها فقد نقص منها .

وان مذهب الامامية يرى ان البسملة جزء من الفاتحة ، ومن كل سورة ، وهي ابتداء لما دخلت عليه السورة من المعنى .

وقد وافق على ذلك الشافعية ، وكثير من علماء العامة ، وان خالف ابو حنيفة وغيره فلم يجعلوها جزء من الفاتحة ولا من غيرها .

وفى تفسير الامام العسكري (ع) من قولهم (ع) الرحيم بعباده المؤمنين فى تخفيفه عليهم طاعاته وعباده الكافرين بالرفق فى دعائهم الى موافقته ، و لوجه اختصاص الرحمة بيوم القيمة بالمؤمنين ، فان رحمته وسعت كل شىء .

وما ورد فى اختصاص الرحمة فى المؤمنين فمدفوع بما ورد بالتعميم من رحمته فى الدنيا والاخرة ، لكافة المخلوقات او ان الرحمة اوسع للمؤمنين فى الاخرة ، و ان كانت رحمته شاملة لمخلقه جميعاً .

واما تقديم الرحمن ، لانه اسم له تعالى فقد روى عن الامام الصادق (ع) انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة ، والرحيم اسم عام بصفة خاصة .

وروى عن الرسول الاعظم (ص) ان الله عز وجل مائه رحمة ، و انه انزل منها واحدة الى الارض فقسّمها بين خلقه بها يتعاطفون ، ويتراحمون ، واخر تسعاً وتسعين رحمة لنفسه ، يرحم بها عباده يوم القيمة ...

* (الاعجاز) *

(الحمد لله .)

ان الحمد هو شعور الضمير ، بالمدح والثناء ، وان الثناء الحقيقي يختص بذاته تعالى ، والحمد جملة خبرية، تختص بحمده ، وان الحمد الحقيقي له، مؤداها انشاء العبد للحمد والثناء عليه ، ومشيراً بحمده الى ذلك الحمد الحقيقي ، ولا يقع المدح الحقيقي ، الا منه لمقامه لقصور الممكن عن اداء الثناء عليه ، كما هو ، وان كان المدح من الرسول الاعظم (ص) ، ولا يقع المدح منه ، على وجه التطابق بين المدح لله من الانبياء في القرآن الكريم ، وما هو الا بمقدار ما تحيط به نفوسهم .

فالمدح والثناء منه واليه ، ولا يقع المدح من غيره ، الا على مقدار وجود شخصية الشخص ومعارفه .

وان المدح من كل احد ، باعلى مراتبه لا يقع الا مشيراً الى المدح الحقيقي ، والمدح الحقيقي من الممكن الى الواجب من الامور الممتنعة عقلاً .

وكل مدح من الانبياء و الاولياء والصالحين من عباده ، تبعاً لمدح ذاته المقدسة ، لان كمالهم على حسب اتجاههم ومعارفهم العقائدية ، و اعمالهم العبادية .

وكلما كملت ذات النبي (ص) والرسول قربت الى الله تعالى ، وكان المدح له ، على حسب ما يناله من الدرجات ، من القرب الى الله تعالى .
والحمد اداء لما اوجب الله عز وجل على خلقه من الشكر ، والشكر لما وفق الله عبده من الخير ، وان كل حمد هو لله سبحانه وتعالى .
والجملة في الحمد لله رب العالمين ، وان كانت خبرية ، ولكن المراد منها انشاء كل حمد لله تعالى ، وكل مخلوق فهو في الواقع لابد وان يشعر بحمده تعالى .
وجيء بالحمد بالجملة الخبرية ، للدلالة ، على الثبوت ، والحمد مطلق الثناء على من له كرامة الثناء ، والشكر نوع من الحمد ، في مقابل التفضل بالنعمة .
والشكر مصداق للمدح ، كما تقول حمدت الله شكرا على نعمه ...

* (الاتجاه الفلسفي) *

الحمد هو الشعور ، من العبد بمقام شأنه تعالى ، على حسب ، استعداده و قابليته ، من مقام الانبياء والاولياء والصالحين من عباده .
وان كل فضيلة تقابل بالحمد ، وكل نعمة تقابل بالشكر وكل حمد هو للرب المطلق ، والرب المطلق ليس الا الله ، وهذه العقيدة مفترق الطرق ، بين الموحدين والملحدين .

وقد اخطأ ارسطو ، حيث ذهب ان الله ، اوجد هذا الكون ، ثم لم يعديهم به ، لان الله ارقى من ان يفكر فيما هو دونه ، فهو لا يفكر الا في ذاته .

ولازم رأيه ، ان لا يعنى بعبادة المخلوقين ، ولا بتوجههم اليه تعالى .

و هذا من غرائب الآراء ، فان صحت عن ارسطو ، فهو كلام خال عن الحقيقة والواقع ، اذ الربوبية هي مقام مفترق الطرق ، بين الموحد وغير الموحد ، مقام توجه العبد الى ربه وانقطاعه ، بانه تعالى ، قدرى العبد تربية تكوينية وتشريعية ، ورب جميع العوالم ، ممن هو قابل للتربية التشريعية والتكوينية كالانسان .

وقد نزه الله تعالى نفسه ، عن وصف الواصفين من عباده ، قال سبحانه الله عما يصفون ، الا عباد الله المخلصين ، والمخلصون يصفونه على مقدار ما تصل اليه عقولهم .

وقد تكرر لفظ الحمد من الانبياء ، واما ماجاء فى القرآن الكريم ، من قوله ،
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويسبح الرعد بحمده ، و ان من شىء الا يسبح
بحمده .

وهذه الايات الشريفه ، ذكرت الحمد تبعا للتسبيح فهذا الحمد من توابع
استجابة الممكنات للايجاد والتكوين ، على حسب قابليتها .

فالتسبيح هنا تكوينى ، والحمد تابع له على قدر استعداد المحل والقابلية ،
وهذا الحمد لا يستدعى الشعور دائماً كحمد السموات و الارض ، و الرعد
والسحاب المسخر ، وان كان فى بعضها عن شعور ، كالملائكة .

والحمد تكوينى ، تابع للتسبيح ، والحمد هو اعم من الشكر ، وقد يتقابل
الحمد مع الشكر ، ولا يقع الشكر الاقبال الوفاء بالنعمة .

وقد ورد عن الامام على (ع) فى النهج ، نحمده على آلائه ، كما نحمده على
بلائه ، وان الاولياء لتبتهج ، نفوسهم بالبلاء ، كما تبتهج نفوسهم بالنعماء .

وهناك اتجاه عرفانى ، وفلسفى برهانى من ان الحمد ، لا يقوم به احد سواه ،
وان كل حمد يجرى من غيره ، فهو بمقدار استعداد الحامد له .

وما من حمد لرسول ، او ولى ، الا تابع لله تعالى ، و لا استقلال لاحد فى
الحمد والثناء ، الاله تعالى ...

* (تفسير القرآن بعضه لبعض) *

قد تكرر ذكر الحمد في الكتاب الكريم ، قال تعالى ، وآخردعواهم ان الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله فاطر السموات و الارض ، الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، الحمد لله الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين ؛ الحمد لله الذي صدقنا وعده ، الى غير ذلك من الايات الكثيرة التي تكرر فيها لفظ الحمد من الانبياء ، قال ابراهيم (ع) الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل و اسحق ، و قال نوح الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، الى غير ذلك من الايات الدالة على الحمد عند ارتفاع البلاء ، و عند التفضل بالنعماء و الحمد اعم من الشكر مفهوماً ، و ان الشكر نحو من انحاء الحمد عند حصول النعم ، قال تعالى و ما بكم من نعمة فمن الله ...

* (الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه)*

عن ابى عبدالله الصادق (ع) قال شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر
قول الرجل الحمد لله رب العالمين .

وفى الكافى عن الامام الصادق (ع) ايضاً ما نعم الله على عبد بنعمة صغرت او
كبرت ، فقال الحمد لله الا ادى شكرها .

وقد روى الفريقان ، من الخاصة والعامة عن النبى (ص) لا احصى ثناء عليك
انت كما اثبتت على نفسك .

وان الله تعالى علم عبده ، الادب والخضوع فى هذه الاية ، بان يحمد رب
العوالم ، الموجد المنعم ، المالك ، للدنيا والاخرة .

روى الصدوق فى الفقيه من كتاب العلل للفضل ابن شاذان ، عن الرضا (ع)
ليس شىء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ، ما جمع فى
سورة الحمد .

وروى من طريق العامة ، عن القرطبى ، عن الامام الصادق (ع) الحمد لله من

حمدہ بصفاته ، كما وصف نفسه فقد حمدہ .

وقد ورد عن صدوق الامة وغيره ، ان الحمد من الخلق ، على مقدار معارفهم
وان حمد النبي (ص) وآله وامتہ المتقين ، افضل الحمد من سائر خلقه ، لان معرفة
النبي (ص) واهل بيته وامتہ الصالحة اولى بالمعرفة من غيرهم ...

* (الاعجاز) *

رب العالمين

الرب هو السيد المتصرف ، يقال رب الدار ، ورب البيت واذا اطلق بدون تقييد ، فيراد به هو الله سبحانه وتعالى ولا ينطبق على غيره ، وهو رب جميع العوالم ، من المجردات والماديات واذا اطلق على غيره ، فلا بد من التقييد ...

* (الاتجاه الفلسفي) *

رب العالمين ، الرب في الاصل مصدر ، بمعنى التربية ، و هي ابلاغ الشيء الى كماله ، والرب هو السيد المطاع المتصرف ، واشتقاقه من التربية ، والتربيته من الله لخلقه ، تربية ، تكوينية وتشريعية .

اما التربية التكوينية ، فهي تجلي الحق بانواره على الممكنات ، على وفق استعدادها وقابلياتها .

و من هذه الناحية ، كان الملك ملكاً ، والانسان انساناً ، والجماد جماداً ،

على حسب مراتب الموجودات واستعدادها .

واما التربية التشريعية ، فهي التعاليم الموحات من الله تعالى على انبيائه ورسله
فى ابلاغ البشر ، وتوجه نفوسهم ، الى مراحل الكمال ، ونهاية التكامل .

والتربية للعوالم تختلف، بحسب استعدادها وقابلياتها ، وليست جميع العوالم
قابلة للتربية التشريعية فان الجمادات والحيوانات ، لاتقبل التربية التشريعية ، لعدم
استعدادها بالتكليف .

فمختص التربية التشريعية بالمدرك الشاعر كالملائكة ، وبالمدرك الشاعر
المختار كالانسان ...

* (تفسير القرآن بعضه لبعض) *

قد حكى الله تعالى عن فرعون ، قال وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما ؛ ربنا ورب آباؤنا الاولين ، ربى اغفر لى ولو الذى
ربنا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا و ارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم
الظالمين ، الى غير ذلك ، من الايات الشريفة ...

* (الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه) *

قد ورد كثيراً فى اخبار اهل البيت (ع) والصحابة ، ان الرب بدون تقييد ،
هو السيد المتصرف فى جميع العوالم ، من غير فرق بين المجردات والماديات ، و
لا يطلق لفظ الرب بكل معنى الكلمة الاعليه تعالى ، لانه ليس للموجودات والعوالم
رب غيره .

* (الاعجاز) *

الرحمن الرحيم .

الرحمن اسم يختص به تعالى ، وان كان عاماً ، من حيث شموله ، لجميع الموجودات ، والرحيم اسم عام تكررت الآية بالرحمة ليعرف البشر سعة رحمة الله تعالى ولطفه ، وان رحمته وسعت كل شيء وسبقت رحمته غضبه ، وما الطف تكرار الرحمن الرحيم ، في هذه السورة من شمول رحمته وفضله .

ومقاد تكرار الرحمن الرحيم ، بين قوله رب العالمين ، ومالك يوم الدين اشعاراً لكمال التربية ، الى وقت يوم الجزاء ، فضلاً عن كونهما من الصفات الذاتية . وقد افاد التكرار معنى وراء ما تقدم ، وقد تقدم تفسير الرحمن الرحيم ، من حيث الاتجاه الفلسفي ، واتجاه القرآن ، واتجاه اهل البيت (ع) ...

* (الاعجاز) *

مالك يوم الدين

و هو مالك يوم الجزاء الذى لا يمكن لاحد ان يدعى ملكية شىء فيه ، وان كل شخص يجزى باعماله ، ان خيراً فخير ، وان شراً فشر .
وقد جاء فى بعض القراءات ملك يوم الدين و كونه ملكاً ، يلزم ملكية الله للموجودات ، حيث ان ملكيته تعالى ، بمعنى ايجاد المخلوقات ، و من لوازمه انه ملك عليها .

وان كان اطلاق الملك و المالك على غيره يختلف من حيث الهيمنة على الاجتماع فى عنوان الملوكية ، و ارتباط مال بشخص يعبر عنه بالمالكية .

وفى الحقيقة ان المالكية للموجودات من الله بمعنى الخلق والايجاد ، مما يلزمه الهيمنة والتصرف فى الكائنات وان الاعتراف بيوم الجزاء ، مفترق الطريق بين المسلمين وبين بعض الامم الجاهلة ، الذين ينكرون يوم البعث والنشور ويقولون اذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بهيد .

فالإسلام من عقائده الأساسية ، هو الاعتقاد بيوم الجزاء ، وأنه بما يدين يدين ،
من خير أو شر ، وإن حياة المؤمن المعتقد بيوم المعاد ، حياة أمان وراحة .
أما إذا لم يعتقد بيوم الجزاء ، تقع حياته مضطربة بالتعدى على الغير ، والتعدى
على الأموال والأعراض والنفوس ، ويجوز أن يقرء ملك ومالك ...

* (الاتجاه الفلسفى) *

ان ملكية الله للموجودات ، ملكية ايجاد و اشراق ، و اذا تحققت الملكية لله تعالى فى خلقه ، تحققت عنوان ملك و كانت ملكية ماعداه اعتبارية ، و ملكيته تعالى ملكية احاطة العلة بالمعلول و الموجد بالموجدات و المهيمن على خلقه .

فالملكية تلازم الملوكية فى حقه تعالى كما عرفت .

وان ملكيته للمخلوقات ، ملكية اشراق و ايجاد و جميع الموجودات صرف التعلق بذاته المقدسة ، حيث ان الملكية بالقياس اليه ، ملكية العلة التامة للمعلولات و لو انقطع الفيض لحظة واحدة ، عن موجود من الموجودات ، لكان محض العدم و حقيقة السلب .

فثبوت الموجودات قائم بذاته ، وهو القائم على كل شىء ...

* (تفسير القرآن بعضه لبعض) *

تكرر فى القرآن الكرىم ، انه مالك يوم الجزاء ، ولاشفاعة لاحد فى ذلك
اليوم ، الا لمن ارتضى من عباده ، قال تعالى ولايشفعون الا لمن ارتضى ، وليس للناس
فى يوم القيمة من شفيع مطاع .
وقد جائت الايات مما يقارب اربعين آية فى الاشارة الى يوم القيمة واخطار
ذلك اليوم ...

* (الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه)*

قد ورد ، كثيراً عن اهل البيت (ع) التحذير عن يوم القيمة ، و ان الانسان كلما ضعف يقينه بيوم القيمة ، كثرت ذنوبه ، و اذا قوى يقينه بيوم القيمة قلت ذنوبه فى الدنيا ، و جاء التخويف من اهل البيت (ع) فى ارتكاب الذنوب لان تكثرت الذنوب تمنع الشفاعة ، قال الصادق (ع) لانكثروا من الذنوب فانها تحول بينكم وبين ولائنا ، وقد ورد ان كثرت الذنوب توجب ظلمة القلب و تحول عن الولاية بينه وبين اهل البيت عليهم السلام عند الموت ...

* (الاعجاز) *

اياك نعبد و اياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم .
ان الاية تعرضت الى اختصاص العبادة به ، وان لامعبود سواه ، وان الاستعانة به
والافاضة منه ، وان المسلمين هم الذاهبون الى الوحدانية ، فى المراحل الاربعة ، توحيد
الذات وتوحيد الصفات ، وانه الواحد فى الفعل والايجاد ، وانه الواحد المعبود
ولامعبود سواه .

وان العبادة الحقيقية لاتتوجه الالمعبود الحقيقى ، وهو الله سبحانه وتعالى
لان العبادة يقومها امر ان احدهما ، ان العمل اداة الخضوع والتذلل ، وثانيهما ،
ان العمل يضاف الى المولى الحقيقى ، وكل عبادة لماسواه ، ليست عبادة حقيقية
ويحرم ايجادها من الناس ، وان كانت هى ضرباً من الادعاء والتجوز ، ومايجرى
بين الناس من تعظيم الانبياء والاولياء والوالدين وارباب العلم و الشيخ الكبير ،
فهو تعظيم واحترام وليس من العبادة فى شىء .

ولذلك اختص سبحانه وتعالى ، بان يعبد و لا تجوز العبادة لغيره بخلاف

الطاعة فانها قد تحسن لغيره كطاعة الاب والمولى والسلطان والزوج ، فمن قال ان العبادۃ هى الطاعة ، فقد أخطأ ، لانها غاية التذلل ، و نهاية الخضوع دون الطاعة ، فانها موافقة الامر .

الانتظر ان العبد يطيع مولاه ولكن طاعته ليست من العبادۃ ، والكفار يعبدون اصنامهم ولا يطيعونها اذ لا يتصور الامر منهم ، فالطاعة و الخضوع باول مراتبه الذى يطابق الخضوع والاحترام للانبيا والاولياء والاباء ليس من العبادۃ فى شىء ، اذ العبادۃ اداة التذلل والرقية وغاية الخضوع للمولى .

والعبادۃ تأتى على مراتب ، احدها ان يعبد لاهليته تعالى ، او لمحبهه وللشكر له وهذه العبادۃ من عبادته الحقيقيين للمولى الحقيقى .

وان العبادۃ الحقيقية ، توجب له الحرية ، وتكون روحه روح اطمئنان و رآفة ، كما يقتضيه النظام الاسلامى .

ثانيها العبادۃ لرجاء الثواب ، ثالثها الخوف من العقاب ، ولما علم الله تعالى ان الكثير من عباده لا يسعهم العبادۃ الحقيقية ، لقصور ذاتهم عن ادائها ، اكتفى منهم سبحانه بالعبادۃ التى تنشأ من رجاء الثواب ، او الخوف من العقاب .

وقد صرحت احاديث أئمة الهدى (ع) بتعدد مراتب العبادۃ .

قال امام الموحدين على (ع) عبدتك لاخوفا من نارك ولاطمعاً فى جنتك ، بل وجدتك اهلا للعبادۃ فعبدتك وقد اوضحنا مراتب العبادۃ ، فى انوار الوسائل ، فراجع .

والاستعانۃ بمعنى الفيض ، والمدد الالهى فى ايجاد الكائنات و افعالهم ، فهى من خواصه سبحانه و تعالى ، و من توابع فاعليته ، وليس لمخلوق

حتى الانبياء ، من ذلك شيء حظ ونصيب ، فهو الموجد للاشياء ، وهو المبقى لها ، و هو العلة في الحدوث والبقاء .

واما الاستعانة بمعنى معونه بعض الناس ، لبعض ، كاعانة الاباء للابناء و الصديق للصديق ، وشفاعة بعض الناس لبعض ، فهو يعم البشر ، ومن ذلك الوسيلة والشفاعة من الانبياء ، فان الله يقبل الشفاعة ، ممن ارتضى من عباده ، كما صرحت به الايات ، قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى .

فان الانبياء ، ولاسيما الرسول الاعظم (ص) وآله الكرام (ع) فقد جعلهم الله سبحانه وتعالى وسيلة لعباده فهو الاله الذى لاله الا هو ، ولافاعل سواه .

واما فتح باب الشفاعة والوسيلة والمعونة ، فقد اكرم الله بها انبيائه ورسله وفتح باب الشفاعة والوسيلة للرسول واهل بيته (ع) وسائر الانبياء والاولياء ، و يأتي توضيح ذلك فى آيات الشفاعة انشاء الله تعالى .

وهذه الايات فى الفاتحة ، قد تنوعت بين مقام الربوبية ، ومقام العبد ، وعند ما جاء مقام العبد ، فقد طلب العبد من ربه الهداية و التوجه الى الطريق المستقيم ، طريقة من انعم الله عليه من الصديقين والشهداء والصالحين ، طريقة تجمع بين العلم والعمل من الاعتقاد بالتوحيد والرسالة ، والخلفاء الصالحين من الائمة ، و يوم الجزاء والاعمال الصالحة من اقامة الصلاة ، وابتاء الزكاة والتجنب عن محارم الله .

وان العبادة لله هى نوع حرية للانسان ، لان الانسان ، اذ لم يكن عبداً حقيقياً لله ، كان عبداً لسائر الناس .

وان العبد يقف بين يدي ربه طالباً منه السير على الصراط المستقيم ، صراط العلم والعمل ، وطريقة النظر والاعمال الصالحة ، الذى يحصل بذلك السير ، الفلسفة العلمية والعملية وتستكمل نفسه ، و تستعد للعلم والعمل ، على طبق قابليته ووجوده ...

* (الاعجاز) *

صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فى تفسير الثعلبى مسندا عن ابي برده ، قال فى معنى الصراط المستقيم ، هو صراط محمد (ص) واهل بيته (ع) والتعود عن صراط من غضب الله عليه من اليهود والمشركين من العرب ، و صراط الضالين كالنصارى ، و من لا عنادله مع الحق وان كان ضالا ، وان الصراط المستقيم اذا سار عليه الانسان ، هو صراط الانبياء والصدىقين والشهداء وهو الصراط الاكمل من العقائد فى توحيد الذات والصفات والافعال والعبادة ، وفى تطبيق العمل من العمل الصالح بالاخلاق الشرعية والوظائف التى جعلها الشارع على وفق الاخلاق الفاضله والكمالات النفسية ، وان السبل الى الصراط كثيرة .

وفى هذا المضمون قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين و ان اعبدونى هذا صراط مستقيم ، و قوله والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا (العنكبوت ٦٩) وقوله تعالى قد جائكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم (المائدة ١٦) الى غير ذلك ، والصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط ، وهو فى علم الاخلاق - العفة التى هى وسط بين الوقوع فى الشهوات وغيرها و بين الجمود والبخل وغيرها والحكمة هى الوسط بين الجهل والغباوة والبلادة و بين المكرو والخداع والاحتيال والطيش فى الاراء ، والعدل ، وهو المساوات بين هذه الامور ، و اذا قام الانسان على الصراط الحقيقى توجهت نفسه الى المقام الشامخ الرفيع ، و تنزهت نفسه عن الدرجات النازلة والاخلاق الذميمة ، وقد جائت الايات بارشاد العباد الى الصراط القويم ، وان يتباعد الانسان عن طريق من غضب عليهم على اختلاف مراتب العناد و مراتب الضلال ، و ماترك الله عباده من الارشاد الى طريق الهدى والتباعد عن طريق الضلال ...

* (الاتجاه الفلسفى) *

بيان موقف العبد من ربه .

ان العبد بعد ما حمد الله ، على مقدار معرفته فاعترف بانه ، هو الرب ، وانه الرحمن الرحيم ، وانه مالك يوم الدين وقف موقف العبودية والطاعة التى يقتضيها مقام العبد من ربه فصرح ان لاعبادة الاله فان المسلم لا بد ان يكون موحداً فى ذاته وصفاته وافعاله وعبادته وان التفانى الحقيقى من العبد هو موقف العبادة والخضوع والتذلل له تعالى .

واذا نظرت الى العبادة ، وجدتها ذات مراتب وقد جاءت من قبل الحق ، على مقدار ما يطيع العبد ربه ، وان العبد اذا توجه الى الطاعة فلا يمكن ان تتوجه حواسه الى غيرها .

فقد ورد عن ائمة اهل البيت (ع) عن حال طاعتهم ، من الخشية ، بحيث لا يسمعون نداء المنادين ، فى حال توجههم للعبادة .

ولكن لعلم الله تعالى ، ان العبادة الحقيقية ، انما تصدر من عباده الحقيقيين ، اكنفى من سائر الناس بالعبادة الذكرية ، لقصور ذاتهم ، عن الخضوع الحقيقى ، والعبودية الواقعية .

وان مصدر الابداد والفيض هو ما يرجع الى فاعليته وقادريته ، وحياته ، فانه لا يمكن ان يتصف به عبد من عباده ، وليس لاي عبد نصيب في ذلك ، و ان جميع الاشياء حاضرة عنده ، حضور المعلول عند العلة ، فهو المالك لها ، و هي القائمة بعبوديته ، و ان الله محيط بها ، لانه العلة التامة للمعلول ، فهو محيط بجميع الاشياء .

قال تعالى ، اولم يكف بربك انه على كل شىء قدير وان العبادة لله من العبيد الحقيقيين تستدعى حضور الواجب لمخلوقاته ، و حضور المخلوقات للواجب بأتم الحضور .

ولذا ان الاية الكريمة ، قدمت اياك على نعبد اظهاراً لكمال العبودية ، وان العبادة الحقيقية ، كما بينا . هي لاهليته .

واكتفى الله بالعبادة من عموم الناس في عبادتهم حتى لو كان العبد مشغولاً قلبه بغير العمل العبادى .

فالعبادة الحقيقية ، ما كانت اداة الخضوع والتذلل ، والفناء فى الله ، ولا يرى نفسه عاملاً ، الا باستعانتة ولذا عطف الاستعانة على العبادة فى الاية الشريفة ، وعند ما يتفانى العبد فى العبادة ، فلا يرى الا الخضوع التام لجلاله وقده ، وعظمة كبريائه فيصل السالك فى العبادة الى اعلى مراتبها ، فلا يرى غير الله موجوداً ومهيمناً وخالقاً ورازقاً ، وان لاعبادته الاله ، ولا استعانة الابه ، ويطلب العبد من ربه الهداية ، وسلوك طريق الحق ، وهو الصراط المستقيم ، فيكون على الصراط فى توحيده ، والاعتقاد برسالة السماء وائمة الهدى ، وبالعمل فى اعلى مراتبه من العبادة ، وعند ذلك ، فاذا سلك الطريق المستقيم ، لا طريق العناد والشقاق ولا طريق الضلالة ، كان فى

حياته وموته على الصراط المستقيم .

وعندها فالعبد يجمع بين الفلسفة العلمية والعملية من التخلق باخلاق الله ، ويكون العبد خليفة الله في ارضه ، وان اختلاف سبل السلوك ، من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ، ليس اختلافا جذرياً ، لان الكل يهدف الى توجيه العبد فى العقيدة والعمل الى الله تعالى .

غايتها تختلف ظروف الزمن فى المنهاج والسلوك ولا تختلف فى دعائم الاسلام وقوانينه ، ان الدين عند الله الاسلام .

و ان الاختلاف فى التطبيق بحسب انتهاء مصلحة الحكم دون الاحكام المستمرة بجميع العصور و الاجيال و اذا طلب العبد من ربه الهداية ، هى الهداية وراء الهداية الفطرية ، التى هى غريزة كل انسان ، وشعار كل مدرك ولولا الهداية الفطرية ، لما توجه الرسل والانبياء ، الى تكليف الخلق ، بل يطلب العبد الهداية الاخرى من توفيقه ، للتعاليم ، وتقبل نفسه للانوار ، و النواميس الشرعية وهذه الهداية . يختص بها المؤمنون .

وقد تطلق عناوين السبل ، على الطرق غير المعتدلة ، قال تعالى و اتبعوا السبل فتفرق بكم .

ان العارف المتوجه ، الى اهداف التوحيد ورسالة السماء ، يتضح له ان فاتحة الكتاب ، قد وجهت العبد ، الى اتجاهين ، كما فى البسملة ، اتجاه ادبى ، و هو ان الحمد لله ، وانه المربى والمالك والمعبود .

وان العبد من وظيفته ، طلب الهداية ، للصراط لينال بسلكه وعمله ، السعادة فى النشاطين ، الاخرة والاولى .

الاتجاه الثانى ، ان العبد بعد طلبه الهداية وراء الهداية الفطرية ، بان يهديه الصراط المستقيم ، من التوحيد الكامل ، والاقرار برسالة الانبياء ، والعمل الصالح

بأعلى مراتبه ، وإقامة حدوده ، وهو صراط الذين خصهم ، بكمال الوجود ، ورعاهم
بالفضائل النفسية ، وذهاب الرذائل من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباده، كان
هذا الشخص هو الإنسان الكامل والشاعر الحى ، الذى طبق الحكمة العلمية والعملية
وشاهد صراطه علماً وعملاً وطبق يقينه على الوجود الأكمل ، وعندها سيكون العبد
هو المثل الأعلى فى خلقه ، والتجلى النورى الكامل فى برئته ...

(الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه)

قد ورد كثيراً ، ان الصراط صراطان ، صراط فى الدنيا ، وهى المعارف الدينية من معرفة التوحيد والنبوة والامامة والمعاد وان الصراط يشمل الاعتقاد بالائمة ، وان الانسان اذا استقام على الصراط المستقيم فى الدنيا من المعارف الالهية استقام على الصراط فى الآخرة .

روى عن النبى (ص) قال قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين ، يقول الله ، حمدنى عبدى ، فاذا قال الرحمن الرحيم ، يقول الله اثنى على عبدى ، فاذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى ، فاذا قال اياك نعبدواياك نستعين ، يقول الله هـذا بينى و بين عبدى ، و لعبدى ما سأل ، فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله تعالى ، هذا لعبدى ولعبدى ، ما سأل ، اورده مسلم ابن الحجاج فى الصحيح ...

(تفسير القرآن بعضه لبعض)

ان العبد يكون ممن انطبق عليه قوله ، وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم وان التعبير بالصرافى القرآن الكريم يراد به هو الدين الحقيقى الذى يربط البشرية و المخلوقين بجلاله تعالى ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ، وقال تعالى ؛ ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً ؛ وقال تعالى السم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان ، وهذه العبادة على نحو الادعاء ، لان العبادة لاتقع الا للمعبود الحقيقى .

و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم ، يرشدون ...

(فاتحة الكتاب)

مكية ، عن عبدالله ابن عباس وقتادة .

ومدنية عن مجاهد ، ولعلها نزلت مرتين ، في مكة والمدينة ، وسميت بالفاتحة
لافتتاح الكتاب الكريم والصلاة بها .

وسميت ام الكتاب ، لانها جامعة لمضمون الكتاب الكريم ، من مقام
الربوبية و العبودية وسميت بالسبع ، لانها سبع آيات ، وسميت بالمشاني
لانها تشنى قرائتها فى الصلاة ، و قد ورد عن النبى صلى الله عليه و آله انها شفاء
لكل داء ...

* (فضل السورة) *

روى ابي ابن كعب ، عن رسول الله (ص) ايما مسلم قرء فاتحة الكتاب، اعطى من الاجر، كانما قرء ثلثى القرآن ، واعطى من الاجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ، وفي رواية كأنه قرء القرآن ايضاً .

وقد روى عن النبي (ص) انها شفاء لكل داء وعن ابي ابن كعب ايضاً ، انه قال قرئت على رسول الله (ص) فاتحة الكتاب ، فقال والذي نفسى بيده ما انزل في التورات ولا في الانجيل ، ولا في الزبور ، ولا في القرآن مثلها ، هي ام الكتاب، وهي السبع المثاني ، وهي مقسومة بين الله وبين عبده ولعبده ما سأل .

وفي كتاب العياشى باسناده ، ان النبي (ص) قال لجابر ابن عبد الله الانصارى يا جابر ، الا علمت افضل سورة انزلها الله في كتابه ، فقال له جابر بلى يا ابي انت وامى يارسول الله علمنى اياها، قال فعلمه الحمد ام الكتاب ، ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها، قال بلى يا ابي انت وامى ، فاخبرنى فقال هي شفاء من كل داء ، الا السام والسام الموت . و روى ايضاً ، ان الله اعطى سليمان ابن داود عليه السلام ، منها البسمة ، الى غير ذلك مما ورد في فضل الفاتحة .

وقد ورد انها اذا قرئت ، على مريض سبعين مرة ، عافاه الله تعالى ، وقد ورد

تقديم الاستعاذة قبل البسملة ، وقبل كل سورة ، فتقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
وقدامر الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان فقال واذا قرأت القرآن فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم .

طبع هذا المؤلف ويتلوه الجزء الثانى على نفقة المحترمين

الاجلاء الحاج على جعفر - الحاج حسين فردان -

الحاج سلمان الصائغ وغيرهم من اهالى قطر

المحترمين شكر الله مساعيهم ووقفهم الله

لما يحب ويرضى .

تم طبعه بتاريخ ١٧ ربيع الاول

١٤٠٣ هجرية

تذكرة للمقارى

ان مؤلفات آية الله العظمى المرجع الدينى الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقانى ، قد طبع منها على نفقة المؤمنين ما يلى ، اولاً جزآن من (انوار الوسائل) وهو موسوعة فقهية استدلالية ، فى العبادات والمعاملات و الوظائف الشرعية و الايقاعات والاحكام ، ويتلوها انشاء الله الباقي قريباً ، وقد طبع الجزء الاول فى الفلسفة (المثل الاعلى) ويتلوه الجزء الثانى وبقية الاجزاء ، ومنطق المثل الاعلى وطبع كتاب (المواريث) وهو من الكتب الاستدلالية للمؤلف ، وكتاب (الكلم الطيب) وهو اسئلة جمعها المؤلف من الاسئلة التى لها قيمة وتوجه فى الفقه ، وقد اجاب عنها فى الكتاب المذكور بالاشارة الى الدليل اجمالاً ، وطبع من تقريرات بحثه فى الاصول ثلاث مجلدات من الاصول اللفظية وهو كتاب (المحاكمات بين المحقق الخراسانى والاعلام الثالث) النائينى والعراقى والاصفهانى ، ونظريته حول هذه المطالب بقلم علم الفضيله ولده الشيخ محمد ايدى الله تعالى وطبع كتاب (المحاكمة فى القضاء) من تقريرات بحثه بقلم احد تلامذته الافاضل ، و طبع ايضاً كتاب (تحرير الاستدلال) من تقريرات بحثه فى الطلاق ، بقلم بعض تلامذته الافاضل ، و طبع له ، الرسالة العملية ، المسمات

(برسالة الهدى) وكتاب (موجز الرسالة) وكتاب (مناسك الحج) وله كتب
اخرى مجهزة للطبع منها كتاب (المثل النورية) فى الفلسفة والمحاضرات فى آراء
فلسفة الاسفار والمناقشة فى بعض مبانيها ، وكتابان فى الاقتصاد الاسلامى ، وكتاب
(النظام العلوى) فى شرح عهد مالك الاشتهر (رض) و تتمه هذا التفسير ، و
هو (العقل البشرى) وله تفسير مختصر ، وكتاب حاشية على العروة و كتاب فى
الاصول اللفظية و العملية وله كتب اخرى انشاء الله يتم تجهيزها للطبع قريباً
و نسأل الله ان يوفق المؤمنين لطبع هذه الكتب التى هى اثر خالد فى الاسلام ...

المشرف على الطبع

خادم اهل البيت عليهم السلام عبد الامير جعفر
الحاج محمد عباى والسيد حيدر السيد اسماعيل
السيد خلف الموسوى

(مطبعة مهر)

دليل الكتاب الاول

الصفحة	العنوان
٣	خطبة الكتاب
٥	اعجاز القرآن عين التشريع
٧	اعجاز القرآن لا يختص بالبلاغة والفصاحة
	* * *
٩	التشريع والتكوين
١١	رسالة النبي الكريم هي منتهى الرسائل
١٤	الاسلام لم يأتى بثقل على عاتق البشريه
	* * *
١٦	التشريع الاسلامى يدعو الى العدل والاحسان
	* * *
٢١	اعجاز القرآن
	* * *

الصفحة	العنوان
٢٣	العقل البشرى فى تفسير القرآن
٢٨	القرآن باللغة العربية
٣١	لائفسير للقرآن
٣٥	حدوث القرآن وقدمه
٣٨	القرآن ومعجز الانبياء
٤١	لا اختلاف فى القرآن

* * *

٤٣	الفلسفة القرآنية
٤٧	المفسرون والتفسير
٤٩	ظواهر الكتاب

* * *

٥٢	لائحرىف فى القرآن
٦٠	دفع شبهة

* * *

٦٦	البداء عند الامامية
٧٠	النسخ

* * *

٧٣	موقف القرآن من التوراة والانجيل
٧٤	القراآت فى القرآن

* * *

الصفحة	العنوان
٧٦	المواضيع الكلية التي تعرض لها القرآن على وجه الاجمال
	* * *
٨١	التوحيد
٨٣	بيان و تحقيق
٨٩	الدليل على التوحيد
	* * *
٩٢	صفاته تعالى
٩٣	صفات افعاله
٩٥	الوهيته وعبادته
	* * *
٩٧	اضواء وتوضيح
١٠٠	حكيمته وتدييره
	* * *
١٠٢	الجبر والتفويض والامر بين الامرين
١٠٤	نظرة حول رأى الاشاعرة
١٠٩	الجواب من الفلاسفة عن الجبر والتفويض
	* * *
١١١	القضاء والقدر
	* * *
١١٢	النبوة ورسالة السماء
١١٣	الرسول الاعظم(ص)
	* * *

الصفحة	العنوان
١١٦	الامامة
١٢١	الامام وصفاته
١٢٥	امامة على (ع)
	* * *
١٣٠	« الايات الدالة على افضلية الامام على (ع) وعصمته »
١٣٠	الاية الاولى - آية المباهلة
١٣٨	نظرة اخرى حول الاية الكريمة
١٤٣	حديث القصة
	* * *
١٤٥	الاية الثانية - آية الولاية
١٤٩	ولاية على (ع) بعد ولاية الرسول (ص)
١٥١	حديث الاية
	* * *
١٥٦	الاية الثالثة - آية التبليغ
١٥٩	الافات نظر
	* * *
١٦١	الاية الرابعة - آية التطهير
	* * *
١٦٥	الاية الخامسة - آية الانذار
	* * *
١٦٨	الاية السادسة - آية من يشرى نفسه
١٧٢	بيان
	* * *
١٧٥	الاية السابعة - آية المودة فى القربى

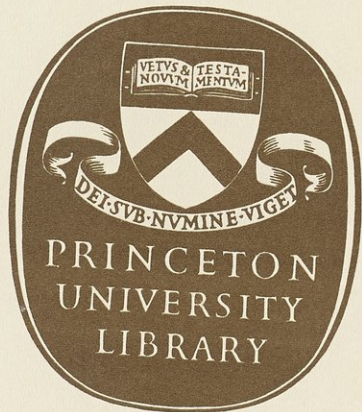
	* * *	
١٧٩		حديث آية التبليغ
	* * *	
١٨٣		الروايات الدالة على امامة علي (ع) و خلفته
١٨٣		حديث الغدير
١٨٨		الامامة والخلافة عند الامامية
١٩٢		النصوص من طرق الشيعة
١٩٤		بيان
١٩٧		رواية المنزلة وغيرها
	* * *	
١٩٨		المعاد
	* * *	
٢٠١		الاسلام وشئونه
	* * *	
٢٠٤		الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٠٧		افعال المكلفين
٢١٠		العبادات
	* * *	
٢١٣		التجارة و المكاسب
٢١٦		تقديم في الاقتصاد
٢٢٠		الاقتصاد الاسلامي
٢٢٢		نظرة حول الاقتصاد الاسلامي
٢٢٥		قواعد الاقتصاد في الاسلام
٢٢٩		نظرة حول الفوارق بين الاقتصاد الاسلامي وغيره

الصفحة	العنوان
٢٣٤	اخطار تحف الاقتصاد الاسلامى
	* * *
٢٣٦	الملكية فى الاسلام
٢٤١	الاسلام والماركسية
٢٤٦	هدف الاسلام واهداف الدول
	* * *
٢٤٩	الاخلاق
	* * *
٢٥٥	الايمان والكفر
	* * *
٢٥٧	البسمة والحمد
٢٦٠	الاتجاه الفلسفى
٢٦٢	تفسير القرآن بعضه لبعض
٢٦٤	الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه
٢٦٦	الاعجاز (الحمد لله)
٢٦٨	الاتجاه الفلسفى
٢٧٠	تفسير القرآن بعضه لبعض
٢٧١	الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه
	* * *
٢٧٣	الاعجاز (رب العالمين)
٢٧٣	الاتجاه الفلسفى
٢٧٥	تفسير القرآن بعضه لبعض
٢٧٥	الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه
	* * *

الصفحة	العنوان
٢٧٦	الاعجاز (الرحمن الرحيم)
	* * *
٢٧٧	الاعجاز (مالك يوم الدين)
٢٧٩	الاتجاه الفلسفى
٢٨٠	تفسير القرآن بعضه لبعض
٢٨١	الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه
	* * *
٢٨٢	الاعجاز (اياك نعبد و اياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم)
٢٨٥	الاعجاز (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم والضالين)
٢٨٦	الاتجاه الفلسفى
٢٩٠	الاتجاه فى التفسير من ناحية النبى وآله واصحابه
٢٩١	تفسير القرآن بعضه لبعض
	* * *
٢٩٢	فاتحة الكتاب
٢٩٣	فضل السورة
	* * *
٢٩٥	تذكرة للقارى (للمشرف على الطبع)

فهرس الخطاء و الصواب

الصفحة	السطر	الصواب	الخطاء
١٥	٨	حكماً	حكم
٢١	١١	الذين	الذى
٤٢	٥	سوره	صوره
٤٢	٧	سياسى	سياسياً
٥٧	١٤	او تبديل	تبديل او
٩٨	١	سبعة	سبع
١١٠	١٥	الطبيعة	البيطعه
١١٩	١٩	لاخر	آخر
١٢٢	١	العملية	العلمية
١٢٢	١٣	لديهم	لدينهم
١٢٣	٩	والا فيعبت	فيعبت
١٢٥	١	اتباع على	اتباع
١٢٦	٢١	ابناء	اء انبا
١٤٠	٤	تقتضيه	تقتضيه
١٥٨	٨	معار فيهم	معار فيهم
٢٠٤	١٣	لترقيها	ترقيه
٢٠٥	٢١	فللامر	فلامر
٢٠٨	٢٠	الاية	آية
٢٢٠	٨	الاقتصاد	اقتصاد
٢٣٨	٣	الاسلام	اسلام
٢٥٥	٧	وهم	وههم



PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library



32101 057499293